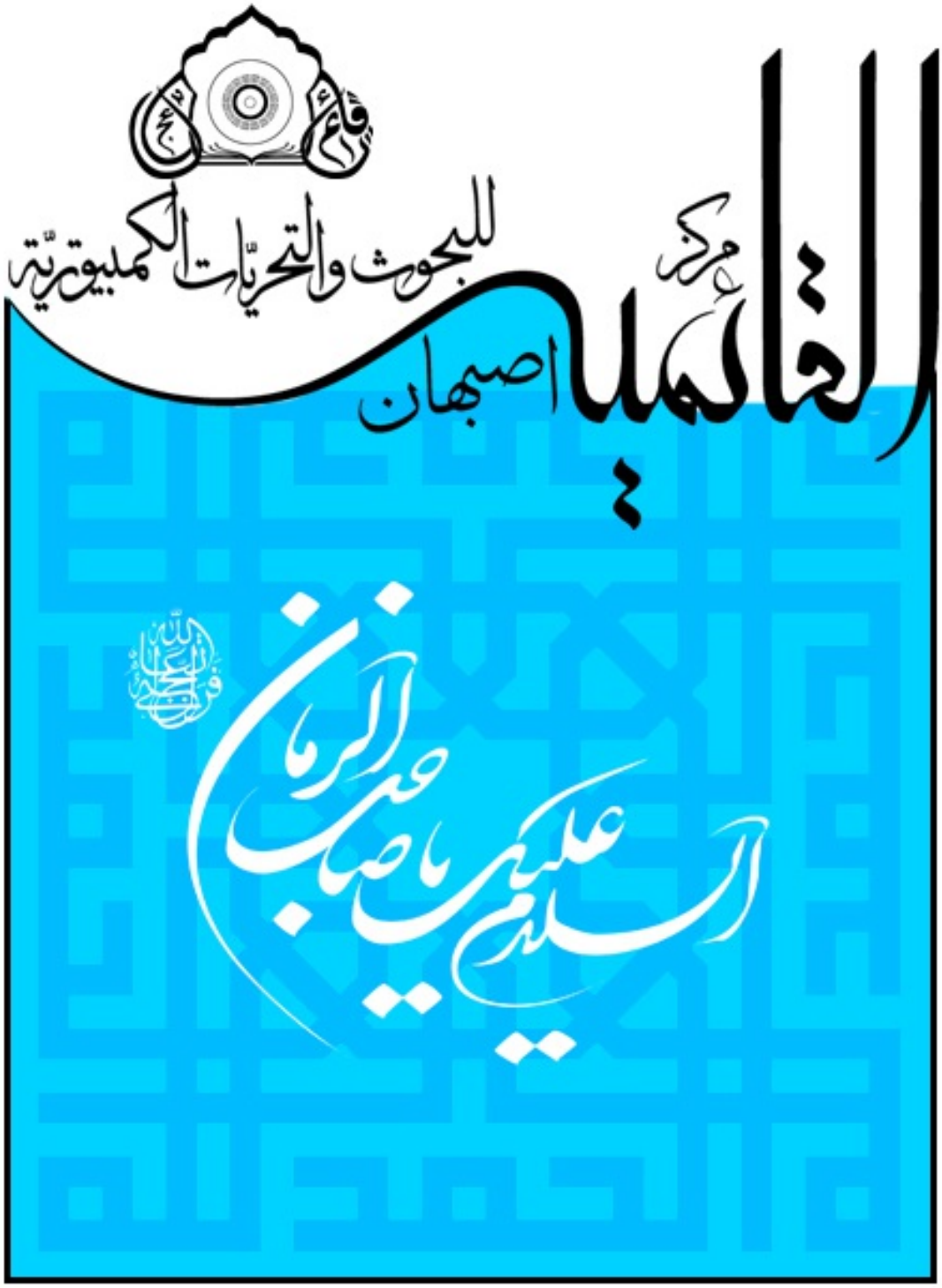

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

جلد ٤

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس تحليلية

بسم الله الرحمن الرحيم

النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره

کاتب:

جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی

نشرت فی الطباعة:

وزاره الثقافه والارشادالقومی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۴ ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
تقدیم ----- ۱۰
[تتمة ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۴] ----- ۱۱
ذکر ولایة کافور الإخشیذیّ علی مصر ----- ۱۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۵] ----- ۱۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۶] ----- ۱۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۷] ----- ۱۸
اشارة ----- ۱۸
ذکر ولایة أحمد بن علیّ بن الإخشید علی مصر ----- ۱۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۸] ----- ۲۱
اشارة ----- ۲۱
ذکر ولایة جوهر القائد الرومیّ المعزّیّ علی مصر ----- ۲۲
ذکر دخول جوهر إلی الدیار المصریّة و کیف ملکها ----- ۲۳
ذکر بناء جوهر القائد القاهرة و حاراتها ----- ۲۵
ترجمة القائد جوهر و ما یتعلق به من بنیان القاهرة و غیرها ----- ۳۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۹] ----- ۳۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۰] ----- ۳۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۱] ----- ۳۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۲] ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۴
ذکر ولایة المعزّ العبیدی علی مصر ----- ۳۶

ذکر ما قیل فی نسب المعزّ و آبائه ----- ۳۸
ذکر رکوب الخلفاء الفاطمیین فی أوّل العام من کلّ سنة ----- ۴۰
ذکر رکوب الخلیفة فی یومی عید الفطر و النّحر ----- ۴۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۳] ----- ۴۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۴] ----- ۴۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۵] ----- ۵۰
االشرة ----- ۵۰
ذکر ولایة العزیز نزار علی مصر ----- ۵۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۶] ----- ۵۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۷] ----- ۵۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۸] ----- ۶۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۹] ----- ۶۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۰] ----- ۶۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۱] ----- ۶۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۲] ----- ۶۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۳] ----- ۶۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۴] ----- ۶۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۵] ----- ۶۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۶] ----- ۶۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۷] ----- ۶۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۸] ----- ۶۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۹] ----- ۷۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۸۰] ----- ۷۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۳۸۱] ----- ۷۲

[اما وقع من الحوادث سنة ۳۸۲] ۷۳
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۸۳] ۷۴
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۸۴] ۷۵
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۸۵] ۷۶
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۸۶] ۷۸
اشارة ۷۸
ذکر ولایة الحاکم بأمر اللّه علی مصر ۷۹
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۸۷] ۸۷
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۸۸] ۸۹
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۸۹] ۸۹
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۹۰] ۹۰
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۹۱] ۹۰
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۹۲] ۹۲
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۹۳] ۹۲
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۹۴] ۹۴
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۹۵] ۹۴
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۹۶] ۹۵
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۹۷] ۹۶
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۹۸] ۹۷
[اما وقع من الحوادث سنة ۳۹۹] ۹۸
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۰۰] ۹۹
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۰۱] ۱۰۰
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۰۲] ۱۰۲
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۰۳] ۱۰۳

[اما وقع من الحوادث سنة ۴۰۴] ۱۰۴
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۰۵] ۱۰۵
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۰۶] ۱۰۶
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۰۷] ۱۰۷
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۰۸] ۱۰۸
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۰۹] ۱۰۸
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۱۰] ۱۰۹
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۱۱] ۱۰۹
اشارة ۱۱۰
ذکر ولایة الظاهر علی مصر ۱۱۰
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۱۲] ۱۱۳
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۱۳] ۱۱۴
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۱۴] ۱۱۵
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۱۵] ۱۱۶
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۱۶] ۱۱۷
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۱۷] ۱۱۸
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۱۸] ۱۱۸
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۱۹] ۱۱۹
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۲۰] ۱۲۱
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۲۱] ۱۲۱
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۲۲] ۱۲۲
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۲۳] ۱۲۳
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۲۴] ۱۲۴
[اما وقع من الحوادث سنة ۴۲۵] ۱۲۵

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۲۶] ---- ۱۲۵

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۲۷] ---- ۱۲۶

فهرس الولاة الذین تولوا مصر من سنة ۳۵۵ ه- ۴۲۷ ه ---- ۱۲۷

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۱۲۷

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۴

اشارة

سرشناسه : ابن تغری بردی، یوسف بن تغری بردی، ۸۱۳-۸۷۴ق.

عنوان و نام پدیدآور : النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره/ تالیف جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی.

وضعیت ویراست : [ویراست ؟].

مشخصات نشر : قاهره: وزاره الثقافه والارشادالقومی، الموسسه المصریه العامه، ۱۳۴۲.

سال چاپ: ۱۳۹۲ ه. ق

نوبت چاپ: اول

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱۶

مشخصات ظاهری : ۱۶ج. (درسه مجلد).

یادداشت : عربی.

یادداشت : جلد سیزدهم تاجلد شانزدهم توسط فهیم محمد شلتوت، جمال‌الدین شیال و ابراهیم علی طرخان تصحیح‌شده توسط الهیئه‌المصریه‌العامه للتالیف و النشر منتشر گردیده است.

یادداشت : ج.۱، ۲، ۳، ۴، ۷ ، ۸ ، ۱۱ و ۱۲ (چاپ ؟: ۱۳).

یادداشت : ج. ۱۵ (چاپ؟: ۱۳۹۱ق. = ۱۹۷۱م. = ۱۳۵۰).

یادداشت : ج.۱۶ (چاپ؟ = ۱۳۹۲ق. = ۱۹۷۲م. = ۱۳۵۱).

یادداشت : بالای عنوان: تراثنا.

یادداشت : کتابنامه.

عنوان دیگر : تراثنا.

موضوع : مصر -- شاهان و فرمانروایان

موضوع : مصر -- تاریخ -- ۱۹ - ۸۹۷ق.-- سالشمار.

شناسه افزوده : شلتوت، فهیم محمد، مصحح

شناسه افزوده : شیال، جمال‌الدین، مصحح

شناسه افزوده : طرخان، ابراهیم علی، مصحح

رده بندی کنگره : DT۹۵/الف۲ن۳ ۱۳۴۲

رده بندی دیویی : ۹۶۲/۰۲

شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۵۵۴۷

تقدیم

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم و صلّی اللّه علی سیّدنا محمد و آله و صحابته و المسلمین الجزء الرابع من کتاب النجوم الزاهرة

[تتمة ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۴]

ذكر ولاية كافور الإخشيذىّ على مصر

الأستاذ أبو المسك كافور بن عبد اللّه الإخشيذىّ الخادم الأسود الخصىّ صاحب مصر و الشام و الثغور، اشتراه سيّده أبو بكر محمد الإخشيذ بثمانية عشر دينارا من الزيّاتين، و قيل: من بعض رؤساء مصر، و ربّاه و أعتقه؛ ثم رقّاه حتّى جعله من كبار القوّاد لمّا رأى منه الحزم و العقل و حسن التدبير. و لمّا مات الإخشيذ فى سنة خمس و ثلاثين و ثلثمائة، أقام كافور هذا أبناءه واحدا بعد واحد. و كان الذى ولّى أوّلا أبا القاسم أنوجور بن الإخشيذ- و معنى أنوجور بالعربية محمود- و قد تقدّم ذلك كلّه. فدام أنوجور فى الملك إلى أن مات فى يوم السبت لثمان خلون من ذى القعدة سنة تسع و أربعين و ثلثمائة. ثم بعد موت أنوجور أقام أخاه أبا الحسن علىّ بن الإخشيذ كما تقدّم ذكر ذلك كلّه فى ترجمتهما. و كان كافور هذا هو مدبّر ملكهما. و دخل كافور فى أيّام ولايتهما فى ضمان البلاد مع الخليفة، و وفّى بما ضمنه.

و لمّا مات الإخشيذ اضطربت أحوال الديار المصريّة، فخرج كافور منها بآبنى الإخشيذ و توجّه بهما إلى الخليفة المطيع للّه، و أصلح أمرهما معه، و التزم كافور

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲

للخليفة بأمر الديار المصريّة، ثم عاد كافور بهما إلى الديار المصريّة. و كان غلبون قد تغلّب على مصر بعد موت الإخشيذ فى غيبة كافور لمّا توجّه إلى العراق؛ فقدم كافور إلى مصر و تهيّأ لحرب غلبون المذكور و حاربه و ظفر به و قتله، و أصلح أحوال الديار المصريّة؛ و استمر مدبّرها إلى أن مات أنوجور و تولّى أخوه علىّ؛ ثم مات علىّ أيضا فى سنة خمس و خمسين و ثلثمائة؛ و استقل كافور بالأمر و خطب له على المنابر و تمّ أمره.

قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبىّ فى تاريخ الإسلام: كافور الإخشيذىّ الحبشىّ الأستاذ السلطان أبو المسك اشتراه الإخشيذ من بعض رؤساء مصر، كان أسود بضّاصا. ثم ساق الذهبىّ نحو ما حكيناه، إلى أن قال: تقدّم عند الإخشيذ صاحب مصر لعقله و رأيه و سعده إلى أن صار من كبار القوّاد، و جهّزه الإخشيذ فىّ جيش لحرب سيف الدولة بن حمدان. ثم إنه لمّا مات أستاذه صار أتابك ولده أبى القاسم أنوجور و كان صبيّا؛ فغلب كافور على الأمر، و بقى الاسم لأبى القاسم و الدّست لكافور، حتّى قال وكيله: خدمت كافورا و راتبه فى اليوم ثلاث عشرة جراية، و توفّى و قد بلغت جرايته على يدى فى كلّ يوم ثلاثة عشر ألف جراية. قلت: و هو أتابك السلطان أنوجور، أمّا لمّا استقلّ بالملك فكان أكثر من ذلك.

و قال أبو المظفّر فى تاريخه مرآة الزمان: كان كافور شجاعا مقداما جوادا يفضل على الفحول. و قصده المتنبّى و مدحه فأعطاه أموالا كثيرة، ثم فارقه إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۳

العراق. و قال أبو الحسن بن أذين النحوىّ: حضرت مع أبى مجلس كافور و هو غاصّ بالناس، فقام رجل فدعا له، و قال فى دعائه: أدام اللّه أيّام مولانا (بكسر الميم من أيّام) فأنكر كافور و الحاضرون ذلك؛ فقام رجل من أوساط الناس فقال:

لا غرو إن لحن الداعى لسيّدنا أو غصّ من دهش بالريق أو بهر

و مثل سيّدنا حالت مهابته بين البليغ و بين القول بالحصر

فإن يكن خفض الأيام من غلط فى موضع النصب لا من قلّة البصر

فقد تفاءلت من هذا لسيّدنا و الفأل مأثورة عن سيّد البشر

بأنّ أيامه خفض بلا نصب و أنّ أوقاته صفو بلا كدر

فعجب الحاضرون من ذلك، و أمر له كافور بجائزة.

و قال أبو جعفر مسلم بن عبيد اللّه بن طاهر العلوىّ النّسابة: ما رأيت أكرم من كافور! كنت أسايره يوما و هو فى موكب خفيف يريد التنزّه و بين يديه عدّة جنائب بمراكب ذهب و فضة و خلفه بغال المراكب؛ فسقطت مقرعته من يده و لم يرها ركابيّته، فنزلت عن دابّتى و أخذتها من الأرض و دفعتها إليه؛ فقال:

أيّها الشريف، أعوذ باللّه من بلوغ الغاية، ما ظننت أن الزمان يبلّغنى حتى تفعل بى أنت هذا! و كاد يبكى؛ فقلت: أنا صنيعة الأستاذ و وليّه. فلما بلغ باب داره ودّعنى؛ فلما سرت التفتّ فإذا بالجنائب و البغال كلّها خلفى؛ فقلت: ما هذا؟

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۴

قالوا: أمر الأستاذ أن يحمل مركبه كلّه إليك، فأدخلته دارى؛ و كانت قيمته تزيد على خمسة عشر ألف دينار. و راوى هذه الحكاية مسلم بن عبيد اللّه المذكور من صالحى الأشراف.

و وقع له حكاية غريبة نذكرها فى ضمن هذه الترجمة، ثمّ نعود إلى ما نحن فيه من ترجمة كافور، و هى أنّه كان لمسلم بن عبيد اللّه المذكور غلام قد ربّاه من أحسن الغلمان، فرآه بعض القوّاد فبعث إليه ألف دينار مع رجل، و قال له: اشتر لى منه هذا الغلام؛ قال الرجل: فوافيته- يعنى الشريف مسلم ابن عبيد اللّه- فى الحمّام و رأيت الغلام عريانا فرأيت منظرا حسنا؛ فقلت فى نفسى: لا شكّ أنّ الشريف لا يفوته هذا الغلام، و أدّيت الرسالة؛ فقال الشريف ما دفع فيه هذا الثمن إلّا و هو يريد [أن] يعصى اللّه فيه، ارجع إليه بماله فلا أبيعه.

فعدت إليه و أخبرته و نمت تلك الليلة، فرأيت النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم فى المنام، فسلّمت عليه فما ردّ علىّ، و قال: ظننت فى ولدى مسلم الخنا مع الغلام امض إليه و اسأله أن يجعلك فى حلّ. فلما طلع الفجر مضيت إليه و أخبرته و بكيت و قبّلت يديه و رجليه و سألته أن يجعلنى فى حلّ؛ فبكى و قال: أنت فى حلّ و الغلام حرّ لوجه اللّه تعالى.

و أمّا كافور فإنّه لمّا صار قبل سلطنته مدبّر الممالك المصرية و عظم أمره أنف من ذلك خشداشه الأمير أبو شجاع فاتك الرومىّ الإخشيذىّ المقدّم ذكره فى سنة نيّف و خمسين و ثلثمائة. و كان فاتك يعرف بالمجنون، و كان الإخشيذ قد اشترى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۵

فاتكا هذا من أستاذه بالرملة كرها و أعتقه، و حظى عند الإخشيذ، و كان رفيقا لكافور هذا، و هو الأعظم مع طيش و خفّة و حبورة، و كان كافور عاقلا سيوسا؛ فكان كلّما تزايد أمر كافور و عظم يزيد جنون فاتك و حسده، فلا يلتفت كافور إليه بل يدرّ عليه الإحسان و يراعيه إلى الغاية. و كان الفيّوم إقطاع فاتك المجنون، فاستأذن فاتك كافورا أن يتوجّه إلى إقطاعه بالفيّوم و يسكن هناك حتى لا يرى عظمة كافور؛ فأذن له كافور فى ذلك و ودّعه؛ فخرج فاتك إلى الفيّوم، فلم يصحّ مزاجه بها لو خامتها فعاد بعد مدّة مريضا إلى مصر ليتداوى بها. و كان المتنبّى الشاعر بمصر قد مدح كافورا بغرر القصائد، فسمع المتنبّى بكرم المجنون فأحبّ أن يمدحه و لم يجسر خوفا من كافور. و كان كافور يكره فاتكا فى الباطن و يخافه، و صار فاتك يراسل المتنبّى و يسأل عنه إلى أن اتّفق اجتماعهما يوما بالصحراء و جرت بينهما مفاوضات. فلمّا رجع فاتك إلى داره بعث إلى المتنبّى بهديّة قيمتها ألف دينار، ثم أتبعها بهدايا أخر.

فاستأذن المتنبّى كافورا فى مدح فاتك فأذن له خوفا من فاتك و فى النفس شىء من ذلك؛ فمدحه المتنبّى بقصيدته التى أوّلها:

لا خيل عندك تهديها و لا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

إلى أن قال:

كفاتك و دخول الكاف منقصة كالشمس قلت و ما للشمس أمثال

فحقد كافور على المتنبّى لذلك، و فطن المتنبّى بعدوانه. فخرج من مصر هاربا، و كان هذا سببا لهجو المتنبّى كافورا بعد أن كان

مدحه بعدّة مدائح، على ما يأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۶

قال الذهبىّ: و كان كافور يدنى الشعراء و يجيزهم، و كان تقرأ عنده فى كلّ ليلة السّير و أخبار الدولة الأموية و العباسيّة و له ندماء، و كان عظيم الحرمة و له حجاب يمتنع عن الأمراء، و له جوار مغنّيات، و له من الغلمان الروم و السّود ما يتجاوز الوصف؛ زاد ملكه على ملك مولاه الإخشيذ؛ و كان كريما كثير الخلع و الهبات خبيرا بالسياسة فطنا ذكيا جيّد العقل داهية؛ كان يهادى المعزّ صاحب المغرب و يظهر ميله إليه، و كذا يذعن بالطاعة لبنى العبّاس و يدارى و يخدع هؤلاء و هؤلاء و تمّ له الأمر.

و كان وزيره أبو الفضل جعفر بن الفرات راغبا فى الخير و أهله. و لم يبلغ أحد من الخدّام ما بلغ كافور؛ و كان له نظر فى العربيّة و الأدب و العلم. و ممّن كان فى خدمته أبو إسحاق إبراهيم بن عبد اللّه النّجيرمىّ النحوىّ صاحب الزّجاج. و قال إبراهيم بن إسماعيل إمام مسجد الزبير: كان كافور شديد الساعد لا يكاد أحد يمدّ قوسه، فإذا جاءوه برام دعا بقوسه [و قال: ارم عليه]؛ فإن أظهر الرجل العجز ضحك و قدّمه و أثبته؛ و إن قوى على مدّها و استهان بها عبس و سقطت منزلته من عنده. ثم ذكر له حكايات تدلّ على أنه كان مغرى بالرمى. قال: و كان يداوم الجلوس غدوة و عشيّة لقضاء حوائج الناس، و كان يتهجّد و يمرّغ وجهه ساجدا و يقول: اللهمّ لا تسلّط علىّ مخلوقا. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۷

قلت: و نذكر حينئذ أحوال المتنبّى معه و ما مدحه به من القصائد. لما فارق المتنبّى سيف الدولة بن حمدان مغاضبا له، قصد كافورا الإخشيذىّ و دخل مصر و مدحه بقصيدته التى منها:

قواصد كافور توارك غيره و من ورد البحر استقلّ السواقيا

فجاءت بنا إنسان عين زمانه و خلّت بياضا خلفها و مآقيا

و هو أوّل مديح قاله فيه، و كان ذلك فى جمادى الآخرة سنة ست و أربعين و ثلثمائة.

و قال ابن خلّكان: و أنشده أيضا فى شوّال سنة سبع و أربعين و ثلثمائة قصيدته البائية التى يقول فيها:

و أخلاق كافور إذا شئت مدحه و إن لم أشأ تملى علىّ فأكتب

إذا ترك الإنسان أهلا وراءه و يمّم كافورا فما يتغرّب

و منها أيضا:

فإن لم يكن إلّا أبو المسك أوهم فإنّك أحلى فى فؤادى و أعذب

و كلّ امرئ يولى الجميل محبّب و كلّ مكان ينبت العزّ طيّب

و آخر شىء أنشده فى شوّال سنة تسع و أربعين و ثلثمائة- و لم يلقه بعدها- قصيدته البائيّة:

أرى لى بقربى منك عينا قريرة و إن كان قربا بالبعاد يشاب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۸

و هل نافعى أن ترفع الحجب بيننا و دون الذى أمّلت منك حجاب

أقلّ سلامى حبّ ما خفّ عنكم و أسكت كيما لا يكون جواب

و منها:

و ما أنا بالباغى على الحبّ رشوة ضعيف هوى يبغى عليه ثواب

و ما شئت ألا أن أدلّ عواذلى على أنّ رأيى فى هواك صواب

و أعلم قوما خالفونى فشرّقوا و غرّبت أنى قد ظفرت و خابوا

و منها:

و إنّ مديح الناس حقّ و باطل و مدحك حقّ ليس فيه كذاب

إذا نلت منك الودّ فالمال هيّن و كلّ الذى فوق التراب تراب

و ما كنت لولا أنت إلّا مهاجرا له كلّ يوم بلدة و صحاب

و لكنّك الدنيا إلىّ حبيبة فما عنك لى إلّا إليك ذهاب

و أقام المتنبّى بعد إنشاد هذه القصيدة سنة لا يلقى كافورا غضبا عليه، لكنه يركب فى خدمته [خوفا منه] و لا يجتمع به؛ و استعدّ للرحيل فى الباطن و جهّز جميع ما يحتاج إليه. و قال فى يوم عرفة قبل مفارقته مصر بيوم واحد قصيدتّه الداليّة التى هجا كافورا فيها. و فى آخر هذه القصيدة المذكورة يقول:

من علّم الأسود المخصىّ مكرمة أقومه البيض أم آباؤه الصّيد

أم أذنه فى يد النخّاس دامية أم قدره و هو بالفلسين مردود

و منها:

و ذاك أنّ الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السّود

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۹

و له فيه أهاج كثيرة تضمّنها ديوان شعره. و رحل المتنبّى من مصر إلى عضد الدّولة بن بويه.

و قال ابن زولاق: أقام كافور الإخشيذىّ الأستاذ إحدى و عشرين سنة و شهرين و عشرين يوما- يعنى أقام مدبّر مملكة مصر- من قبل ولدى أستاذه، و هما أنوجور و علىّ ابنا الإخشيذ محمد بن طغج، و أقام هو فيها سنتين و أربعة أشهر و سبعة أيّام ملكا مستقلّا بنفسه. قلت: و نذكر ذلك محرّرا بعد ذلك. قال ابن زولاق: و كان كافور ديّنا كريما. و سماطه، على ما ذكره صاحب كنز الدّرر، فى اليوم: مائتا خروف كبار، و مائة خروف رميس، و مائتان و خمسون إوزّة، و خمسمائة دجاجة، و ألف طير من الحمام، و مائة صحن حلوى كلّ صحن عشرة أرطال، و مائتان و خمسون قرابة أقسما.

قال: و لما توفّى كافور اجتمع الأولياء و تعاقدوا و تعاهدوا ألّا يختلفوا، و كتبوا بذلك كتابا ساعة توفّى كافور و عقدوا الولاية لأحمد بن علىّ الإخشيذ، و كان إذ ذاك صبيّا ابن إحدى عشرة سنة- و كافور بعد فى داره لم يدفن- و دعى له على المنابر بمصر و أعمالها و الشامات و الحرمين، ثم من بعده للحسن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۰

ابن عبيد اللّه. ثم عقد للحسن بن عبيد اللّه المذكور على بنت عمّه فاطمة بنت الإخشيذ بوكيل سيّره من الشام؛ و جعل التدبير بمصر فيما يتعلّق بالأموال إلى الوزير أبى الفضل جعفر بن الفرات، و ما يتعلّق بالرجال و العساكر لسمول الإخشيذىّ صاحب الحمّام بمصر. و كلّ ذلك كان فى يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة سبع و خمسين و ثلثمائة. انتهى كلام ابن زولاق رضى اللّه عنه.

و أمّا وفاة كافور المذكور فإنّه توفّى بمصر فى جمادى الأولى سنة ستّ و خمسين و ثلثمائة، و قيل: سنة سبع و خمسين و ثلثمائة، و قيل: سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة، و الأصحّ سنة سبع و خمسين و ثلثمائة، قبل دخول القائد جوهر المعزّىّ إلى مصر. و قيل:

إنّه لمّا دخل جوهر القائد إلى مصر خرج منها كافور هذا؛ و ليس بشىء، و الأوّل أصحّ. و ملك بعده أحمد بن علىّ بن الإخشيذ الآتى ذكره. و عاش كافور بضعا و ستين سنة، و كانت إمارته على مصر اثنتين و عشرين سنة، منها استقلالا بالملك سنتان و أربعة أشهر، خطب له فيها على منابر مصر و الشام و الحجاز و الثغور، مثل طرسوس و المصّيصة و غيرهما، و حمل تابوته إلى القدس فدفن به؛ و كتب على قبره:

ما بلل قبرك يا كافور منفردا بالصحصح المرت بعد العسكر اللّجب

يدوس قبرك آحاد الرجال و قد كانت أسود الشّرى تخشاك فى الكتب

و قال الوليد بن بكر العمرىّ وجدت على قبر كافور مكتوبا:

انظر إلى عبر الأيّام ما صنعت أفنت أناسا بها كانوا و ما فنيت

دنياهم ضحكت أيّام دولتهم حتّى إذا فنيت ناخت لهم و بكت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۱

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۵]

السنة الأولى من ولاية كافور الإخشيذىّ على مصر- و هى سنة خمس و خمسين و ثلثمائة.

فيها أقيم المأتم على الحسين رضى اللّه عنه فى يوم عاشوراء ببغداد على العادة.

و فيها ورد الخبر بأنّ ركب الشام و مصر و المغرب من الحجّاج أخذوا و هلك أكثرهم و وصل الأقلّ إلى مصر، و تمزّق الناس كلّ ممزّق، و أخذتهم بنو سليم؛ و كان ركبا عظيما نحو عشرين ألف جمل، معهم الأمتعة و الذهب؛ فما أخذ لقاضى طرسوس المعروف بالخواتيمى [مائة ألف و] عشرون ألف دينار.

و فيها قدم أبو الفوارس محمد بن ناصر الدولة من الأسر إلى ميّافارقين؛ كانت أخت ملك الروم أخذته لتفادى به أخاها، فنفّذ سيف الدولة أخاها فى ثلثمائة إلى حصن الهياج، فلما شاهد بعضهم بعضا سرّح المسلمون أسيرهم فى خمسة فوارس و سرّح الروم أسيرهم أبا الفوارس فى خمسة؛ فآلتقيا فى وسط الطريق و تعانقا، ثم صار كلّ واحد إلى أصحابه فترجّلوا له و قبّلوا الأرض؛ و احتفل سيف الدولة بن حمدان لقدوم ابن أخيه و عمل الأسمطة الهائلة، و قدّم له الخيل و المماليك و العدد التامّة؛ فمن ذلك مائة مملوك بمناطقهم و سيوفهم و خيولهم.

و فيها جاء الخبر بأنّ نائب أنطاكية محمد بن موسى الصّلحىّ أخذ الأموال التى فى خزائن أنطاكية و خرج بها كأنّه متوجّه إلى سيف الدولة بن حمدان فدخل بلاد الروم مرتدّا. و قيل: إنه كان عزم على تسليم أنطاكية إلى الروم، فلم يمكنه ذلك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۲

لاجتماع أهل البلد على ضبطه، فخشى أن ينمّ خبره إلى سيف الدولة فيتلفه فهرب بالأموال.

و فيها قدم الغزاة الخراسانية من الغزو إلى ميّافارقين، فتلقّاهم أبو المعالى بن سيف الدولة و بالغ فى إكرامهم بالأطعمة و العلوفات. و كان رئيس الغزاة المذكورين محمد بن عيسى.

و فيها سار طاغية الروم بجموعه إلى الشام، فعاث و أفسد و أقام به نحو خمسين يوما؛ فبعث سيف الدولة يستنجد أخاه ناصر الدولة لبعده؛ و وقع لسيف الدولة مع الروم حروب و وقائع كثيرة.

و فيها توفّى محمد بن عمر بن محمد بن سالم أبو بكر [بن] الجعابىّ التميمىّ البغدادىّ الحافظ قاضى الموصل، سمع الكثير و رحل و كان حافظ زمانه، يحب أبا العباس ابن عقدة، و صنّف الأبواب و الشيوخ و التاريخ، و كان يتشيّع؛ و روى عنه الدارقطنىّ و أبو حفص بن شاهين و الحاكم أبو عبد اللّه و آخرون آخرهم وفاة أبو نعيم الحافظ.

و مولده فى صفر سنة أربع و ثمانين و مائتين. قال أبو علىّ الحافظ النيسابورىّ:

ما رأيت فى المشايخ أحفظ من عبدان، و لا رأيت فى أصحابنا أحفظ من أبى بكر [بن] الجعابىّ!.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۳

و فيها توفّى محمد بن الحسين بن علىّ بن الحسن الأنبارىّ الشاعر المشهور، كان انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن مات بها فى شهر

رمضان. و كان من فحول الشعراء. و من شعره و قد رأيته لغيره:

أبكى و تبكى الحمام لكن شتّان ما بينها و بينى

تبكى بعين بغير دمع و ابكى بدمع بغير عين

و يعجبنى فى هذا قول أمير المؤمنين عبد اللّه بن المعتز:

بكت عينى غداة البين حزنا و أخرى بالبكا بخلت علينا

فعاقبت التى بخلت بدمع بأن غمّضتها يوم التقينا

و مما يجيش ببالى أيضا فى هذا المعنى قول القائل، و لم أدر لمن هو غير أننى أحفظه قديما:

قالت سعاد أتبكى بالدمع بعد الدماء

فقلت قد شاب دمعى من طول عمر بكائى

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو الحسن علىّ بن الحسن بن علّان الحرّانى الحافظ يوم النحر، و أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سالم التميمىّ [ابن] الجعابىّ، و أبو الحكم منذر بن سعيد البلّوطىّ قاضى الأندلس و عالمها و مفتيها.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ثمانى أصابع.

مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۴

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۶]

السنة الثانية من ولاية كافور الإخشيذىّ على مصر- و هى سنة ست و خمسين و ثلثمائة.

فيها عملت الرافضة المأتم فى يوم عاشوراء ببغداد على العادة.

و فيها مات السلطان معزّ الدولة بن بويه الآتى ذكره، و تولّى مملكة العراق من بعده ابنه عزّ الدولة بختيار بن أحمد بن بويه. و فيها قبض على الملك ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان ولده أبو تغلب، لأنّ أخلاقه ساءت و ظلم و قتل جماعة و شتم أولاده و تزايد أمره؛ فقبض عليه ولده المذكور بمشورة [رجال] الدولة فى جمادى الأولى، و بعثه إلى القلعة و رتّب له كل ما يحتاج إليه و وسّع عليه.

و فيها توفى السلطان معزّ الدولة أبو الحسن أحمد بن بويه بن فنّا خسرو بن تمام بن كوهى؛ كان أبوه بويه يصطاد السمك و كان ولده هذا ربما احتطب.

و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى محلّه فى هذا الكتاب؛ مآل أمره إلى الملك. و كان قدومه إلى بغداد سنة أربع و ثلاثين و ثلثمائة، و كان موته بالبطن، فعهد إلى ولده عزّ الدولة أبى منصور بختيار، و كان الرّفض فى أيّامه ظاهرا ببغداد؛ و يقال:

إنه تاب قبل موته و تصدّق و أعتق. قلت: و جميع بنى بويه على هذا المذهب القبيح غير أنهم لا يفشون ذلك خوفا على الملك. و مات معزّ الدولة فى سابع عشر شهر ربيع الآخر عن ثلاث و خمسين سنة؛ و كانت دولته اثنتين و عشرين سنة. و كان قد ردّ المواريث إلى ذوى الأرحام. و يقال: إنه من ذرّيّة سابور ذى الأكتاف.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۵

و هو أخو ركن الدولة الحسن، و عماد الدّولة علىّ. و كان معزّ الدولة يعرف بالأقطع؛ كان أصابته جراح طارت بيده اليسرى و بعض أصابع اليمنى. و هو عمّ عضد الدولة الآتى ذكره أيضا.

و فيها توفى علىّ بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم الإمام العلّامة أبو الفرج الأصبهانىّ الكاتب، مصنّف كتاب الأغانى و غيره؛ سمع الحديث و تفقّه و برع و استوطن بغداد من صباه، و كان من أعيان أدبائها؛ كان أخباريّا نسّابة شاعرا ظاهرا بالتشيّع. قال أبو علىّ التّنوخىّ: كان أبو الفرج يحفظ من الشعر و الأغانى و الأخبار و المسندات و الأنساب مالم أر قطّ مثله، و يحفظ سوى ذلك من علوم أخر، منها: اللغة و النحو و المغازى و السّير. قلت: و كتاب الأغانى فى غاية الحسن.

و كان منقطعا إلى الوزير المهلّبىّ و له فيه غرر مديح، و له فيه من جملة قصيدة يهنّئه بمولود من سرّيّة:

اسعد بمولود أتاك مباركا كالبدر أشرق جنح ليل مقمر

سعد لوقت سعادة جاءت به أمّ حصان من بنات الأصفر

متبحبح فى ذروتى شرف العلا بين المهلّب منتماه و قيصر

شمس الضحى قرنت إلى بدر الدّجى حتى إذا اجتمعا أتت بالمشترى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۶

و شعره كثير و محاسنه مشهورة. ولادته فى سنة أربع و ثمانين و مائتين، و هى السنة التى مات فيها البحترىّ الشاعر. و مات فى يوم الأربعاء رابع عشر ذى الحجة.

و فيها توفّى سيف الدولة أبو الحسن علىّ بن عبد اللّه بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد بن المثنّى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن محربة بن حارثة بن مالك بن عبيد بن عدىّ بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غنم بن تغلب التغلبىّ، و مولده فى يوم الأحد سابع عشر ذى الحجة سنة ثلاث و ثلثمائة، و قيل: سنة إحدى و ثلثمائة. قال أبو منصور الثعالبى: «كان بنو حمدان ملوكا، و [أمراء]؛ أوجههم للصباحة، و ألسنتهم للفصاحة، و أيديهم للسماحة، و عقولهم للرّجاحة؛ و سيف الدولة مشهور بسيادتهم، و واسطة قلادتهم. و حضرته مقصد الوفود، و مطلع الجود؛ و قبلة الآمال، و محطّ الرحال؛ و موسم الأدباء، و حلبة الشعراء».

و كان سيف الدولة ملكا شجاعا مقداما كريما شاعرا فصيحا ممدّحا.

و قصده الشعراء من الآفاق، و مدحه المتنبّى بغرر المدائح. و من شعر سيف الدولة فى قوس قزح:

و ساق صبيح للصّبوح دعوته فقام و فى أجفانه سنة الغمض

يطوف بكاسات العقار كأنجم فمن بين منقضّ علينا و منفضّ

و قد نشرت أيدى الجنوب مطارفا على الجود كنا و الحواشى على الأرض

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۷

يطرّزها قوس السحاب بأصفر على أحمر فى أخضر إثر مبيضّ

كأذيال خود أقبلت فى غلائل مصبّغة و البعض أقصر من بعض

قال ابن خلّكان: و هذا من التشبيهات الملوكيّة التى لا يكاد يحضر مثلها السوقة. و يحكى أنّ ابن عمّه أبا فراس الأمير الشاعر كان يوما بين يدى سيف الدولة فى نفر من ندمائه؛ فقال لهم سيف الدولة: أيّكم يجيز قولى؟ و ليس له إلّا سيّدى (يعنى ابن عمّه أبا فراس المذكور) و قال:

لكك جسمى تعلّه فدمى لم تحلّه

فارتجل أبو فراس و قال:

أنا إن كنت مالكا فلى الأمر كلّه

فاستحسنه و أعطاه ضيعة بأعمال منبج تغلّ ألفى دينار فى كلّ سنة.

و من شعر سيف الدولة أيضا:

تجنّى علىّ الذنب و الذنب ذنبه و عاتبنى ظلما و فى شقّه العتب

و أعرض لمّا صار قلبى بكفّه فهلّا جفانى حين كان لى القلب

إذا برم المولى بخدمة عبده تجنّى له ذنبا و إن لم يكن ذنب

و له:

أقبّله على جزع كشرب الطائر الفزع

رأى ماء فأطمعه و خاف عواقب الطمع

فصادف خلسة فدنا و لم يلتذّ بالجرع

و أما ما قيل فى سيف الدولة من المديح فكثير يضيق هذا المحلّ عن ذكر شىء منه. و كانت وفاته يوم الجمعة فى ثالث ساعة، و قيل: رابع ساعة، لخمس بقين من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۸

صفر بحلب. و نقل إلى ميّافارقين و دفن فى تربة أمّه و هى داخل البلد. و كان مرضه بعسر البول. و كان قد جمع من نفض الغبار الذى يجتمع عليه فى غزواته شيئا، و جعله لبنة بقدر الكفّ، و أوصى أن يوضع خدّه عليها فى لحده، فنفّذت وصيّته فى ذلك. و كان ملك حلب فى سنة ثلاث و ثلاثين و ثلثمائة؛ انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابىّ صاحب الإخشيذ، و كان قبل ذلك ملك واسط و تلك النواحى.

و فيها توفّى جعفر بن محمد بن الحارث الشيخ أبو محمد المراغى المحدّث المشهور؛ كان فاضلا رواية للشعر. قال: أنشدنى منصور بن إسماعيل الفقيه:

لى حيلة فيمن ينمّ و ليس فى الكذّاب حيله

من كان يخلق ما يقو ل فحيلتى فيه قليله

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و أربع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة اثنتا عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۷]

اشارة

السنة الثالثة من ولاية كافور الإخشيذىّ على مصر- و هى سنة سبع و خمسين و ثلثمائة، و هى التى مات فيها كافور المذكور حسب ما تقدّم ذكره.

فيها عملت الرافضة مأتم الحسين بن علىّ فى بغداد على العادة فى كلّ سنة فى يوم عاشوراء.

و فيها لم يحجّ أحد من الشام و لا من مصر. و فيها فى ذى القعدة أقبل تقفور عظيم الروم بجيوشه إلى الشام فخرج من دربند و نازل أنطاكية فلم يلتفتوا إليه؛ فقال أرحل و أخرّب الشام ثم أعود إليكم من الساحل؛ و رحل و نازل معرّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۹

مصرين فأخذها و غدر بهم و أسر منهم أربعة آلاف و ستمائة نسمة. ثم نزل على معرّة النّعمان فأحرق جامعها؛ و كان الناس قد هربوا فى كلّ وجه إلى الحصون و البرارىّ و الجبال. ثم سار إلى كفرطاب و شيزر، ثم إلى حماة و حمص و خرج من بقى بها فأمّنهم و دخلها و صلّى فى البيعة و أخذ منها رأس يحيى بن زكريا، و أحرق الجامع. ثمّ سار إلى عرقة فافتتحها، ثم سار إلى طرابلس فأخذ

ربضها. و أقام فى الشام أكثر من شهرين و رجع؛ فأرضاه أهل أنطاكية بمال عظيم.

و فيها تزوّج عزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة أحمد بن بويه بابنة عسكر الرومىّ الكردىّ على صداق مائة ألف دينار.

و فيها قتل أبو فراس [الحارث] بن أبى العلاء سعيد بن حمدان التغلبىّ العدوىّ الأمير الشاعر الفصيح، تقدّم بقية نسبه فى ترجمة ابن عمّه سيف الدولة بن حمدان، و مولده بمنبج فى سنة عشرين و ثلثمائة، و كان يتنقّل فى بلاد الشام فى دولة ابن عمّه سيف الدولة بن حمدان؛ و كان من الشّجعان و الشعراء المفلقين؛ و ديوان شعره موجود. و من شعره قصيدة:

رأيت الشيب لاح فقلت أهلا و ودّعت الغواية و الشبابا

و ما إن شبت من كبر و لكن لقيت من الأحبّة ما أشابا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۰

و له أيضا:

من يتمنّ العمر فليدّرع صبرا على فقد أحبّائه

و من يؤجّل ير فى نفسه ما يتمنّاه لأعدائه

و فيها توفّى حمزة بن محمد بن علىّ بن العبّاس الحافظ أبو القاسم الكنانىّ المصرىّ، سمع الكثير و رحل و طوّف و جمع و صنّف، و روى عنه ابن مندة و الدارقطنىّ و الحافظ عبد الغنى [بن سعيد الأزدىّ] و غيرهم. و قال ابن مندة: سمعت حمزة ابن محمد الحافظ يقول: كنت أكتب الحديث فلا أكتب «و سلّم»؛ فرأيت النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم فى المنام، فقال [لى]: أما تختم الصلاة علىّ فى كتابك!

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أحمد بن الحسن ابن إسحاق بن عتبة الرّازى بمصر، و أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح النّسوىّ، و حمزة بن محمد أبو القاسم الكنانىّ بمصر، و أبو العباس عبد اللّه بن الحسين النّضرىّ المروزىّ فى شعبان عن سبع و تسعين سنة، و عمر بن جعفر البصرىّ الحافظ، و أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن علىّ بن محرم المحتسب، و أبو سليمان محمد بن الحسين الحرّانىّ، و أبو علىّ محمد [بن محمد بن عبد الحميد بن خالد بن إسحاق] ابن آدم الفزارىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراع واحدة و إحدى و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۱

ذكر ولاية أحمد بن علىّ بن الإخشيذ على مصر

هو أحمد بن علىّ بن الإخشيذ محمد بن طغج بن جفّ الأمير أبو الحسن التّركىّ الفرغانىّ المصرىّ. ولى سلطنة مصر بعد موت مولى جدّه كافور الإخشيذىّ فى العشرين من جمادى الأولى سنة سبع و خمسين و ثلثمائة و هو يوم مات كافور، و سنّه يوم ولى إحدى عشرة سنة؛ و صار الحسن بن عبيد اللّه بن طغج- أعنى ابن عمّ أبيه- [خليفته]، و أبو الفضل جعفر بن الفرات [وزيره]، و معهما أيضا سمول الإخشيذىّ مدبّر العساكر. فأساء أبو الفضل جعفر بن الفرات السيرة و قبض على جماعة و صادرهم، منهم يعقوب بن كلّس الآتى ذكره؛ فهرب يعقوب بن كلّس المذكور إلى المغرب، و هو من أكبر أسباب حركة المعزّ، و إرسال جوهر القائد إلى الديار المصريّة. و لما زاد أمر ابن الفرات اختلف عليه الجند و اضطربت أمور الديار المصريّة على ما سنذكره بعد أن نذكر مقالة ابن خلكان إن شاء اللّه تعالى.

قال ابن خلّكان ": و كان عمر أبى الفوارس أحمد بن علىّ بن الإخشيذ يوم ولى إحدى عشرة سنة، و جعل الجند خليفته فى تدبير أموره أبا محمد الحسن بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۲

عبيد اللّه بن طغج بن جفّ، و هو ابن عمّ أبيه، و كان صاحب الرملة من بلاد الشام، و هو الذى مدحه المتنبّى بقصيدته التى أوّلها:

أنا لائمى إن كنت وقت اللوائم علمت بمابى بين تلك المعالم

و قال فى مخلصها:

إذا صلت لم أترك مصالا لفاتك و إن قلت لم أترك مقالا لعالم

و إلّا فخانتنى القوافى و عافنى عن ابن عبيد اللّه ضعف العزائم

و منها:

أرى دون ما بين الفرات و برقة ضرابا يمشّى الخيل فوق الجماجم

و طعن غطاريف كأنّ أكفّهم عرفن الرّدينيات قبل المعاصم

حمته على الأعداء من كل جانب سيوف بنى طغج بن جفّ القماقم

هم المحسنون الكرّ فى حومة الوغى و أحسن منه كرّهم فى المكارم

و هم يحسنون العفو عن كلّ مذنب و يحتملون الغرم عن كلّ غارم

قال: و لمّا تقرّر الأمر على هذه القاعدة تزوّج الحسن بن عبيد اللّه فاطمة ابنة عمّه الإخشيذ، و دعوا له على المنابر بعد أبى الفوارس أحمد بن علىّ صاحب الترجمة.

قال: و الحسن بالشام. و استمرّ الحال على ذلك إلى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان من سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة، و دحل إلى مصر رايات المغاربة الواصلين صحبة القائد جوهر المعزّى، و انقرضت الدولة الإخشيذيّة من مصر. و كانت مدّتها أربعا و ثلاثين سنة و عشرة أشهر و أربعة و عشرين يوما. و كان قد قدم الحسن بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۳

عبيد اللّه من الشام منهزما من القرامطة لمّا استولوا على الشام. و دخل الحسن على ابنة عمّه التى تزوّجها و حكم بمصر و تصرّف و قبض على الوزير جعفر بن الفرات و صادره و عذّبه؛ ثم سار إلى الشام فى مستهلّ شهر ربيع الآخر من سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة. و لمّا سيّر القائد جوهر جعفر بن فلاح إلى الشام و ملك البلاد أسر ابن فلاح المذكور أبا محمد الحسن بن عبيد اللّه بن طغج و سيّره إلى مصر مع جماعة من الأمراء إلى جوهر القائد، و دخلوا إلى مصر فى جمادى الأولى سنة تسع و خمسين و ثلثمائة. و كان الحسن بن عبيد اللّه قد أساء إلى أهل مصر فى مدّة ولايته عليهم، فلمّا وصلوا إلى مصر تركوهم وقوفا مشهورين مقدار خمس ساعات و الناس ينظرون إليهم و شمت بهم من فى نفسه منهم شىء؛ ثم أنزلوا الى مضرب القائد جوهر و جعلوا مع المعتقلين من آل الإخشيذ. ثمّ فى السابع عشر من جمادى الأولى أرسل القائد جوهر ولده جعفرا إلى مولاه المعزّ و معه هدايا عظيمة تجلّ عن الوصف، و أرسل معه المأسورين الواصلين من الشام، و فيهم الحسن بن عبيد اللّه، و حملوا فى مركب بالنيل و جوهر ينظرهم، و انقلب المركب، فصاح الحسن بن عبيد اللّه على القائد جوهر: يا أبا الحسن، أ تريد أن تغرقنا! فاعتذر إليه و أظهر له التوجع، ثم نقلوا إلى مركب آخر». انتهى كلام ابن خلّكان باختصار. و لم يذكر ابن خلّكان أمر أحمد بن علىّ بن الإخشيذ- أعنى صاحب الترجمة- و أظنّ ذلك لصغر سنّه.

و قال غير ابن خلكان فى أمر انقراض دولة بنى الإخشيد وجها آخر، و هو أن الجند لمّا اختلفوا على الوزير أبى الفضل بن الفرات و طلب منه الأتراك الإخشيذيّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۴

و الكافوريّة مالا قدرة له به من المال، و لم تحمل إليه أموال الضمانات، قاتلوه و نهبت داره و دور جماعة من حواشيه. ثم كتب جماعة منهم إلى المعزّ العبيدىّ بالمغرب يستدعونه و يطلبون منه إنفاذ العساكر إلى مصر؛ و فى أثناء ذلك قدم الحسن بن عبيد اللّه بن طغج من الشام منهزما من القرامطة، و دخل على ابنة عمّه، و قبض على الوزير أبى الفضل جعفر بن الفرات لسوء سيرته و لشكوى

الجند منه؛ فعذّبه و صادره؛ و تولّى الحسن بن عبيد اللّه تدبير مصر بنفسه ثلاثة أشهر، و استوزر كاتبه الحسن بن جابر الرّياحىّ؛ ثم أطلق الوزير جعفر بن الفرات من محبسه بوساطة الشريف أبى [جعفر] مسلم الحسينى، و فوّض إليه أمر مصر ثانيا؛ كلّ ذلك و أحمد بن علىّ صاحب الترجمة ليس له من الأمر إلّا مجرّد الاسم فقط. ثم سافر الحسن بن عبيد اللّه بن طغج من مصر إلى الشام فى مستهلّ شهر ربيع الآخر سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة، و بعد مسيره بمدّة يسيرة فى جمادى الآخرة من السنة وصل الخبر بمسير عسكر المعزّ صحبة جوهر القائد الرومىّ إلى مصر؛ فجمع الوزير جعفر بن الفرات [أنصاره] و استشارهم فيما يعتمد؛ فاتّفق الرأى على أمر فلم يتمّ. و قدم جوهر القائد إلى الديار المصريّة بعد أمور نذكرها فى ترجمته إن شاء اللّه تعالى؛ و زالت دولة بنى الإخشيذ من مصر و انقطع الدعاء منها لبنى العباس. و كانت مدّة دولة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۵

الإخشيذ و بنيه بمصر أربعا و ثلاثين سنة و أربعة و عشرين يوما؛ منها دولة أحمد بن علىّ هذا- أعنى أيام سلطنته بمصر- سنة واحدة و ثلاثة أشهر إلّا ثلاثة أيام. و كانت مدّة الدعاء لبنى العباس بمصر منذ ابتدأت دولة بنى العبّاس إلى أن قدم القائد جوهر المعزّىّ و خطب باسم مولاه المعزّ معدّ العبيدىّ الفاطمىّ مائتى سنة و خمسا و عشرين سنة. و منذ افتتحت مصر إلى أن انتقل كرسى الإمارة منها إلى القائد جوهر ثلثمائة سنة و تسعا و ثلاثين سنة. انتهت ترجمة أحمد بن علىّ ابن الإخشيذ.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۸]

اشارة

السنة التى حكم فى بعضها أحمد بن علىّ بن الإخشيذ على مصر، و كانت ولايته فى جمادى الأولى من السنة الماضية، غير أننا ذكرنا تلك السنة فى ترجمة كافور، و نذكر هذه السنة فى ولاية أحمد هذا، على أنّ القائد جوهرا حكم فى آخرها؛ و ليس ما نحن فيه من ذكر السنين على التحرير، و إنّما المقصود ذكر الحوادث على أىّ وجه كان. و هذه السنة هى سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة.

فيها عملت الرافضة المأتم فى يوم عاشورا ببغداد و زادوا فى النّوح و تعليق المسوح، ثم عيّدوا يوم الغدير.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۶

و فيها كان القحط ببغداد و أبيع الكرّ بتسعين دينارا.

و فيها ملك جوهر القائد العبيدىّ مصر و خطب لبنى عبيد المغاربة، و انقطع الدعاء لبنى العبّاس من مصر، حسب ما ذكرناه فى ترجمة أحمد بن علىّ ابن الإخشيذ هذا.

و فيها حجّ بالناس من العراق الشريف أبو أحمد الموسوىّ والد الرضىّ و المرتضى.

و فيها ولى إمرة دمشق الحسن بن عبيد اللّه بن طغج [ابن] أخى الإخشيذ فأقام بها شهورا ثم رحل فى شعبان، و استناب بها سمول الكافورىّ؛ ثم سار الحسن إلى الرملة فالتقى مع ابن فلاح مقدّمة جوهر القائد فى ذى الحجة بالرملة؛ فانهزم جيشه.

و أخذ أسيرا و حمل إلى المغرب، حسب ما ذكرناه فى ترجمة أحمد بن علىّ الإخشيذ صاحب الترجمة.

و فيها عصى جند حلب على ابن سيف الدولة، فجاء من ميافارقين و نازل حلب، و بقى القتال عليها مدّة.

و فيها استولى الرّعيلىّ على أنطاكية، و هو رجل غير أمير و إنّما هو من الشّطّار، و انضم عليه جماعة فقوى أمره بهم؛ فجاءت الروم و نزلوا على أنطاكية و أخذوها فى ليلة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۷

واحدة؛ و هرب الرعيلىّ من باب البحر هو و خمسة آلاف إنسان و نجوا إلى الشام؛ و كان أخذها فى ذى الحجة من هذه السنة، و أسر الروم أهلها و قتلوا جماعة كثيرة.

و فيها جاء القائد جعفر بن فلاح مقدّمة القائد جوهر العبيدى المعزّى إلى الشام؛ فحاربه أميرها الشريف ابن أبى يعلى، فانهزم الشريف و أسره جعفر بن فلاح و تملّك دمشق.

و فيها توفّى ناصر الدولة الحسن بن أبى الهيجاء عبد اللّه بن حمدان- تقدّم بقيّة نسبه فى ترجمة أخيه سيف الدولة- كان ناصر الدولة صاحب الموصل و نواحيها، و كان أخوه سيف الدولة يتأدّب معه، و كان هو أيضا شديد المحبة لسيف الدولة. فلما مات سيف الدولة تغيّرت أحواله لحزنه عليه، و ساءت أخلاقه و ضعف عقله؛ فقبض عليه ابنه أبو تغلب الغضنفر بمشورة الأمراء و حبسه مكرّما- حسب ما ذكرناه- فلم يزل محبوسا إلى أن مات فى شهر ربيع الأوّل.

و قيل: إنّ ناصر الدولة هذا كان وقع بينه و بين أخيه سيف الدولة وحشة؛ فكتب إليه سيف الدولة، و كان هو الأصغر و ناصر الدولة الأكبر، يقول:

رضيت لك العليا و قد كنت أهلها و قلت لهم بينى و بين أخى فرق

و لم يك بى عنها نكول و إنّما تجافيت عن حقّى فتمّ لك الحقّ

و لا بدّ لى من أن أكون مصلّيا إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

و فيها توفّى سابور بن أبى طاهر القرمطىّ فى ذى الحجة، كان طالب قبل موته عمومته بتسليم الأمر إليه فحبسوه، فأقام فى الحبس أيّاما ثم خرج من الحبس؛ و عمل فى ذى الحجة ببغداد «غدير خمّ» على ما جرت به العادة، ثم مات بعد مدّة يسيرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۸

و فيها توفّى أحمد بن الراضى باللّه بعد أن طالت علّته بمرض البواسير.

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن جعفر الشيخ أبو بكر البيهقىّ، كان من كبار مشايخ نيسابور فى زمانه. سئل عن الفتوّة، فقال: هى حسن الخلق و بذل المعروف.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان التّغلبىّ صاحب الموصل و كان أسنّ من سيف الدولة.

و الحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان الحربىّ. و أبو القاسم زيد بن علىّ بن أبى بلال الكوفىّ. و محمد بن معاوية الأموىّ القرطبىّ فى شهر رجب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و تسع أصابع.

ذكر ولاية جوهر القائد الرومىّ المعزّىّ على مصر

هو أبو الحسن جوهر بن عبد اللّه القائد المعزّى المعروف بالكاتب، مولى المعزّ لدين اللّه أبى تميم معدّ العبيدىّ الفاطمىّ. كان خصيصا عند أستاذه المعزّ، و كان من كبار قوّاده؛ ثم جهّزه أستاذه المعزّ إلى أخذ مصر بعد موت الأستاذ كافور الإخشيذى؛ و أرسل معه العساكر و هو المقدّم على الجميع؛ و كان رحيله من إفريقيّة فى يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الأوّل سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة؛ و تسلّم مصر فى يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان من السنة. على ما سنحكيه.

و لمّا دخل مصر صعد المنبر يوم الجمعة خطيبا و خطب و دعا لمولاه المعزّ بإفريقيّة؛ و ذلك فى نصف شهر رمضان سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة المذكورة. و كان المعزّ لما ندب جوهرا هذا إلى التوجّه إلى الديار المصريّة أصحبه من الأموال و الخزائن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۹

ما لا يحصى، و أطلق يده فى جميع ذلك، و أفرغ الذهب فى صور الأرحاء، و حملها على الجمال لعظم ذلك فى قلوب الناس. و قال فى رحيله من القيروان شاعر الأندلس محمد بن هانئ قصيدته المشهورة فى جوهر، و هى:

رأيت بعينى فوق ما كنت أسمع و قد راعنى يوم من الحشر أروع

غداة كأنّ الأفق سدّ بمثله فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

فلم أدر إذ ودّعت كيف أودّع و لم أدر إذ شيّعت كيف أشيّع

ألا إنّ هذا حشد من لم يذق له غرار الكرى جفن و لا بات يهجع

إذا حلّ فى أرض بناها مدائنا و إن سار عن أرض غدت و هى بلقع

تحلّ بيوت المال حيث محلّه و جمّ العطايا و الرّواق المرفّع

و كبّرت الفرسان للّه إذ بدا و ظلّ السلاح المنتضى يتقعقع

و عبّ عباب الموكب الفخم حوله و زفّ كما زفّ الصباح الملمّع

رحلت إلى الفسطاط أوّل رحلة بأيمن فال فى الذى أنت تجمع

فإن يك فى مصر ظماء لمورد فقد جاءهم نيل سوى النّيل يهرع

و يمّمهم من لا يغار بنعمة فيسلبهم لكن يزيد فيوسع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۳۰

و لما استولى على مصر أرسل جوهر هذا يهنّئ مولاه المعزّ بذلك؛ فقال ابن هانئ المذكور أيضا فى ذلك:

يقول بنو العبّاس هل فتحت مصر فقل لبنى العبّاس قد قضى الأمر

و مد جاوز الإسكندريّة جوهر تصاحبه البشرى و يقدمه النصر

ذكر دخول جوهر إلى الديار المصريّة و كيف ملكها

قال غير واحد: كان قد انخرم نظام مصر بعد موت كافور الإخشيذىّ لمّا قام على مصر أحمد بن علىّ بن الإخشيذ و هو صغير؛ فصار ينوب عنه ابن عمّ أبيه الحسن ابن عبيد اللّه بن طغج، و الوزير يومئذ جعفر بن الفرات؛ فقلّت الأموال على الجند، فكتب جماعة منهم إلى المعزّ لدين اللّه معدّ و هو بالمغرب يطلبون منه عسكرا ليسلّموا إليه مصر؛ فجهّز المعزّ جوهرا هذا بالجيوش و السلاح فى نحو ألف فارس أو أكثر فسار جوهر حتّى نزل بجيوشه إلى تروجة بقرب الإسكندريّة، و أرسل إلى أهل مصر فأجابوه بطلب الأمان و تقرير أملاكهم لهم؛ فأجابهم جوهر إلى ذلك و كتب لهم العهد. فعلم الإخشيذيّة بذلك، فتأهّبوا لقتال جوهر المذكور؛ فجاءتهم من عند جوهر الكتب و العهود بالأمان؛ فاختلفت كلمتهم؛ ثم اجتمعوا على قتاله و أمّروا عليهم ابن الشويزانى، و توجّهوا لقتاله نحو الجيزة و حفظوا الجسور؛ فوصل جوهر إلى الجيزة، و وقع بينهم القتال فى حادى عشر شعبان و دام القتال بينهم مدّة، ثم صار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۳۱

جوهر إلى منية الصيّادين و أخذ مخاضة منية شلقان؛ و وصل إلى جوهر طائفة من العسكر فى مراكب، فقال جوهر للأمير جعفر بن فلاح: لهذا اليوم أرادك المعزّ الدين اللّه! فعبر عريانا فى سراويل و هو فى موكب و معه الرجال خوضا، و التقى مع المصريين و وقع القتال بينهم و ثبت كلّ من الفريقين، فقتل كثير من الإخشيذيّة و انهزم الباقون بعد قتال شديد. ثم أرسلوا يطلبون الأمان من جوهر فأمّنهم، و حضر رسوله و معه بند و طاف بالأمان و منع من النهب؛ فسكن الناس و فتحت الأسواق و دخل جوهر من الغد إلى مصر فى طبوله و بنوده و عليه ثوب ديباج مذهّب، و نزل بالمناخ، و هو موضع القاهرة اليوم؛ و اختطّها و حفر أساس القصر فى الليلة؛ و بات

المصريّون فى أمن؛ فلمّا أصبحوا حضروا للتهنئة فوجدوه قد حفر أساس القصر فى الليل و كان فيه زورات غير معتدلة؛ فلمّا شاهد ذلك جوهر لم يعجبه؛ ثم قال: قد حفر فى ليلة مباركة و ساعة سعيدة، ثم تركه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۳۲

ثم كتب جوهر إلى مولاه المعزّ يبشره بالفتح، و بعث إليه برءوس القتلى؛ و قطّع خطبة بنى العباس و لبس السواد، و لبس الخطباء البياض؛ و أمر أن يقال فى الخطبة:

«اللهمّ صلّ على محمد المصطفى، و على علىّ المرتضى؛ و [على] فاطمة البتول، و على الحسن و الحسين سبطى الرسول؛ [الذين أذهب اللّه عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيرا].

و صلّ على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين، المعزّ لدين اللّه». ففعل ذلك؛ و انقطعت دعوة بنى العباس فى هذه السنة من مصر و الحجاز و اليمن و الشام. و لم تزل الدعوة لبنى عبيد فى هذه الأقطار من هذه السنة إلى سنة خمس و ستين و خمسمائة، مائتى سنة و ثمانى سنين. على ما يأتى ذكره فى خلافة المستضىء العباسىّ. و كان الخليفة فى هذه الأيّام عند انقطاع خطبة بنى العباس من مصر المطيع للّه الفضل. و مات المطيع و من بعده سبعة خلفاء من بنى العباس ببغداد حتى انقرضت دولة بنى عبيد من مصر على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب، و الخليفة يوم ذاك المستضىء العباسىّ، على ما يأتى ذلك فى محلّه إن شاء اللّه تعالى. ثمّ فى شهر ربيع الآخر سنة تسع و خمسين و ثلثمائة أذّنوا بمصر ب «حىّ على خير العمل». و استمرّ ذلك.

ثمّ شرع جوهر فى بناء جامعه بالقاهرة المعروف بجامع الأزهر، و هو أوّل جامع بلته الرافضة بمصر؛ و فرغ من بنائه فى شهر رمضان سنة إحدى و ستين و ثلثمائة بعد أن كان ابتنى القاهرة؛ كما سيأتى ذكر بنائها فى هذه الترجمة أيضا. و لمّا ملك جوهر مصر كان الحسن بن عبيد اللّه بن الإخشيذ المقدّم ذكره بالشام و هو بيده إلى الرملة؛ فبعث إليه جوهر بالقائد جعفر بن فلاح المقدّم ذكره أيضا، فقاتل ابن فلاح حسنا المذكور بالرملة حتى ظفر به، و بعث به إلى مصر، حسب ما تقدّم ذكره، و بعثه القائد جوهر إلى المغرب؛ فكان ذلك آخر العهد به. ثم سار جعفر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۳۳

ابن فلاح إلى دمشق و ملكها بعد أمور، و خطب بها للمعزّ فى المحرّم سنة تسع و خمسين و ثلثمائة. ثم عاد ابن فلاح إلى الرملة؛ فقام الشريف أبو القاسم إسماعيل بن أبى يعلى بدمشق و قام معه العوامّ و لبس السّواد و دعا للمطيع، و أخرج إقبالا أمير دمشق الذى كان من قبل جوهر القائد، فعاد جعفر بن فلاح إلى دمشق فى ذى الحجة و نازلها، فقاتله أهلها، فطاولهم حتّى ظفر بهم؛ و هرب الشريف أبو القاسم إلى بغداد على البرّيّة. فقال ابن فلاح: من أتى به فله مائة ألف درهم، فلقيه ابن غلبان العدوىّ فى البريّة فقبض عليه و جاء به إلى ابن فلاح؛ فشهّره على جمل و على رأسه قلنسوة من لبود، و فى لحيته ريش مغروز و من ورائه رجل من المغاربة يوقع به، ثمّ حبسه؛ ثمّ طلبه ابن فلاح ليلا و قال له: ما حملك على ما صنعت؟ و سأله من ندبه إلى ذلك؛ فقال: ما حدّثنى به أحد إنّما هو أمر قدّر؛ فرقّ له جعفر بن فلاح و وعده أنه يكاتب فيه القائد جوهرا، و استرجع المائة ألف درهم من الذين أتوا به، و قال لهم: لا جزاكم اللّه خيرا! غدرتم بالرجل. و كان ابن فلاح يحبّ العلويّين، فأحسن إليه و أكرمه.

و استمرّ جوهر حاكم الديار المصريّة إلى أن قدم إليها مولاه المعزّ لدين اللّه معدّ فى يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة اثنتين و ستين و ثلثمائة؛ فصرف جوهر عن الديار المصريّة بأستاذه المعزّ، و صار من عظماء القوّاد فى دولة المعزّ و غيره. و لا زال جوهر على ذلك إلى أن مات فى سنة إحدى و ثمانين و ثلثمائة، و رثاه الشعراء. و كان جوهر حسن السيرة فى الرّعية عادلا عاقلا شجاعا مدبّرا.

قال ابن خلّكان (رضى اللّه عنه): توفّى يوم الخميس لعشر بقين من ذى القعدة سنة إحدى و ثمانين و ثلثمائة. و كان ولده الحسين بن جوهر قائد القوّاد للحاكم صاحب مصر، ثم نقم عليه فقتله فى سنة إحدى و أربعمائة؛ و كان الحسين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۳۴

قد خاف على نفسه من الحاكم، فهرب هو و ولده و صهره القاضى عبد العزيز ابن [محمد بن] النعمان، و كان زوج أخته؛ فأرسل الحاكم من ردّهم و طيّب قلوبهم و آنسهم مدّة، ثم حضروا إلى القصر بالقاهرة للخدمة، فتقدّم الحاكم إلى راشد و كان سيف النّقمة، فاستصحب عشرة من الغلمان الأتراك، فقتلوا الحسين ابن جوهر و صهّره القاضى و أحضروا رأسيهما إلى بين يدى الحاكم. و قد ذكرنا الحسين هنا حتى يعرف بذكره أن جوهرا المذكور فحل غير خصىّ، بخلاف الخادم بهاء الدين قراقوش و الأستاذ كافور الإخشيذى و الخادم ريدان و غيرهم.

ذكر بناء جوهر القائد القاهرة و حاراتها

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى كتابه الروضة ["البهية] الزاهرة، فى الخطط المعزّية القاهرة؛ "قال: «اختطّ جوهر القصر و حفر أساسه فى أوّل ليلة نزوله القاهرة، و أدخل فيه دير العظام، و هو المكان المعروف الآن بالركن المخلّق قبالة حوض جامع الأقمر، قريب من بئر العظام، و المصريون يسمّونها بئر العظمة، و يزعمون أنّ طاسة وقعت من شخص فى بئر زمزم و عليها اسمه، فطلعت من هذه البئر. و نقل جوهر القائد العظام التى كانت فى الدير المذكور و الرمم إلى دير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۳۵

فى الخندق فدفنها؛ لأنه يقال: إنّها عظام جماعة من الحواريّين، و بنى مكانها مسجدا من داخل السور، و أدخل أيضا قصر الشوك فى القصر المذكور، و كان منزلا تنزله بنو عذرة، و جعل للقصر أبوابا: أحدها باب العيد و إليه تنسب رحبة باب العيد، و إلى جانبه باب يعرف بباب الزّمرّذ. و باب آخر قبالة دار الحديث يعنى المدرسة الكامليّة. و باب آخر قبالة القطبيّة و هى البيمارستان الآن، يعرف الباب المذكور

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۳۶

بباب الذهب. و باب الزّهومة. و باب آخر من ناحية قصر الشوك. و باب آخر من عند مشهد الحسين، و يعرف بباب التّربة. و باب آخر يعرف بباب الدّيلم، و هو باب مشهد الحسين الآن قبالة دار الفطرة. قال: و أمّا أبواب القاهرة التى استقرّ عليها الحال الآن فيأتى ذكرها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۳۷

قال: و إنّ حدّ القاهرة من مصر من السبع سقايات إلى تلك الناحية عرضا. قال: و لمّا نزل جوهر القائد اختطت كلّ قبيلة خطّة عرفت بها، فزويلة بنت البابين المعروفين ببابى زويلة، و هما البابان اللذان عند مسجد ابن البنّاء و عند الحجّارين، و هما بابا القاهرة. و مسجد ابن البنّاء المذكور بناه الحاكم. و ذكر ابن القفطىّ: أنّ المعزّ لمّا وصل مصر دخل إلى القاهرة من الباب الأيمن، فالناس إلى اليوم يزدحمون فيه، و قليل من يدخل من الباب الأيسر، لأنّه أشيع فى الناس أنّ من دخله لم تقض له حاجة، و هو الذى عند دكاكين الحجّارين [و] الذى يتوصّل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۳۸

منه إلى المحمودية. قلت: و قد دثر رسوم هذا الباب الثانى المذكور، و هو مكان يمرّ منه الآن من باب سر الجامع المؤيّدىّ إلى الأنماطيين.

قال: و الباب الاخر من أبواب القاهرة القوس الذى هو قريب من باب النصر، الذى يخرج منه إلى الرحبة، و هو عند باب سعيد السعداء، [و] دكاكين العطّارين الآن. و باب آخر يعرف بالقوس أيضا و هو الذى يخرج منه إلى السوق الذى [هو] قريب [من] حارة بهاء الدين قراقوش، على يسرة باب الجامع الحاكمىّ من ناحية الحوض، و تعرف قديما بالرّيحانيّة. و كلّ هذه الأبواب و السور كانت باللّبن.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۳۹

و أمّا باب زويلة الآن و باب النصر و باب الفتوح فبناها الوزير الأفضل بن أمير الجيوش، و كتب على باب زويلة تاريخه و اسمه، و ذلك فى سنة ثمانين و أربعمائة.

و قالت المهندسون: إنّ فى باب زويلة عيبا لكونه ليست له باشورة قدّامه و لا خلفه على عادة الأبواب. و أمّا باب القنطرة فبناه القائد جوهر المذكور.

و أمّا السّور الحجر الذى على القاهرة و مصر و الأبواب التى به فبناها الطواشى بهاء الدين قراقوش الرومىّ فى أيّام أستاذه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة سبعين و خمسمائة؛ فبنى فيه [قلعة] المقس، و هو البرج الكبير الذى كان على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۴۰

النيل. قلت: و قد نسف هذا البرج من تلك الأماكن فى سنة سبعين و ستمائة.

يأتى ذكر ذلك فى ترجمة الملك المنصور قلاوون إن شاء اللّه تعالى من هذا الكتاب.

قال: و بنى باب الجامع و القلعة التى بالجبل و البرج الذى بمصر قريبا من باب القنطرة المسمى بقلعة يازكوچ، و جعل السور طائفا بمصر و القاهرة، و لم يتمّ بناؤه إلى الآن؛ و أعانه على عمله و حفر البئر التى بقلعة الجبل أسارى الفرنج، و كانوا ألوفا.

و هذه البئر من عجائب الأبنية، تدور البقر من أعلاها و تنقل الماء من نقّالة فى فى وسطها، و تدور أبقار فى وسطها تنقل الماء من أسفلها؛ و لها طريق إلى الماء تنزل البقر إلى معينها فى مجاز؛ و جميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء؛ و قيل: إن أرض هذه البئر مسامتة لأرض بركة الفيل؛ و ماؤها عذب. سمعت من يحكى عن المشايخ أنّها لمّا حفرت جاء ماؤها حلوا، فأراد قراقوش الزيادة فى مائها فوسعها، فخرجت منها عين مالحة غيّرت حلاوتها.

و طول هذا السور الذى بناه قراقوش على القاهرة و مصر و القلعة بما فيه من ساحل البحر تسعة و عشرون ألف ذراع و ثلثمائة ذراع و ذراعان [بذراع العمل، و هو الذراع الهاشمىّ]، من ذلك ما بين قلعة المقسم على شاطئ النيل و البرج بالكوم الأحمر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۴۱

بساحل مصر عشرة آلاف و خمسمائة ذراع. و من قلعة المقسم إلى حائط القلعة بالجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف و ثلثمائة [و اثنتان] و تسعون ذراعا. و من جانب حائط القلعة من جانب مسجد سعد الدولة إلى البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف و مائتا ذراع. و دائر القلعة بالجبل بمسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف و مائتان و عشر أذرع؛ و ذلك طول قوسه فى ابتدائه، و أبراجه من النيل إلى النيل على التحقيق و التعديل». انتهى كلام ابن عبد الظاهر. على أنه لم يسلم من الاعتراض عليه فى كثير مما نقله، و أيضا مما سكت عنه.

و قال غيره: دخل جوهر القائد مصر بعسكر عظيم و معه ألف حمل مال، و من السلاح و العدد و الخيل ما لا يوصف. فلمّا انتظم حاله و ملك مصر ضاقت بالجند و الرعية، و اختط سور القاهرة و بنى بها القصور، و سمّاها المنصوريّة؛ و ذلك فى سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة. فلمّا قدم المعزّ العبيدى من القيروان غيّر اسمها و سمّاها القاهرة. و السبب فى ذلك أنّ جوهرا لمّا قصد إقامة السور و بناء القاهرة جمع المنجّمين و أمرهم أن يختاروا طالعا لحفر الأساس و طالعا لرمى حجارته؛ فجعلوا [بدائر السور] قوائم من خشب، و بين القائمة و القائمة حبل فيه أجراس، و أفهموا البنّائين ساعة تحريك الأجراس [أن] يرموا ما فى أيديهم من اللّبن و الحجارة، و وقف المنجمون لتحرير هذه الساعة و أخذ الطالع؛ فاتّفق وقوف غراب على خشبة من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۴۲

تلك الخشب، فتحرّكت الأجراس، و ظنّ الموكّلون بالبناء أنّ المنجّمين حرّكوها فألقوا ما بأيديهم من الطين و الحجارة فى الأساس؛ فصاح المنجّمون: لا لا، القاهر فى الطالع! و مضى ذلك وفاتهم ما قصدوه. و كان غرض جوهر أن يختاروا للبناء طالعا لا يخرج البلد عن نسلهم أبدا، فوقع أنّ المريخ كان فى الطالع، و هو يسمى عند المنجّمين القاهر، فحكموا لذلك أنّ القاهرة لا تزال تحت حكم

الأتراك، و أنّهم لا بـدّ أن يملكوا هذه البلد. فلمّا قدم المعزّ إليها و أخبر بهذه القصة و كان له خبرة بالنّجامة، وافقهم على ذلك، و أنّ الترك تكون لهم الغلبة على هذا البلد؛ فغيّر اسـمها و سـمّاها القاهرة. و قيل فيها وجه آخر، و هو أنّ بقصور القاهرة قبّة تسـمّى القاهرة، فسميت على اسمها. و القول الأوّل هو المتواتر بين الناس و الأقوى.

و قيل غير ذلك.

ثم بنيت حارات القاهرة من يومئذ، فعمّر فيها:

حـارة الروم- و همـا حارتان، حارة الروم الآن المشـهورة، و حارة الروم الجوّانيّـة، و هى التى بقرب باب النصـر على يسار الـداخل إلى القاهرة، ثم اسـتثقل الناس قول حارة الروم الجوّانيـة فحـذفوا صـدر الكلمة و قالوا «الجوّانية»؛ و الورّاقون يكتبون حارة الروم السـفلى، و حارة الروم العليا المعروفة بالجوّانية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۴۳

و قال القاضـى زين الدين: إنّ الجوّانية منسوبة للأشـراف الجوّانيين، منهم الشريف النّسابة الجوّانى. و هاتان الحارتان اختطهما الروم، و نزلوا بهما فعرفتابهم.

و حارة الدّيلم - هى منسوبة إلى الديلم الواصلين صحبة أفتكين المعزّى غلّام معز الدولة بن بويه حين قدم إلى القاهرة أولاد مولاه معزّ الدولة.

و فندق مسرور- منسوب لمسرور خادم من خدّام القصر فى الدولة العبيدية.

و خليـج القاهرة - حفره أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضـى اللّه عنه، و يعرف بخليج أمير المؤمنين، و كان حفره عام الرّمادة، و هى سنة ست عشرة من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۴۴

الهجرة فسـافر إلى القلزم، فلم يأت عليه الحول حتى جرت فيه السـفن و حمل فيها الزاد و الأقوات إلى مكّـة و المدينـة، و انتفع بـذلك أهل الحجاز. و قال الكندىّ: كان حفره فى سـنة ثلاث و عشرين و فرغ منه فى ستة أشهر، و جرت فيه السفن و وصلت إلى الحجاز فى الشـهر السـابع؛ ثم بنى عليه عبـد العزيز بن مروان قنطرة و كتب عليهـا اسـمه، و قـام ببنائهـا سـعيد أبو عثمـان؛ ذكره القضـاعىّ صاحب الخطـط. قـال: ثمّ دثرت ثمّ أعيـدت ثمّ عمّرت فى أيّـام العزيز باللّه، و ليس لها أثر فى هـذا الزمان. و إنّما بنى السـلطان الملك الصالح نجم الدين أيّوب قنطرة السّدّ الآن التى عليها بستان الخشّاب. و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۴۵

يخرج المـاء من البحر بـالمقس من البرانـج، فوسّـعه الملـك الكامل محمـد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب و جعله خليجا، و هو خليج الذكر. و أوّل من رتّب حفر الخليج على الناس الوزير المأمون بن البطائحى صاحب الجامع الأقمر بالقاهرة؛ و كذلك جعل على أصحاب البساتين، و جعل عليه واليا بمفرده؛ و هو أوّل من رتّب السقّائين عند معونة المأمون هذا؛ و كذلك القرّابة و الفعلة.

الحسـينيّة - هى منسوبـة لجماعـة الأشـراف الحسـينيّين، كانوا فى أيّام الملك الكامل محمـد بن العادل، قـدموا من الحجاز فنزلوا بها و استوطنوها، و بنوا بها المـدابغ و صـنعوا فيها الأديم المشبّه بالطائفىّ؛ ثمّ سـكنها الأجناد بعد ذلك؛ و كانت برسم الرّيحانيّة الغزّاويّة و المولّدة و العجمان و عبيد الشراء؛ و كانت ثمانى حارات: حارة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۴۶

حامـد، و المنشـيّة الكبرى، و المنشـيّة الصـغرى، و الحارة الكبيرة، و الحارة الوسـطى، كانت هى لعبيـد الشـراء، و الوزيريّة؛ كانت كلّها سكن الأرمن، فارسهم و راجلهم.

و خان السبيل - بناه الخادم الأستاذ الخصىّ بهاء الدين قراقوش الذى بنى السور و أرصده لأبناء السبيل.

اللؤلؤة – عند باب القنطرة بناها الظاهر لإعزاز دين اللّه الخليفة العبيدى، و كانت نزهة الخلفاء الفاطميّين، و بها كانت قصورهم. و يأتى ذكر شىء من ذلك فى تراجمهم إن شاء اللّه تعالى.

حارة الباطليّة – كان المعزّ لدين اللّه العبيدىّ لما قسم العطاء فى الناس جاءت إليه طائفة فسألت العطاء، فقيل: فرغ المال؛ فقالوا: رحنا نحن فى الباطل؛ فسمّوا الباطليّة، فعرفت الحارة بهم.

حارة كتامة – هى قبيلة معروفة، عرفت بهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۴۷

البرقيّة – هذه الحارة نزل فيها جماعة من أهل برقة و استوطنوها، فعرفت بهم. و كانوا جماعة كبيرة، حضروا صحبة المعزّ لدين اللّه لمّا قدم من بلاد المغرب.

خزانة البنود – كانت هذه الخزانة خزانة السلاح فى الدولة الفاطميّة.

دار القطبيّة– هى دار ستّ الملك بنت العزيز لدين اللّه نزار، و أخت الحاكم بأمر اللّه منصور. يأتى ذكرها فى ترجمة أخيها الحاكم. و سكن هذه الدار فى دولة الأيّوبيّة مؤنسة، ثم الأمير فخر الدين جهاركس صاحب القيسارية بالقاهرة، ثمّ سكنها الملك الأفضل قطب الدين؛ و استمرّت ذرّيته بها حتّى أخرجهم الملك المنصور قلاوون منها، و بناها بيمارستانه المعروف فى القاهرة بين القصرين. و لسكن قطب الدين الأفضل هذا سمّيت القطبيّة، و الأفضل المذكور من بنى أيّوب.

حارة الخرنشف – كانت قديما ميدانا للخلفاء، فلمّا تسلطن المعزّ أيبك التركمانىّ بنوا به إصطبلات، و كذلك القصر الغربىّ؛ و كانت النساء اللاتى أخرجن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۴۸

منه سكنّ بالقصر النافعىّ؛ فامتدّت الأيدى إلى طوبه و أخشابه و حجارته، فتلاشى حاله و تهدّم و تشعّث، فسمّى بالخرنشف لهذا المقتضى، و إلّا فكان هذا الميدان من محاسن الدنيا.

حارة الكافورىّ – هذه الحارة كانت بستانا للأستاذ الملك كافور الإخشيذىّ صاحب مصر؛ ثمّ من بعده صار للخلفاء المصريّين، ثم هدم البستان فى الدولة المعزيّة أيبك لما خرب الميدان و القصور، و بنى أيضا إصطبلات و دورا و مساكن.

حارة برجوان – منسوبة إلى الخادم برجوان. كان برجوان من جملة خدّام القصر فى أيام العزيز بالله نزار العبيدىّ الفاطمىّ، ثم كان برجوان هذا مدبّر مملكة الحاكم بأمر اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۴۹

حارة بهاء الدين – منسوبة إلى الأستاذ بهاء الدين قراقوش الصلاحىّ الخادم الخصىّ الذى بنى السور و قلعة الجبل. و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه.

قيسارية أمير الجيوش– المعروفة الآن بسوق مرجوش. و أوّلها من باب حارة بهاء الدين قراقوش إلى قريب من الجامع الحاكمىّ، بناها أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالىّ الذى كان إليه تدبير الملك و الوزارة فى دولة الخليفة المستنصر معدّ العبيدىّ. و ذكر ابن أبى منصور فى كتابه المسمّى أساس السياسة أنه كان فى موضعها دار تعرف بدار القبّانىّ، و دور قوم يعرفون ببنى هريسة.

درب ابن أسد– و هو خادم عرف به. و هو خلف إصطبل الطارمة.

الرميلة – تحت قلعة الجبل، كانت ميدان أحمد بن طولون، و بها كانت قصوره و بساتينه.

درب ملوخية – هو منسوب لأمير اسمه ملوخية، كان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر اللّه العبيدىّ، و كان يعرف أيضا بملوخية الفرّاش.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۵۰

العطوف – منسوبة إلى الخادم عطوف أحد خدّام القصر فى دولة الفاطمية، و كان أصله من خدّام أم ستّ الملك بنت العزيز بالله أخت الحاكم المقدّم ذكرها.

رحبة باب العيد – [كان] الخليفة لا يركب يوم العيد إلّا من باب القصر الذى من هذه الناحية خاصة. و يأتى ذكر ذلك كلّه فى ترجمة المعزّ لدين اللّه العبيدىّ.

خانقاه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب- و هى دار سعيد السعداء خادم الخليفة المستنصر معدّ العبيدىّ أحد خلفاء مصر، ثمّ صارت فى آخر الوقت سكن الوزير طلائع بن رزّيك و ولده رزّيك بن طلائع. و كان طلائع يلقب فى أيام وزارته بالملك الصالح، و هو صاحب جامع الصالح خارج بابى زويلة. و لمّا سكنها طلائع المذكور فتح لها من دار الوزارة- أعنى التى هى الآن خانقاه بيبرس الجاشنكير – سردابا تحت الأرض، و جمع بين دار سعيد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۵۱

السعداء و دار الوزارة فى السكن لكثرة حشمه، و صار يمشى فى السرداب من الدار الواحدة إلى الأخرى.

الحجر – و هى قريبة من باب النصر قديما على يمين الخارج من القاهرة، و كان يأوى فيها جماعة من الشباب يسمّون صبيان الحجر يكونون فى جهات متعددة.

الوزيرية – منسوبة إلى الوزير أبى الفرج يعقوب بن كلّس وزير العزيز بالله نزار العبيدىّ، و كان الوزير هذا يهودىّ الأصل ثمّ إنّه أسلم و تنقّل فى الخدم إلى أن ولى الوزارة.

الجودرية – منسوبة إلى جماعة يعرفون بالجودريّة اختطوها، و كانوا أربعمائة رجل. منسوبون إلى جودر خادم المهدىّ.

سوق السّراجين- استجدّ فى أيّام المعزّ أيبك التركمانىّ سنة ثلاث و خمسين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۴؛ ص۵۱

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۵۲

سقيفة العدّاسين – هى الآن معروفة بالأساكفة و بالبندقانيين، و كانت تلك الناحية كلّها تعرف بسقيفة العدّاسين.

حارة الأمراء- هى درب شمس الدولة.

العدوية – هى من أوّل باب الخشيبة إلى أوّل حارة زويلة.

درب الصقالبة – هو درب من جملة حارة زويلة.

حارة زويلة – اختطها امرأة تعرف بزويلة، و هى صاحبة البئر و بابى زويلة، لا أعرف من حالها شيئا.

باب الزهومة – كان بابا من أبواب القصر أعنى [قصر] القاهرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۵۳

الصاغة بالقاهرة – كانت مطبخا للقصر يخرج إليه من باب الزهومة.

درب السلسلة – هو الملاصق للسيوفيين.

دار الضرب – بنيت فى أيام الوزير المأمون بن البطائحىّ المقدّم ذكره، و هى بالقشاشين قبالة البيمارستان المنصورىّ.

الصالحية – هى منسوبة للوزير الملك الصالح طلائع بن رزّيك المقدّم ذكره لأنّ غلمانه- أعنى مماليكه- كانوا ينزلون بها.

المقس – قال القضاعى: كانت ضيعة تعرف بأمّ دنين، و إنّما سميّت المقس لأنّ العشّار و هو المكّاس كان فيها يستخرج الأموال، فقيل له المكس، ثم قيل المقس.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۵۴

المسجد المعلق- كان هناك مساجد ثلاثة معلقة بناها الحاكم بأمر اللّه فى أيام خلافته.

و أمّا هذه المبانى التى هى الآن خارج القاهرة فكلّها تجدّدت فى الدولة التركية، و معظمها فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون و من بعده، من سدّ مصر إلى باب زويلة طولا و عرضا. يأتى ذكر ذلك كلّه إن شاء اللّه تعالى فى تراجم من جدّد الكورة و القناطر و الجوامع و المدارس و غيرهم من السلاطين و الملوك، كلّ واحد على جدته بحسب ما يقتضيه الحال.

ترجمة القائد جوهر و ما يتعلق به من بنيان القاهرة و غيرها

قد تقدّم الكلام أن جوهر القائد هذا غير خصىّ، و ولده القائد الحسين بن جوهر كان من كبار قوّاد الحاكم بأمر اللّه، و جوهر هذا هو صاحب الجامع الأزهر.

و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه؛ غير أننا ذكرناه هنا ثانيا تنبيها لمن نظر فى ترجمة جوهر القائد المذكور، لئلا يلتبس عليه بشىء آخر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۵۵

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۵۹]

السنة الأولى من ولاية جوهر الرومىّ المعزّى القائد على مصر، و هى سنة تسع و خمسين و ثلثمائة.

فيها أقامت الرافضة المأتم على الحسين بن علىّ ببغداد فى يوم عاشوراء على عادتهم و فعلهم القبيح فى كلّ سنة.

و فيها ورد الخبر فى المحرّم بأن تقفور ملك الروم خرج بالروم إلى جهة أنطاكية و نازلها و أحاط بها و قاتل أهلها حقى ملكها بالأمان؛ ثم أخرج أهلها منها و أطلق العجائز و الشيوخ و الأطفال، و قال لهم: امضوا حيث شئتم، ثم أخذ الشباب و الصبيان و الغلمان سبا؛ فكانوا أكثر من عشرين ألفا. و كان تقفور المذكور قد طغى و تجبّر و قهر العباد و ملك البلاد و عظمت هيبته فى قلوب الناس، و اشتغل عنه الملوك بأضدادهم فاستفحل أمر تقفور بذلك. ثم تزوّج تقفور المذكور بامرأة الملك الذى كان قبله على كره منها؛ و كان لها ولدان، فأراد تقفور أن يخصيهما و يهديهما للبيعة ليستريح منهما لئلا يملكا الروم فى أيامه أو بعده؛ فعلمت زوجته أمّهما بذلك، فأرسلت الى الدمستق ليأتى إليها فى زىّ النساء و معه جماعة فى زى النساء؛ فجاءوا و باتوا عندها ليلة الميلاد، فوثبوا عليه و قتلوه؛ و أجلس فى الملك بعده ولدها الأكبر، و تّم لها ما أرادت. و للّه الحمد على موت هذا الطاغية.

و فيها فى ذى الحجة انقضّ بالعراق كوكب عظيم أضاءت منه الدنيا حتى صار كأنّه شعاع الشمس و سمع فى انقضاضه صوت كالرعد الشديد، فهال ذلك الناس و ارتعجوا له.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۵۶

و فيها حجّ بالناس من العراق الشريف النقيب أبو أحمد الموسوىّ والد الرضى و المرتضى و الثلاثة رافضة، و هم محطّ رحال الشيعة فى زمانهم.

و فيها توفّى الأمير صالح بن عمير العقيلىّ أمير دمشق، ولى إمرة دمشق خلافة عن الحسن بن عبيد اللّه بن طغج [ابن] أخى الإخشيذ فى دولة أحمد بن على ابن الإخشيذ فى سنة سبع و خمسين و ثلثمائة، و وقع له فى ولايته على دمشق أمور و حروب. و لما انهزم الأستاذ فاتك الكافورىّ من القرمطىّ و غلب القرمطىّ على الشام خرج منها صالح هذا و غاب عنها مدّة أيّام، ثم عاد إليها بعد خروج القرمطىّ منها، و دام بها و أصلح أمورها؛ فلم تطل مدّته و مات بعد مدّة يسيرة. و كان شجاعا جوادا مقداما. و هو آخر من ولى دمشق من قبل الإخشيذ محمد و بنيه.

و فيها توفّى الأمير أبو شجاع فاتك الإخشيذىّ الخازن، ولى إمرة دمشق أيضا قبل تاريخه من قبل أنوجور الإخشيذىّ، و كان شجاعا مقداما جوادا، ولى عدّة بلاد، و طالت أيّامه فى السعد. و هو غير فاتك المجنون الذى مدحه المتنبّى و رثاه؛ لأنّ فاتكا المذكور كان

بمصر فى دولة خشداشه كافور الإخشيذىّ؛ و وفاة هذا كانت بدمشق.

و فيها هلك تقفور طاغية الروم: لم يكن أصله من أولاد ملوك الروم بل قيل إنه كان ولد رجل مسلم من أهل طرسوس يعرف بابن الفقّاس، فتنصّر و غلب على الملك؛ و كان شجاعا مدبّرا سيوسا لم ير مثله من عهد إسكندر ذى القرنين؛ و هو الذى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۵۷

افتتح حلب و أخذها من سيف الدولة بن حمدان؛ و لم يأخذ حلب أحد قبله من ملوك الروم؛ فعظم بذلك فى أعين ملوك الروم و ملّكوه عليهم إلى أن قتل. و قد تقدّم قتله فى حوادث هذه السنة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أحمد بن بندار ابن إسحاق الشعّار. و أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلّاد فى صفر. و أبو القاسم حبيب بن الحسن القزّاز. و محمد بن أحمد بن الحسن أبو علىّ الصوّاف. و محمد بن على بن حبيش الناقد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۰]

السنة الثانية من ولاية جوهر الرومىّ المعزىّ القائد على مصر، و هى سنة ستين و ثلثمائة.

فيها عمل الرافضة المأتم ببغداد فى يوم عاشوراء على العادة فى كلّ سنة من النوح و اللّطم و البكاء و تعليق المسوح و غلق الأسواق، و عملوا العيد و الفرح يوم الغدير و هو ثامن عشر ذى الحجة.

و فيها فى أوّل المحرّم لحق الخليفة المطيع للّه سكتة آل الأمر فيها إلى استرخاء جانبه الأيمن و ثقل لسانه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۵۸

و فيها فى صفر أعلن المؤذّنون بدمشق: ب "حىّ على خير العمل "بأمر القائد جعفر بن فلاح نائب دمشق للمعزّ لدين اللّه العبيدىّ، و لم يجسر أحد على مخالفته؛ ثمّ فى جمادى الآخرة أمرهم ابن فلاح المذكور بذلك فى الإقامة؛ فتألّم الناس لذلك، فهلك ابن فلاح فى عامه.

و فيها فى شهر ربيع الأوّل وقع الصلح بين أبى المعالى بن سيف الدولة بن حمدان و بين قرعويه، و كان بينهما حروب منذ مات سيف الدولة إلى اليوم، فأقاما الخطبة بحلب للمعزّ لدين اللّه العبيدىّ؛ و أرسل إليهما جوهر القائد من مصر بالأموال و الخلع.

و فيها سار أبو محمد الحسن بن أحمد القرمطىّ إلى الشام فى قبائل العرب و حاصر دمشق؛ فخرج إليه من مصر القائد جعفر بن فلاح بعساكره من المغاربة و اقتتلوا أيّاما إلى أن حمل القرمطىّ بنفسه على جعفر بن فلاح فقتله و قتل عامّة عسكره، و ملك دمشق و ولّى عليها ظالم بن موهوب العقيلىّ، ثمّ عاد القرمطىّ إلى بلاد هجر؛ فلم يثبت ظالم بعده بدمشق، و خرج منها بعد مدّة يسيرة.

و فيها حجّ بالناس النقيب الشريف أبو أحمد الموسوىّ من بغداد.

و فيها توفّى الأمير جعفر بن فلاح أحد قوّاد المعزّ لدين اللّه العبيدىّ؛ كان مقدّم عساكر القائد جوهر، و بعثه جوهر إلى دمشق لمحاربة الحسن بن عبيد اللّه بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۵۹

طغج؛ فحاربه و أسره و مهّد البلاد، و ولى دمشق و أصلح أمورها، إلى أن قدم عليه القرمطىّ و حاربه و ظفر به و قتله. و هو أوّل أمير ولى إمرة دمشق لبنى عبيد المغربىّ.

و العجب أنّ القرمطىّ لمّا قتله بكى عليه و رثاه؛ لأنّهما يجمع التشيّع بينهما و إن كانا عدوّين. و كان جعفر بن فلاح المذكور أديبا

شاعرا فصيحا. كتب مرّة إلى الوزير يعقوب يقول له:

ولى صديق ما مسّنى عدم مذ نظرت عينه إلى عدمى

أعطى و أقنى و لم يكلّفنى تقبيل كفّ له و لا قدم

و فيها توفّى سليمان بن أحمد بن أيّوب الحافظ أبو القاسم الطّبرانىّ اللّخمىّ. و لخم:

قبيلة من العرب قدموا من اليمن إلى بيت المقدس و نزلوا بالمكان الذى ولد فيه عيسى عليه السلام، و بينه و بين بيت المقدس فرسخان، و العامّة تسمّيه «بيت لحم» (بالحاء المهملة) و صوابه «بيت لخم» (بالخاء المعجمة). و كان مولده بعكّا فى سنة ستين و مائتين؛ و هو أحد الحفّاظ المكثرين الرحّالين، سمع الكثير و صنّف المصنّفات الحسان، منها «المعجم الكبير فى أسامى الصحابة» و «المعجم الأوسط فى غرائب شيوخه»، و «المعجم الأصغر فى أسامى شيوخه»، و «كتاب الدعاء» و «كتاب عشرة النساء» و «كتاب حديث الشاميّين» و «كتاب المناسك» و «كتاب الأوائل» و «كتاب السنة» و «كتاب النوادر» و «مسند أبى هريرة» و «كتاب التفسير» و «كتاب دلائل النبوّة» و غير ذلك. و مات فى ذى القعدة. و ذكر الحافظ سليمان ابن إبراهيم الأصبهانىّ أن أبا أحمد العسّال قاضى أصبهان قال: أنا سمعت من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۶۰

الطّبرانىّ عشرين ألف حديث، و سمع منه إبراهيم بن محمد بن حمزة ثلاثين ألفا، و سمع منه أبو الشيخ أربعين ألفا.

و فيها توفّى محمد بن الحسين بن عبد اللّه الحافظ أبو بكر الآجرّىّ البغدادىّ، كان محدّثا ديّنا صالحا ورعا مصنّفا، صنّف كتاب «العزلة» و غيره. و مات فى هذه السنة.

و فيها توفّى محمد بن أبى عبد اللّه الحسين بن محمد الكاتب أبو الفضل المعروف بابن العميد- هو كان لقب والده- كان فيه فضل و أدب و ترسّل؛ وزر لركن الدولة الحسن بن بويه بعد موت أبيه. و من بعض أصحاب أبيه الصاحب بن عبّاد. قال الثعالبىّ فى كتابه اليتيمة: «و كان يقال: بدئت الكتابة بعبد الحميد، و ختمت بابن العميد». و كان الصاحب بن عبّاد قد سافر إلى بغداد؛ فلمّا عاد إليه قال له ابن العميد: كيف وجدتها؟ قال: بغداد فى البلاد، كالأستاذ فى العباد.

و كان ابن العميد سيوسا مدبّرا قائما بحقوق المملكة، و قصده الشعراء من الآفاق، و مدحه المتنبّى و ابن نباتة السعدىّ و غيرهما. و من شعر ابن العميد قوله:

آخ الرجال من الأبا عد و الأقارب لا تقارب

إنّ الأقارب كالعقا رب بل أضرّ من العقارب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۶۱

و قيل: إنّ الصاحب بن عبّاد اجتاز بدار ابن العميد بعد وفاته فلم ير هناك أحدا بعد أن كان الدّهليز يغصّ من زحام الناس؛ فقال:

أيّها الرّبع لم علاك اكتئاب أين ذاك الحجاب و الحجّاب

أين من كان يفزع الدهر منه فهو اليوم فى التراب تراب

و قال علىّ بن سليمان: رأيت بالرىّ دار قوم لم يبق منها سوى بابها- يعنى دار ابن العميد- و عليها مكتوب:

اعجب لصرف الدهور معتبرا فهذه الدار من عجائبها

عهدى بها بالملوك زاهية قد سطع النور من جوانبها

تبدّلت وحشة بساكنها ما أوحش الدار بعد صاحبها

و كان ابن العميد قبل أن يقتل بمدّة قد لهج بإنشاد هذين البيتين، و هما:

دخل الدنيا أناس قبلنا رحلوا عنها و خلّوها لنا

و نزلناها كما قد نزلوا و نخلّيها لقوم بعدنا

و كانت وفاته فى صفر.

الـذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السـنة، قال: و فيها توفّى جعفر بن فلاح أوّل من حكم على الشام لبنى عبيد، قتله أبو علىّ القرمطىّ.

و سليمان بن أحمد بن أيّوب الطّبرانىّ فى ذى القعدة و له مائة سنة و عشرة أشهر. و أبو علىّ عيسى بن محمد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۶۲

الطّوماريّ. و أبو بكر محمـد بن جعفر بن محمـد بن الهيثم الأنبارى. و أبو عمرو محمـد بن جعفر بن محمـد بن مطر النّيسابوريّ. و أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه. و أبو بكر محمد بن الحسين الآجرّىّ فى المحرّم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إحدى و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۱]

السنة الثالثة من ولاية جوهر القائد على مصر، و هى سنة إحدى و سنين و ثلثمائة.

فيها عملت الرافضة مأتم الحسين بن علىّ رضى اللّه عنهما ببغداد على العادة فى يوم عاشوراء.

و فيها عاد الهجرىّ كبير القرامطة من الموصل إلى الشام، و انصـرفت المغاربة- أعنى عسـكر العبيديّة- إلى مصر، و دخل القرمطىّ إلى دمشق و سار إلى الرملة.

و فيها وقع الصـلح بين منصور بن نوح السامانىّ صاحب خراسان و بين ركن الدولـة الحسن بن بويه و بين ولـده عضد الدولة بن ركن الدولـة المذكور بأن يحمل ركن الدولة إلى منصور بن نوح السامانىّ فى كلّ سـنة مائة ألف دينار، و يحمل ابنه عضد الدولة خمسـين ألف دينار.

و فيها اعترض بنو هلال الحاج البصـرىّ و الخراسانىّ و نهبوهم و قتلوا منهم خلقا، و لم يسلم منهم إلّا من مضى مع الشريف أبى أحمد الموسوىّ أمير الحاجّ، فإنّه مضى بهم على طريق المدينة، فحجّ و عاد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۶۳

و فيها توفّى سـعيد بن أبى سـعيد أبو القاسم الجنّابىّ القرمطىّ الهجرىّ، عليه و على أقاربه اللعنة و الخزى. و لم يبق من أولاد أبى سعيد غيره و غير أخيه يوسف، و قام بأمر القرامطة بعده مكانه أخوه يوسف المذكور. و عقد القرامطة بعد يوسف لستة نفر من أولادهم على وجه الشركة بينهم لا يستبدّ أحد منهم بشىء دون الآخر.

قلت: و هـذا يدلّ على قطع أثرهم و اضـمحلال أمرهم و زوال ملكهم، إلى جهنم و بئس المصـير؛ فإنّهم كانوا أشـرّ خلق اللّه و أقبحهم سيرة و أظلمهم سـطوة، هـذا مع الفسق و قلّة الـدين و سـفك الـدماء و انتهـاك المحارم، و قتل الأشـراف و أخـذ الحجّاج و نهبهم، و الاسـتخفاف بـأمر الشـرع و السـنة و هتـك حرمـة البيت العتيق و اقتلاع الحجر الأسود منه؛ حسب ما تقـدّم ذكر ذلك كله فى حوادث السنين السابقة. و قد طال أمرهم و قاسى المسلمون منهم شدائد؛ و خرّب فى أيّامهم ممالك و بلاد. ألا لعنة اللّه على الظالمين.

و فيها توفّى علىّ بن إسـحاق بن خلف أبو القاسم الزاهى الشاعر البغدادىّ، كان وصّافا محسنا كثير الملح حسن الشعر فى التشبيهات، و كان قطّانا، و كانت دكّانه فى قطيعة الربيع الحاجب. و من شعره و أجاد إلى الغاية من قصيدة:

و بيض بألحاظ العيون كأنّما هززن سيوفا و استللن خناجرا

تصدّين لى يوما بمنعرج اللّوى فغادرن قلبى بالتصبّر غادرا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۶۴

سفرن بدورا و انتقبن أهلة و مسن غصونا و التفتن جآذرا

و أطلعن فى الأجياد بالدرّ أنجما جعلن لحبّات القلوب ضرائرا

هذا مثل قول المتنبى، و مذهب الزاهى زها عليه. و قول المتنبى:

بدت قمرا و مالت خوط بان و فاحت عنبرا و رنت غزالا

و ذكر الثعالبىّ لبعض شعرا عصره على هذا الأسلوب فى وصف مغنّ:

فديتك يا أتمّ الناس ظرفا و أصلحهم لمتّخذ حبيبا

فوجهك نزهة الأبصار حسنا و صوتك متعة الأسماع طيبا

و سائلة تسائل عنك قلنا لها فى وصفك العجب العجيبا

رنا ظبيا و غنّى عندليبا و لاح شقائها و مشى قضيبا

و مات الزاهى ببغداد. و من شعره أيضا قوله:

قم فهنئ عاشقين أصبحا مصطلحين

جمعا بعد فراق فجعا منه ببين

ثم عادا فى سرور من صدود آمنين

فهما روح و لكن ركّبا فى بدنين

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الحسن بن الخضر الأسيوطى. و خلف بن محمد بن إسماعيل ببخارى. و عثمان بن عثمان بن خفيف الدرّاج.

و محمد بن الحارث بن أسد القيروانىّ أبو عبد اللّه الفقيه الحافظ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۶۵

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۲]

اشارة

السنة الرابعة من ولاية جوهر القائد على مصر، و هى سنة اثنتين و ستين و ثلثمائة.

فيها لم تعمل الرافضة المأتم ببغداد بسبب ما جرى على المسلمين من الروم، و كان عزّ الدولة بختيار بن بويه بواسط و الحاجب سبكتكين ببغداد، و كان سبكتكين المذكور يميل إلى السّنّة فمنعهم من ذلك.

و فيها حشدت الروم و أخذوا نصيبين و استباحوا و قتلوا و سبوا، و قدم بغداد من نجا منهم؛ و استنفروا الناس فى الجوامع، و كسروا المنابر و منعوا الخطيب، و حاولوا الهجوم على الخليفة المطيع للّه، و اقتلعوا بعض شبابيك دار الخلافة حتى غلّقت أبوابها، و رماهم الغلمان بالنّشّاب من الرّواشن، و خاطبوا الخليفة بالتعنيف و بأنّه عاجز عمّا أوجبه اللّه عليه من حماية حوزة الإسلام و أفحشوا القول. و وافق ذلك غيبة السلطان عزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة أحمد بن بويه فى الكوفة؛ فخرج إليه أهل العقل و الدين من بغداد، و فيهم الإمام أبو بكر الرازىّ الفقيه و أبو الحسن علىّ بن عيسى النّحوىّ و أبو القاسم الدّاركىّ و ابن الدّقاق الفقيه، و شكوا إليه ما دهم

الإسلام من هذه الحادثة العظمى؛ فوعدهم عزّ الدولة بالغزو، و نادى بالنفير فى الناس؛ فخرج من العوامّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۶۶

خلق مثل عدد الرمل ثمّ جهّز جيشا و غزوا، فهزموا الروم و قتلوا منهم مقتلة عظيمة و أسروا أميرهم و جماعة من بطارقته، و أنفذت رءوس القتلى إلى بغداد؛ و فرح المسلمون بنصر اللّه تعالى.

و فيها فى شهر رمضان دخل المعزّ لدين اللّه أبو تميم معدّ العبيدى إلى مصر بعد أن بنيت له القاهرة و معه توابيت آبائه، و كان قد مهّد له ملك الديار المصرية مولاه جوهر القائد، و بنى له القاهرة و أقام له بها دار الإمارة و القصر.

و فيها وزر ببغداد أبو طاهر بن بقيّة و لقّب بالناصح، و كان سمحا كريما، له راتب كلّ يوم من الثلج ألف رطل، و راتبه من الشّمع فى كلّ شهر ألف منّ؛ و كان أبو طاهر من صغار الكتّاب يكتب على المطبخ لمعزّ الدولة؛ فآل الأمر إلى الوزارة.

فقال الناس: من الغضارة إلى الوزارة! و كان كريما فغطّى كرمه عيوبه.

و فيها زلزلت بلاد الشام و هدمت الحصون و وقع من أبراج أنطاكية عدّة، و مات تحت الردم خلق كثير.

و فيها حجّ بالناس النقيب أبو أحمد الموسوىّ. و فيها ضاق الأمر على عزّ الدولة بختيار بن بويه، فبعث إلى الخليفة و طلب إسعافه على قتال الروم؛ فباع الخليفة المطيع ثيابه و أنقاض داره من ساج و رصاص، و جمع من ذلك أربعمائة ألف درهم و بعث بها إليه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۶۷

و فيها توفّى السّرىّ بن أحمد بن السّرىّ أبو الحسن الكندىّ الرفّاء الشاعر المشهور، كان فى صباه يرفو و يطرّز فى دكّان بالموصل و مع ذلك يتولّع [بالأدب و ينظم الشعر]، و لم يزل على ذلك حتى جاد شعره و مهر فيه؛ و قصد سيف الدولة ابن حمدان بحلب و مدحه و أقام عنده [مدّة]، ثمّ بعد وفاته قدم بغداد و مدح الوزير المهلبىّ و غيره، و كان بينه و بين أبى بكر محمد و أبى عثمان سعيد ابنى هاشم الخالديّين الموصليّين الشاعرين المشهورين معاداة، فادّعى عليهما سرقة شعره و شعر غيره.

و كان شاعرا مطبوعا عذب الألفاظ، كثير الافتنان فى التشبيهات و الأوصاف؛ و كان لا يحسن من العلوم شيئا غير قول الشعر. و من شعره [أبيات] يذكر فيها صناعته:

و كانت الإبرة فيما مضى صائنة وجهى و أشعارى

فأصبح الرزق بها ضيّقا كأنّه من ثقبها جارى

و من محاسن شعره فى المديح:

يلقى الندى برقيق وجه مسفر فإذا التقى الجمعان عاد صفيقا

رحب المنازل ما أقام فإن سرى فى جحفل ترك الفضاء مضيقا

و من غرر شعره فى النسيب قوله و هو فى غاية الحسن:

بنفسى من أجود له بنفسى و يبخل بالتحية و السلام

و حتفى كامن فى مقلتيه كمون الموت فى حدّ الحسام

و فيها توفّى محمد بن هانئ أبو القاسم، و قيل: أبو الحسن، الأزدىّ الأندلسىّ الشاعر المشهور؛ قيل: إنّه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب بن أبى صفرة؛ و قيل: بل هو من ولد أخيه روح بن حاتم. و كان أبوه هانئ من قرية

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۶۸

من قرى المهديّة بإفريقيّة. و كان شاعرا أديبا، كان ماهرا فى الأدب، حافظا لأشعار العرب و أخبارهم، و اتّصل بصاحب إشبيلية و حظى عنده؛ و كان كثير الانهماك فى اللذات متّهما بمذهب الفلاسفة؛ و لمّا اشتهر عنه ذلك نقم عليه أهل إشبيلية، و اتّهم الملك بمذهبه، فأشار عليه الملك بالغيبة عن البلد مدّة [ينسى فيها خبره]؛ فانفصل و عمره يومئذ سبع و عشرون سنة. و قصّته طويلة إلى أن قتل ببرقة

فى عوده إلى المغرب من مصر بعد أن مدح المعزّ العبيدىّ بغرر المدائح. و كان عوده إلى المغرب لأخذ عياله و عوده بهم إلى مصر. و تأسّف المعزّ عليه كثيرا. و من شعره قصيدته النونيّة فى مدح المعزّ لدين اللّه المذكور، منها:

بيض و ما ضحك الصباح و إنّها بالمسك من طرر الحسان لجون

أدمى لها المرجان صفحة خدّه و بكى عليها اللؤلؤ المكنون

و كان ابن هانئ هذا فى المغرب مثل المتنبّى فى المشرق، و كان موته فى شهر رجب. و هو صاحب القصيدة المشهورة التى أوّلها:

فتقت لكم ريح الشّمال عبيرا و فيها توفّى الوزير عبّاس بن الحسين أبو الفضل الشيرازىّ، كان جبّارا ظالما، قتل بالكوفة بسقى الذّراريح، و دفن بمشهد علىّ عليه السلام. و ممّا يحكى عن ظلمه أنّه قتل ببغداد رجل من أعوان الوالى، فبعث أبو الفضل الشيرازىّ هذا من طرح النار من النحّاسين الى السمّاكين، فاحترق ببغداد حريق عظيم لم يعهد مثله، و أحرقت أموال عظيمة و جماعة كثيرة من النساء و الرجال و الصبيان و الأطفال، فأحصى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۶۹

ما أحرق ببغداد فكان سبعة عشر [ألف إنسان] و ثلثمائة دكان و ثلثمائة و عشرين دارا؛ أجرة ذلك فى الشهر ثلاثة و أربعون [ألف دينار]. فلمّا وقع ذلك قال له رجل:

أيّها الوزير أريتنا قدرتك و نحن نأمل من اللّه أن يرينا قدرته فيك! فبعد قليل قبض عليه عزّ الدولة و صادره و عاقبه، ثم سقى ذراريح فتقرّحت مثانته و هلك فى ذى الحجة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد بن يحيى المزكّى. و أبو العباس. اسماعيل بن عبد اللّه بن محمد بن ميكال.

و أبو بحر محمد بن الحسن بن كوثر البربهارىّ، و أبو جعفر محمد بن عبد اللّه البلخىّ شيخ الحنفية ببخارى فى ذى الحجة، كان إمام عصره بلا مدافعة. و أبو عمر محمد بن موسى بن فضالة. و أبو الحسن محمّد بن هانئ شاعر الأندلس

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إصبعان.

ذكر ولاية المعزّ العبيدى على مصر

هو أبو تميم معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر اللّه محمد بن المهدىّ عبيد اللّه العبيدىّ الفاطمىّ المغربىّ الملقّب بالمعزّ لدين اللّه، و الذى تنسب إليه القاهرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۷۰

المعزّيّة. مولده بالمهديّة فى يوم الاثنين حادى عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة و ثلثمائة؛ و بويع بالخلافة فى الغرب يوم الجمعة التاسع و العشرين من شوّال سنة إحدى و أربعين و ثلثمائة بعد موت أبيه. يأتى ذكر نسبه و أقوال الناس فيه بعد أن نذكر قدومه إلى القاهرة و ما وقع له مع أهلها ثم مع القرمطىّ.

و قال ابن خلكان: «و كان المعزّ قد بويع بولاية العهد فى حياة أبيه المنصور إسماعيل، ثم جدّدت له البيعة [بعد وفاته] فى يوم الأحد سابع ذى الحجة سنة إحدى و أربعين و ثلثمائة». قلت: هو أوّل خليفة كان بمصر من بنى عبيد.

قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبىّ فى تاريخ الإسلام: «و هو أوّل من تملّك ديار مصر من بنى عبيد [الرافضة] المدّعين أنهم علويّون. و كان ولىّ عهد أبيه إسماعيل، فاستقل بالأمر [فى آخر] سنة إحدى و أربعين و ثلثمائة، و سار فى نواحى إفريقيّة ليمهّد مملكته، فأذلّ العصاة و استعمل على المدن غلمانه و استخدم الجند. ثم جهّز مولاه جوهرا القائد فى جيش كثيف؛ فسار فافتتح سجلماسة، و سار

حتى وصل إلى البحر المحيط و صيدله من سمكه، و افتتح مدينة فاس، و أرسل بصاحبها و صاحب سبتة أسيرين إلى المعزّ؛ و وطّأ له جوهر من إفريقيّة إلى البحر سوى مدينة سبتة فإنّها بقيت لبنى أميّة أصحاب الأندلس».

و قال الشيخ شمس الدين أبو المظفّر فى تاريخه مرآة الزمان: «و كان مغرّى بالنجوم (يعنى المعزّ) و النظر فيما يقتضيه الطالع؛ فنظر فى مولده و طالعه فحكم له بقطع فيه، فاستشار منجّمه فيما يزيله عنه؛ فأشار عليه أن يعمل سردابا تحت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۷۱

الأرض و يتوارى فيه إلى حين جواز الوقت؛ فعمل [على] ذلك، و أحضر قوّاده و كتّابه و قال لهم: إن بينى و بين اللّه عهدا فى وعد وعدنيه و [قد] قرب أوانه، و قد جعلت نزارا ولدى وليّ عهدى بعدى، و لقّبته العزيز بالله، و استخلفته عليكم و على تدبير أموركم مدّة غيبتى، فالزموا الطاعة له و اتركوا المخالفة و اسلكوا الطريق السديدة؛ فقالوا: الأمر أمرك، و نحن عبيدك و خدمك؛ و وصّى العزيز ولده بما أراد، و جعل القائد جوهرا مدبّره و القائم بأمره بين يديه؛ ثم نزل إلى سرداب اتخذه و أقام فيه سنة؛ و كانت المغاربة إذا راوا غماما سائرا ترجّل الفارس منهم إلى الأرض، و أومأ بالسلام يشير [إلى] أن المعزّ فيه؛ ثمّ خرج المعزّ بعد ذلك و جلس للناس، فدخلوا عليه على طبقاتهم و دعوا له، فأقام على ما كان عليه». انتهى.

و قيل: إنّه دخل مصر و معه خمسمائة جمل موسوقة ذهبا عينا و أشياء كثيرة غير ذلك.

و قال القفطىّ: «إنّ المعزّ كان قد عزم على تجهيز عسكر إلى مصر؛ فسألته أمّه تأخير ذلك لتحجّ خفية، فأجابها و حجّت. فلمّا وصلت إلى مصر أحسّ بها كافور الإخشيذىّ الأستاذ فحضر إليها و خدمها و حمل إليها هدايا و بعث فى خدمتها أجنادا، فلمّا رجعت من حجّها منعت ولدها من غزو بلاده. فلمّا توفّى كافور بعث المعزّ جيوشه فأخذوا مصر». انتهى.

و لمّا أرسل المعزّ القائد جوهرا إلى مصر و فتحها و بلغه ذلك سار بنفسه إلى المهديّة فى الشتاء فأخرج من قصور آبائه من الأموال خمسمائة حمل، ثم سار نحو الديار المصريّة بعد أن مهّد له جوهر القائد و بنى له القاهرة. و كان صادف مجيء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۷۲

جوهر إلى مصر الغلاء و الوباء، فلم يلتفت إلى ذلك و افتتحها؛ ثم افتتح الحجاز و الشام، و أرسل يعرّف المعزّ. و قد ذكرنا شيئا من ذلك فى ترجمة جوهر القائد.

و خرج المعزّ من المغرب فى سنة إحدى و ستين و ثلثمائة بعد أن استخلف على إفريقيّة [يوسف] بلكّين بن زيرى الصّنهاجى، و جدّ المعزّ فى السير فى خزائنه و جيوشه حتى دخل الإسكندريّة فى شعبان سنة اثنتين و ستين و ثلثمائة؛ فتلقّاه قاضى مصر أبو طاهر الذّهلى و الأعيان، و طال حديثهم معه، و أعملهم بأنّ قصده القصد المبارك من إقامة الجهاد و الحقّ و أن يختم عمره بالأعمال الصالحة، و أن يعمل بما أمره به جدّه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم، و وعظهم و طوّل حتى أبكى بعضهم و خلع على جماعة. ثمّ نزل بالجيزة و أخذ جيشه فى التعدية إلى مصر ثمّ ركب هو و دخل القاهرة؛ و قد بنيت له بها دور الإمارة، و لم يدخل مدينة مصر، و كانوا قد احتفلوا و زيّنوا مصر بأحسن زينة. فلمّا دخل القصر خرّ ساجدا و صلّى ركعتين.

و قال عبد الجبّار البصرىّ: «و كان السبب فى مجيئه إلى مصر؛ أنّ الرّوم كانوا قد استولوا على الشام و الثغور و طرسوس و أنطاكية و أذنة [و عين زربة] و المصّيصة و غيرها و فرح بمصاب المسلمين؛ و بلغه أن بنى بويه قد غلبوا على بنى العباس و أنهم لا حكم لهم معهم؛ فاشتدّ طمعه فى البلاد؛ و كان له بمصر شيعة فكاتبوه يقولون: إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعزّ الدنيا كلّها، و يعنون بالحجر الأسود الأستاذ كافورا الإخشيذىّ الخصىّ، و كان كافور يومئذ أمير مصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۷۳

نيابة عن ابن الإخشيذ و عن الحسن بن عبيد اللّه بن طغج أمير الشام، و كان الحسن قد دخل مع الشّيعة فى الدعوة، و كان الحسن ضعيفا رخوا؛ و لذلك كان كافور هو المتكلّم عنه لأنّ الجند كانوا قد طمعوا فيه (أعنى الحسن) و كرهوه و كرههم؛ فقال له أبو جعفر

بن نصر، و كان من دعاة المعزّ بالقاهرة: هؤلاء القوم قد طمعوا فيك، و المعزّ لك مثل الوالد، فإن شئت كاتبته ليشدّ منك و يكون من وراء ظهرك؛ فقال الحسن: إى و اللّه قد أحرقوا قلبى!. فكتب إلى المعزّ يخبره؛ فبعث المعزّ القائد جوهرا، و هو عبد رومىّ غير خصىّ؛ فجاء جوهر إلى مصر فى مائة ألف مقاتل، فدخل مصر فى سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة، حسب ما ذكرناه، و أخرج الحسن المذكور بعد أن قاتله؛ و استولى جوهر على الخزائن و الأموال و الذخائر. و توجّه الحسن إلى الرملة ثم ظفر به جوهر و بعث به إلى المعزّ إلى الغرب؛ فلمّا دخل عليه الحسن قرّ به المعزّ و؟؟؟ بشّ به، و قال: أنت ولدى؛ و كاتبتنى على دخول مصر و إنّما بعثت جوهرا لينصرك، و لقد لحقنى بتجهيز الجيوش إلى مصر أربعة آلاف ألف [و خمسمائة ألف] دينار. فظنّ الحسن أنّ الأمر كما قال المعزّ، و لم يدر أنه خدعه؛ فسعى إليه بجماعة من قوّاد مصر و الأمراء و أرباب الأموال و عرّفه حال المصريّين، و كان كلّ واحد من هؤلاء الذين دلّ الحسن المعزّ عليهم مثل قارون فى الغنى؛ فكتب المعزّ إلى جوهر باستئصالهم و مصادرتهم [و أن يبعث بهم إليه] ثمّ حبسهم مع الحسن؛ فكان ذلك آخر العهد بهم». فقال الذهبىّ: هذا قول منكر بل أخرج الحسن بن عبيد اللّه من مصر و بايع للمعزّ، ثم قدم بعد ذلك و وقعت الوحشة بينهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۷۴

و لمّا دخل المعزّ إلى القاهرة احتجب فى القصر فبعث عيونه ينقلون إليه أخبار الناس و هو متوفّر فى النعم و الأغذية المسمنة و الأطلية التى تنقّى البشرة و تحسّن اللّون. ثمّ ظهر للناس بعد مدّة و قد لبس الحرير الأخضر و جعل على وجهه اليواقيت و الجواهر تلمع كالكواكب. و زعم أنّه كان غائبا فى السماء و أنّ اللّه رفعه إليه؛ فامتلأت قلوب العامّة و الجهّال منه رعبا و خوفا، و قطع ما كان على ابن الإخشيذ فى كلّ سنة من الأتاوة للقرامطة، و هى ثلثمائة ألف دينار. و لمّا بلغ القرمطىّ ذلك عظم عليه؛ لأنّ المعزّ كان يصافيه لمّا كان بالمغرب و يهاديه، فلمّا وصل إلى مصر قطع ذلك عنه. و سار القرمطىّ، و اسمه الحسن بن أحمد بن أبى سعيد الحسن بن بهرام القرمطىّ، إلى بغداد و سأل الخليفة المطيع باللّه العباسىّ على لسان عزّ الدولة بختيار أن يمدّه بمال و رجال و يولّيه الشام و مصر ليخرج المعزّ منها؛ فامتنع الخليفة المطيع باللّه من ذلك، و قال: كلّهم قرامطة و على دين واحد؛ فأمّا المصريون (يعنى بنى عبيد) فأماتوا السنن و قتلوا العلماء؛ و أمّا هؤلاء (يعنى القرامطة) فقتلوا الحاجّ، و قلعوا الحجر الأسود، و فعلوا ما فعلوا. فقال عزّ الدولة بختيار للقرمطىّ: اذهب فافعل ما بدالك. و قيل: إنّ بختيار أعطاه مالا و سلاحا. فسار القرمطىّ إلى الشام و معه أعلام سود، و أظهر أنّ الخليفة المطيع ولّاه و كتب على الأعلام اسم المطيع عبد الكريم، و تحته مكتوب "السادة الراجعون إلى الحقّ "و ملك القرمطىّ الشام و لعن المعزّ هذا على منبر دمشق و أباه؛ و قال: هؤلاء من ولد القدّاح كذّابون مخترقون أعداء الإسلام، و نحن أعلم بهم؛ و من عندنا خرج جدّهم القدّاح. ثم أقام القرمطىّ الدعوة لبنى العباس و سار إلى مصر بعساكره. و لمّا بلغ المعزّ مجيئه تهيّأ لقتالهم؛ فنزل القرمطىّ بمشتول الطواحين، و حصل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۷۵

بينه و بين المعزّ مناوشات، ثم تقهقر المعزّ و دخل القاهرة و انحصر بها إلى أن أرضى القرمطىّ بمال و خدعه، و انخدع القرمطىّ و عاد إلى نحو الشام، فمات بالرّملة فى شهر رجب، و أراح اللّه المسلمين منه، وصفا الوقت للمعزّ فإنّ القرمطىّ كان أشدّ عليه من جميع الناس للرّعب الذى سكن فى قلوب الناس منه؛ فكانت القرامطة إذا كانوا فى ألف حطّموا مائة ألف و انتصفوا. خذلان من اللّه تعالى لأمر يريده.

ذكر ما قيل فى نسب المعزّ و آبائه

قال القاضى عبد الجبّار البصرىّ: «اسم جدّ الخلفاء المصريّين سعيد، و يلقّب بالمهدىّ، و كان أبوه يهوديّا حدّادا بسلمية؛ ثم زعم سعيد هذا أنّه ابن الحسين بن أحمد بن عبد اللّه بن ميمون القدّاح. و أهل الدعوة أبو القاسم الأبيض العلوىّ و غيره يزعمون أنّ سعيدا إنّما

هو من امرأة الحسين المذكور، و أنّ الحسين ربّاه و علّمه أسرار الدعوة، و زوجته بنت أبى الشلغلغ، فجاءه ابن فسمّاه عبد الرّحمن. فلمّا دخل الغرب و أخذ سجلماسة تسمّى بعبيد اللّه ثمّ تكنّى بأبى محمد، و سمّى ابنه الحسن، و زعمت المغاربة أنّه يتيم ربّه و ليس بابنه و لا بابن زوجته؛ و كناه أبا القاسم و جعله وليّ عهده». انتهى.

و قال القاضى أبو بكر بن الباقلانى: «القدّاح جدّ عبيد اللّه كان مجوسيا، و دخل عبيد اللّه المغرب و ادّعى أنه علوىّ و لم يعرفه أحد من علماء النسب، و كان باطنيا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۷۶

خبيثا حريصا على إزالة ملّة الإسلام؛ أعدم الفقه و العلم ليتمكّن من إغراء الخلق؛ و جاء أولاده أسلوبه و أباحوا الخمر و الفروج و أشاعوا الرّفض، و بثّوا دعاة فأفسدوا عقائد جبال الشام، كالنّصيرية و الدّروزيّة. و كان القدّاح كاذبا مخترقا، و هو أصل دعاة القرامطة». انتهى.

و قال ابن خلكان: «اختلف فى نسبهم، فقال صاحب تاريخ القيروان: هو عبيد اللّه بن الحسن بن علىّ بن محمد بن علىّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنهم». انتهى. و قال غيره: هو عبيد اللّه ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور فى قول صاحب تاريخ القيروان. و قيل:

هو علىّ بن الحسين بن أحمد بن عبد اللّه بن الحسن بن محمد بن علىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى اللّه عنهم. و قيل: هو عبيد اللّه بن التقىّ بن الوفىّ بن الرضىّ، و هؤلاء الثلاثة يقال لهم المستورون فى ذات اللّه. و الرضىّ المذكور هو ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر. و اسم التقىّ الحسين. و اسم الوفىّ أحمد. و اسم الرضىّ عبد اللّه. و إنّما استتروا خوفا على أنفسهم لأنّهم كانوا مطلوبين من جهة الخلفاء من بنى العباس، لأنّهم علموا أنّ فيهم من يروم الخلافة؛ [أسوة غيرهم من العلويّين، و قضاياهم و وقائعهم فى ذلك مشهورة]. و إنّما تسمّى المهدىّ عبيد اللّه استتارا.

هذا عند من يصحّح نسبه ففيه اختلاف كثير. و أهل العلم بالأنساب من المحقّقين ينكرون دعواه فى النسب. و قيل: هو عبيد اللّه بن الحسين بن علىّ بن محمد بن على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۷۷

الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق. و قيل: هو علىّ بن الحسين بن أحمد ابن عبد اللّه بن الحسين بن محمد بن زين العابدين بن محمد بن الحسين، و إنّما سمّى نفسه [عبيد اللّه] استتارا. و هذا أيضا على قول من يصحّح نسبهم. و الذى ينكر نسبه يقول: اسمه سعيد، و لقبه عبيد اللّه، و زوج أمّه الحسين بن أحمد القدّاح، كان كحّالا يقدح العين إذا نزل فيها ماء.

و قال ابن خلكان: «و جاء المعزّ من إفريقيّة و كان يطعن فى نسبه. فلمّا قرب من البلد (يعنى مصر) و خرج الناس للقائه، اجتمع به جماعة من الأشراف؛ فقال له من بينهم الشريف عبد اللّه بن طباطبا: إلى من ينتسب مولانا؟ فقال له المعزّ:

سنعقد مجلسا و نسرد عليكم نسبنا. فلمّا استقرّ المعزّ بالقصر جمع الناس فى مجلس عامّ و جلس لهم و قال: هل بقى من رؤسائكم أحد؟ فقالوا: لم يبق معتبر، فسلّ [عند ذلك نصف] سيفه و قال: هذا نسبى! و نثر عليهم ذهبا كثيرا، و قال: هذا حسبى! فقالوا جميعا: سمعنا و أطعنا». قلت: و فى نسب المعزّ أقوال كثيرة أخر أضربت عن ذكرها خوف الإطالة. و الظاهر أنه ليس بشريف، و أنّه مدّع. و اللّه أعلم.

و استمر بالقاهرة إلى أن مرض بها و توفّى يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأوّل سنة خمس و ستين و ثلثمائة، و له ست و أربعون سنة؛ و قام ولده العزيز نزار بعده بالأمر. و أقام المعزّ واليا ثلاثا و عشرين سنة و خمسة أشهر و سبعة و عشرين يوما، منها بمصر ثلاث سنين، و باقى ولايته كانت بالمغرب:

و خلّف عشرة أولاد: نزارا الذى ولى مصر بعده و عبد اللّه و عقيلا و سبع بنات.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۷۸

و أقام بتدبير مملكة ولده العزيز جوهرا القائد بانى القاهرة و صاحب جامع الأزهر المقدّم ذكره.

قال ابن خلّكان: إنّه توفّى يوم الجمعة الحادى عشر من شهر ربيع الآخر.

و قيل: الثالث عشر [و قيل لسبع خلون] منه. فخالف ما قلنا فى اليوم و الشهر إلّا أنّه وافق فى السنة. قال: و (معدّ بفتح الميم و العين المهملة و تشديد الدال المهملة).

انتهى. قلت: و كان المعزّ عاقلا حازما أديبا جوادا ممدّحا، فيه عدل و إنصاف للرعية، فمن عدله [ما] حكى عنه أنّ زوجة الإخشيذ الذى كان ملك مصر لمّا زالت دولتهم أودعت عند يهودىّ بغلطاقا كلّه جوهر، ثمّ فيما بعد طالبته فأنكر؛ فقالت: خذكمّ البغلطاق و أعطنى ما فضل فأبى؛ فلم تزل به حتّى قالت: هات الكمّ و خذ الجميع فلم يفعل؛ و كان فى البغلطاق بضع عشرة درّة؛ فأتت المرأة إلى قصر المعزّ فأذن لها فأخبرته بأمرها، فأحضره و قرّره فلم يقرّ؛ فبعث إلى داره من خرّب حيطانها فظهرت جرّة فيها البغلطاق؛ فلما رآه المعزّ تحيّر من حسنه، و وجد اليهودىّ قد أخذ من صدره درّتين، فآعترف أنه باعهما بألف و ستمائة دينار؛ فسلّمه المعز بكماله للمرأة. فاجتهدت أن يأخذه المعزّ هديّة أو بثمن فلم يفعل؛ فقالت: يا مولاى، هذا كان يصلح لى و أنا صاحبة مصر، و أمّا اليوم فلا؛ فلم يقبله المعزّ و أخذته و انصرفت.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۷۹

و كان المعزّ قد أتقن فنونا من العلم و الأدب. و من شعره قوله:

للّه ما صنعت بنا تلك المحاجر فى المعاجر

أمضى و أقضى فى النفو س من الخناجر فى الحناجر

و لقد تعبت ببينكم تعب المهاجر فى الهواجر

ذكر ركوب الخلفاء الفاطميين فى أوّل العام من كلّ سنة

و المعزّ هذا هو الذى استنّ ذلك كلّه، فكان أمره إذا كان أواخر ذى الحجّة من كلّ سنة انتصب كلّ من المستخدمين فى الأماكن الآتى ذكرها لإخراج آلات الركوب:

فيخرج من خزائن الأسلحة ما يحمله صبيان الرّكاب حول الخليفة، و هو الصّيماصم المصقولة المذهّبة، [مكان السيوف]، و الدبابيس الملبّسة الكيمخت الأحمر و الأسود مدوّرة الرأس مضرّسة؛ و لتوت رءوسها مستطيلة؛ و آلات يقال لها المستوفيات، و هى عمد حديد طول ذراعين مربّعة الشكل، لها مقابض مدوّرة فى اليد، و عدد معلومة أيضا من كلّ صنف يتسلّمها نقباؤهم؛ و ستّمائة حربة بأسنّة مصقولة تحتها جلب فضّة، كل اثنتين فى شرّابة تعطى لثلثمائة عبد [من] السودان الشباب يقال لهم أرباب السلاح الصغير و يعطى لكل منهم درقة. هذا من خزائن السلاح.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۸۰

ثمّ يخرج من خزائن التجمّيل، و هى من حقوق خزائن السلاح، القضب الفضة [برسم] تشريف الوزير و أرباب الرتب من الأمراء و العساكر من الرّجالة و المشاة، و هى رماح ملبّسة بأنابيب الفضة المنقوشة بالذهب سوى ذراعين منها، فإنّها مشدودة بالمعاجر الشرب الملوّنة، و تبقى أطرفها المرقومة مسبلة كالسناجق، و برأس كلّ رمح رمامين فضة منفوخة و أهلّة مجوّفة و فيها جلاجل لها حسّ إذا تحرّكت، و عدّتها مائة رمح.

و من العماريّات و هى شبه الكجاوات مائة عماريّة ملبّسة بالديباج الأحمر و الأصفر و السقلاطون مبطّنة مضبوطة بزنانير من حرير، و على دائر التربيع مناطق بكوامخ فضّة مسمورة فى جلد.

و يخرج للوزير لواءان على رمحين ملفوفين غير منشورين، فيسيران أمام الوزير.

ثمّ يسير للأمراء أرباب الرتب فى الخدم، أوّلهم صاحب الباب عشر قصبات و عشر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۸۱

عماريّات. و للإسفهسالار مثل ذلك عدّة عماريّات بألوان مختلفة؛ و من سواهما من الأمراء خمس.

ثمّ يخرج من البنود الخاصّ الدّبيقىّ المرقوم الملوّن برماح ملبّسة بالأنابيب، على رءوسها الرمامين و الأهلة للوزير أيضا خاصّة. و دون هذه البنود مما هو حرير على رماح غير ملبّسة، رءوسها و رمامينها نحاس مجوّف مذهّب، أمام الأمراء المذكورين.

ثمّ يخرج لقوم يقال لهم السبربرية سلاح، كلّ قطعة طول ثلاث أدرع برأسها طلعة مصقولة و هى من خشب القنطارية داخلة فى الطلعة، و فى عقبها حديد مدوّر السّفل، فهى فى كفّ حاملها الأيمن، و هو يفتلها فتلا متداركا الدوران؛ و فى يده اليسرى نشّابة كبيرة يخطر بها.

ثمّ يخرج من النّقّارات حمل خمسين بغلا- على خمسين بغلا- على كلّ بغل خمس مثل الكوسات يقال لها طبول. قلت: و لها حسّ مستحسن. و يسيرون فى المواكب ثلاثا. ثمّ يخرج لقوم متطوّعين ليس لهم جراية و لا نفقة، و عدّتهم مائة رجل،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۸۲

لكل واحد درقة من درق اللّمط واسعة و سيف؛ و يسيرون رجّالة. هذا ما يخرج من خزائن السلاح.

ثمّ يحضر حامى خزائن السروج، و هو من الأستاذين المحنّكين، إليها مع مشارفها و هو من الشهود المعدّلين، فيخرج منها من خاصّ الخليفة من الرّكاب المحلّى ما هو برسم ركوبه، و ما يجنب فى الموكب مائة سرج تشدّ على عدّة حصن. و يقال: كلّ مركب مصوغ من ذهب و فضّة، أو من ذهب منزّل فيه المينا، و روادفها و قرابيسها من نسبتها. و منها مرصّع بحبّ اللؤلؤ الفائق. و الخيل مطوّقة بأعناق الذهب و قلائد العنبر، و فى أيدى أكثرها خلاخل مسطّحة بالذهب، و مكان الجلد من السروج الديباج الأحمر و الأصفر و غيرهما من الألوان المنقوشة؛ قيمة كلّ دابّة و ما عليها ألف دينار. فيشرّف الوزير منها بعشرة لركوبه و أولاده و من يشاء من أقاربه. و يتسلّم ذلك كلّه عرفاء الإصطبلات.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۸۳

ثمّ يخرج من الخزانة أيضا لأرباب الدواوين المرتّبين فى الخدم مراكب على مقدارهم، عليها من العدّة دون ما تقدّم ذكرهم، و عدّتهم ثلثمائة خيل و بغال. ثم ينتدب حاجب يفرّق لأرباب الخدم كلّ واحد سيفا و قلما؛ فيحضر سحر اليوم المذكور إلى منازل أرباب الخدم بالقاهرة و مصر، و لهم رسوم من الرّكاب من دينار إلى نصف دينار إلى ثلث دينار. فإذا تكمّل ما وصفنا و تسلّمه أربابه من العرفاء يجلس الخليفة فى الشبّاك لعرض الخيل الخاصّ المقدّم ذكرها، و يقال له يوم عرض الخيل، فيستدعى الوزير بصاحب الرسالة، و هو من كبار الأستاذين المحنّكين، فيمضى مسرعا على حصان دهراج، فيعود و يعلم باستدعاء الوزير؛ فيخرج الخليفة من مكانه راكبا فى القصر و الناس بين يديه مشاة، فينزل بمكان لا بدهليز باب الملك الذى فيه الشباك، و عليه ستر؛ فيقف زمام القصر من جانبه الأيمن و صاحب بيت المال من جانبه الأيسر. فيركب الوزير من داره و بين يديه الأمراء. فيترجّل الأمراء من باب القصر و الوزير راكب، و يدخل من باب العيد فى هذا اليوم، و ينزل عند أوّل الدّهاليز الطّوال، و يمشى و حوله حاشيته و أقاربه إلى الشبّاك، فيجلس على كرسىّ جيّد و رجلاه تطأ الأرض. فعند ما يجلس يرفع الأستاذان جانبى الستر الذى على الخليفة. فإذا رأى الوزير الخليفة وقف و سلّم و خدم بيده إلى الأرض خمس مرّات. ثم يؤذن له فى الجلوس على كرسيّه،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۸۴

و يقرأ القرّاء آيات لائقة بذلك الحال نصف ساعة. ثم تعرض الخيول كالعرائس بأيدى شدّاديها، فيقرأ القرّاء عند تمام العرض و يرخى جنبات الستر. و يقوم الوزير فيدخل و يقبّل يد الخليفة و رجله؛ ثمّ ينصرف فيركب من مكان نزوله و الأمراء فى ركابه ركبانا و

مشاة إلى قريب من داره. فإذا صلّى الإمام الظهر جلس الخليفة لعرض ما يلبسه فى الغد من خزائن الكسوة الخاصّية، و يكون لباسه البياض، فيعين منديلا خاصّا و بدلة. و يتسلّم المنديل شادّ التاج الشريف، و يقال له شدّ الوقار، و هو من الأستاذين المحنّكين و له ميزة، فيشدّها شدّة غريبة لا يعرفها سواه، شكل الإهليلجة.

ثم يحضر إليه اليتيمة، و هى جوهرة عظيمة لا تعرف لها قيمة، فتنظم و حولها ما هو دونها من الجواهر؛ و هى موضوعة فى هلال من ياقوت أحمر ليس له مثال فى الدنيا، زنته أحد عشر مثقالا و قيل أكثر، يقال له الحافر، فتنظم فى خرقة حرير أحسن ما يمكن من الوضع، و يخاط على التاج بخياطة خفيفة، فيكون ذلك بأعلى جبهة الخليفة، و بدائرها قصب الزّمرذ الذّبابىّ العظيم القدر.

ثمّ يؤمر بشدّ المظلّة التى تشاكل تلك البدلة، و هى اثنا عشر شوزكا، عرض أسفل كلّ شوزك شبر و طوله ثلاث أذرع و ثلث؛ و آخر الشوزك من فوق دقيق جدا. فيجتمع ما بين الشوازك فى رأس عمودها دائرة. و العمود من الزان ملبّس بأنابيب الذهب. و فى آخر أنبوبة تلى الرأس فلكة بارزة قدر عرض إبهام. فيشدّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۸۵

آخر الشوازك فى حلقة ذهب. و للمظلة أضلاع من خشب الخلنج مربّعات مكسوّة بالذهب على عدد الشوازك خفاف بطول الشوازك. و فيها خطاطيف لطاف، و حلق يمسك بعضها بعضا تنضمّ و تنفتح، و رأسها كالرمّانة، و يعلوه أيضا رمّانة صغيرة كلها ذهب مرصّع بجوهر، و لها رفرف دائر عرضه أكثر من شبر و نصف، و تحت الرّمانة عنق مقدار ستّ أصابع. فاذا أدخلت الحلقة الذهب الجامعة لآخر الشوازك فى رأس العمود ركّبت عليها الرمانة و لفّت فى عرضى دبيقىّ مذهب، فلا يكشفها منه إلّا حاملها عند تسليمها وقت الركوب.

ثمّ يؤمر بشدّ لواءى الحمد المحتصّين بالخليفة، و هما رمحان [طويلان ملبّسان بمثل أنابيب عمود المظّلة إلى حدّ نصفهما] برأسهما لواءان حريرا أبيض مرقوما بالذهب ملفوفين على رماحهما، و يخرجان بخروج المظّلة، فيحملهما أميران.

ثمّ يخرج إحدى و عشرون راية لطيفة من حرير مرقوم، ملوّنة بكتابة فى كلّ واحدة بما يخالف لونها [و نص كتابتها]: (نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ). طول كلّ راية ذراعان فى ذراع و نصف، فتسلّم لواحد و عشرين رجلا.

ثمّ يخرج رمحان فى رءوسهما أهلّة من ذهب فى كلّ واحد سبع من ديباج أحمر و أصفر، و فى فمه طارة مستديرة، يدخل فيها الريح فينفتحان فيظهر شكلهما، و يتسلمهما فارسان يسيران أمام الرايات.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۸۶

ثمّ يخرج السيف الخاصّ، و جلبته [ذهب] مزصّعة بالجواهر، فى خريطة مرقومة بالذهب، لا يظهر سوى رأسه، فيخرج مع المظّلة، و حامله أمير، عظيم القدر، و هو أكبر حامل.

ثمّ يخرج الرمح، و هو رمح لطيف، فى غلاف منظوم من لؤلؤ، و له سنان مختصر بحلية ذهب [و له شخص مختص بحمله]. و درقة بكوامخ ذهب وسيعة، تنسب إلى حمزة بن عبد المطّلب، فى غشاء حرير، فيحملها أمير مميّز له جلالة. ثمّ يعلم الناس سلوك الموكب. و الموكب دورتين؛ إحداهما كبرى، و هى من باب القصر إلى باب النصر، مارّا إلى الحوض حوض عزّ الملك. ثمّ ينعطف على اليسار إلى باب الفتوح إلى القصر. و الأخرى هى الصغرى، إذا خرج من باب النصر سار حول السور و دخل من باب الفتوح إلى القصر. فكان إذا ركب ساروا بين يديه بغير اختلال و لا تبديل. فإذا أصبح الصبح يوم غرّة العام اجتمع أرباب الرتب من القاهرة و مصر و أرباب السيوف و الأقلام، فصفّوا بين القصرين، و لم يكن فيه بناء كاليوم بل كان خلاء. و يبكّر الأمراء إلى دار الوزير؛ فيركب الوزير من غير استدعاء، و يسير أمامه تشريفه المقدّم ذكره، و الأمراء بين يديه ركّابا و مشاة، و أمامه بنوه و إخوته، و كلّ منهم يرخى الذؤابة بغير حنك؛ و هو فى أبّهة عظيمة من الثياب الفاخرة و المنديل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۸۷

بالحنك، متقلدا سيفا مذهّبا؛ فيدخل أهله عند القصر فى أخصّ مكان لا يصل الأمراء إليه؛ و يدخل الوزير من باب القصر راكبا وحده إلى دهليز العمود، فينزل على مصطبة هناك و يمشى إلى القاعة و يجلس بها. فإذا دخلت الدّابة لركوب الخليفة و أسندت إلى الكرسىّ الذى يركب عليه الخليفة من باب المجلس أخرجت المظلّة إلى حاملها، فيكشفها بإعانة جماعة من الصقالبة برسم خدمتها، فيركزها فى آلة من حديد متّخذة شكل القرن المصطحب، و هو مشدود فى ركاب حاملها الأيمن بقوّة و تأكيد بعقبها، فيمسك العمود بحاجز فوق يده فيبقى و هو منتصب لا يضطرب فى ريح عاصف.

ثمّ يخرج السيف فيتسلّمه حامله، و يرخى له ذؤابة ما دام حاملا له.

ثمّ تخرج الدواة فيتسلّمها حاملها، و هو من الأستاذين المحنّكين، و هى الدواة التى كانت من أعاجيب الزمان، و هى من الذهب، و حليتها من المرجان، تلفّ فى منديل شرب بياض مذهب. و فيها يقول بعض الشعراء:

ألين لداود الحديد كرامة فقدّره فى السّرد كيف يريد

و لان لك المرجان و هو حجارة على أنّه صعب المرام شديد

ثمّ يخرج الوزير و من معه و ينضمّ إليه الأمراء، فيقف إلى جانب الدّابة، فيرفع صاحب [المجلس] السّتر، فيخرج منه الخليفة بالهيئة المشروحة قبل تاريخه: من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۸۸

الثياب و المنديل الحامل لليتيمة بأعلى جبهته، و هو محنّك مرخى الذؤابة مما يلى جانبه الأيسر، متقلّد سيفا عربيا و بيده قضيب الملك، و هو طول شبر و نصف، من عود مكسوّ بالذهب المرصّع بالجوهر؛ فيسلّم على الوزير قوم مرتّبون لذلك، و يسلّمون على أهله و على الأمراء بعدهم.

ثمّ يخرجون شيئا بعد شىء إلى أن يبقى الوزير فيخرج بعدهم، و يركب و يقف قبالة باب القصر إلى أن يخرج الخليفة و حوله الأستاذون، و دابّته تمشى على بسط مفروشة خيفة أن تزلق على الرّخام. فعند ما يقرب من الباب يضرب رجل ببوق من ذهب لطيف معوجّ الرأس، يقال له العربانة، بصوت عجيب يخالف أصوات البوقات، فتضرب أبواق الموكب و تنشر المظلّة، و يخرج الخليفة من الباب فيقف مقدار ما يركب الأستاذون المحنّكون و أرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة.

ثمّ يسيرون و المظلّة على يسار الخليفة و صاحبها يبالغ ألّا يزول عنه ظلّها، و صبيان الركاب، منهم جماعة كبيرة من الشكيمتين، و جماعة أخرى فى عنق الدّابة، و جماعة أخرى فى ركابيه. فالأيمن مقدّم المقدّمين، و هو صاحب المقرعة التى يناولها [للخليفة و يتناولها منه]، و يؤدّى عن الخليفة الأوامر و النواهى مدّة ركوبه.

و يسير الموكب و بأوّله أخلاط بعض العسكر، ثمّ الأماثل، ثمّ أرباب المناصب، ثم أرباب الأطواق، ثمّ الأستاذون المحنّكون، ثمّ حاملا لواءى الحمد من الجانبين،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۸۹

ثمّ حامل الدّواة، و موضعها من حاملها بينه و بين قربوس السّرج، ثمّ صاحب السيف و هما فى الجانب الأيسر. و كلّ ممّن تقدّم ذكره بين العشرة و العشرين من أصحابه.

و أهل الوزير من الجانب الأيمن بعد الأستاذين المحنّكين؛ ثمّ الخليفة و حوله صبيان الرّكاب المذكورة تفرقة السلاح [فيهم]، و هم ما يزيد على ألف رجل، و عليهم المناديل الطبقيّات يتقلّدون بالسيوف، و أوساطهم مشدودة بمناديل، و السلاح مشهور بأيديهم، من جانبى الخليفة كالجناحين، و بينهم فرجة لوجه الدّابة ليس فيها أحد.

و بقرب من رأس الدّابة صقلبيّان محمّلان مذبّتين، كلّ واحدة، كالنخلتين، لما يسقط من طائر و غيره؛ و هو سائر على تؤدة و رفق. و بطول الموكب والى القاهرة رائح و عائد يفسح الطرقات و يسيّر الفرسان، فيلقى فى عوده الإسفهسالار كذلك فى حثّ الأجناد فى

الحركة و ينكر على المزاحمين. و يلقى أيضا فى عوده صاحب الباب بمن فى زمرة الخليفة إلى أن يصل إلى الإسفهسالار، فيعود لترتيب الموكب، و بيد كلّ منهم دبّوس. و خلف دابة الخليفة قوم من صبيان الركاب لحفظ أعقابه، و خلفهم أيضا أخر يحمل كلّ واحد سيفا فى خريطة ديباج أحمر و أصفر بشراريب، يقال لها «سيوف الدم» لضرب الأعناق. ثمّ صبيان السلاح الصغير أرباب الفرنجيات [المقدّم ذكرهم] أوّلا.

ثمّ يأتى الوزير و فى ركابه قوم من أصحابه و قوم يقال لهم صبيان الزّرد من أقوياء الأجناد، يختارهم لنفسه نحو من خمسمائة رجل من جانبيه، كأنّه على قلق من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۹۰

حراسة الخليفة، و يجتهد ألّا يغيب عن نظره، و خلفه الطّبول و الصّنوج و الصفافير، بحيث تدوّى منهم الدنيا فى عدد كثير. ثمّ يأتى حامل الدّرقة و الرمح. ثمّ طوائف الراجل من الركابيّة و الجيوشيّة و قبلهما المصامدة، ثمّ الفرنجية، ثمّ الوزيريّة زمرة بعد زمرة فى عدد وافر يزيد على أربعة آلاف نفر، ثمّ أصحاب الرايات، ثمّ طوائف العساكر من الامريّة و الحافظيّة و الحجريّة الكبار و الحجريّة الصّغار و الصّقلّيّة، ثمّ الأتراك المصطنعون، ثمّ الديلم، ثم الأكراد و الغزّ المصطنعة و هم البحريّة. و يقدم هذه الفرسان عدّة وافرة من المترجّلة أرباب قسىّ اليد و قسىّ الرّجل فى نيّف و خمسمائة نفر، و هم المعدّون للأساطيل، و جملتهم نحو ثلاثة آلاف و أكثر. و هؤلاء الذين ذكرناهم بعض من كلّ لا جميع عسكر الخليفة. ثمّ يدخلون من باب الفتوح و يقفون بين القصرين كما كانوا.

فإذا وصل الخليفة إلى موضع جامع الأقمر الآن وقف وقفة و انفرج الموكب، فيمرّ الموكب بالخليفة، و يسكع الوزير ليظهر للناس خدمته، و يشير إليه الخليفة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۹۱

بالسلام إشارة خفيفة؛ و هذه أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة، و هى للوزير صاحب السيف خاصّة؛ فيسبق إذا لدخول الباب بالقصر راكبا إلى موضعه على العادة، خاصّة له، و الأمراء مشاة. فيصل الخليفة إلى الباب و قد ترجّل الوزير و قبله الأستاذون المحنّكون، فيحدقون به، و الوزير أمام الدّابة إلى أن ينزل الخليفة؛ فيخرج الوزير و يركب من مكانه، و الأمراء فى خدمته و أقاربه بين يديه، فيسيرون إلى داره فيسلّمون و ينصرفون إلى أماكنهم، فيجدون قد أحضر إليهم المقرر من الخليفة، يأمر بضرب دنانير و رباعيّة و دراهم فى العشر الأخير من ذى الحجة، عليها تاريخ السنة التى ركب فيها؛ فيحمل للوزير منها شىء كثير و إلى أولاده و أقاربه، ثم إلى أرباب الرتب من أرباب السيوف و الأقلام، من عشرة دنانير إلى رباعىّ إلى قيراط و إلى دينار واحد، فيقبلون ذلك تبرّكا.

و لا ينقطع الركوب من أوّل العام إلّا متى شاء، و لا يتعدّى ما ذكرناه فى يومى السبت و الثلاثاء. فإذا عزم على الركوب فى هذه الأيّام أعلم بذلك، و علامته إنفاق الأسلحة فى صبيان الركاب من خزائن السلاح. و كان أكثر ركوبه إلى مصر. فإذا ركب ركب الوزير وراء الخليفة فى أقلّ جمع مما تقدّم ذكره فى ركوب أوّل العام. فيشقّ الخليفة القاهرة إلى جامع أحمد بن طولون إلى المشاهد إلى درب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۹۲

الصّنفا، و يقال له الشارع، الأعظم إلى دار الأنماط إلى جامع مصر، فيجد ببابه الشريف الخطيب واقفا على مصطبة فيها محراب مفروش بحصير معلّق عليه سجادة، و فى يده مصحف، يقال: إنه بخط علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه، و هو من خاصله، فيناول الشريف الخليفة المصحف فيأخذه و يقبّله و يتبارك به، و يعطيه صاحب الخريطة المقرّر للصلاة ثلاثين دينارا، و هى رسمه كلّما مرّ به الخليفة، فيعطيها الشريف إلى مشارف الجامع، فيأخذ منها أربعة عشر دينارا، و يفرّق الباقى على القامة و المؤذنين خاصّة.

ثمّ يسير الخليفة إلى دار الملك، فينزلها و الوزير معه؛ و كلّما مرّ من القصر إلى دار الملك بمسجد أعطى قيّمه دينارا. ثمّ تأتى المائدة من القصر و عدّتها خمسون

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۹۳

شدّة علی رءوس الفرّاشین مع صاحب المائدة، و هو أستاذ جلیل إلّا أنّه لیس بمجنّک؛ و فی کلّ شدّة طیفور، فیه الأوانی الخاصّ، فیها من الأطعمة الخاصّ من کلّ نوع شهیّ و کلّ صنف من المطاعم العالیة، و له روائح عبقة مسک أرخیة و علی کلّ شدّة طرحة حریر تعلو الشدّة. فیحمل الخلیفة إلی الوزیر منها جزءا وافرا، و یعطی الأمراء و من حضر، ثم یوصل إلی أهل مصر من ذلک کثیرا من الفضلات.

ثمّ یصلّی الخلیفة العصر و یتحرّک إلی العود، و الناس فی الطریق جلوس لنظره. و زیّه فی هذه الأیام لبس الثیاب البیاض المذهّبة و الملوّنة، و هی العمامة، و المندیل مشدود، و شدّته مفردة عن شدّات الرعیّة و ذؤابته تقرب من الجانب الأیسر؛ و یتقلّد السیف العربیّ المجوهر بغیر حنک و لا مظلّة و لا یتیمة، و لذلک أوقات مخصوصة، فلا یمرّ بمسجد فی طریقه إلّا و یعطی قیّمه دینارا، کما جری فی الرّواح. و ینعطف من [باب] الخرق، فیدخل من بابی زویلة، و یشقّ القاهرة إلی القصر. و یکون ذلک من المحرّم إلی شهر رمضان؛ کما مرّ فی أوّل العام.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۹۴

و کان إذا رکب فی أوّل العام یکتب إلی ولاة الأعمال و النوّاب سجلات مخلّقة یذکر فیها رکوب الخلیفة. و هذا کلّه سوی رکوبه فی شهر رمضان إلی الخطبة، علی ما سنذکر إن شاء اللّه تعالی.

ذکر رکوب الخلیفة فی یومی عید الفطر و النّحر

إذا تکمّلت عدّة شهر رمضان، و هی عندهم أبدا ثلاثون یوما، و تهیّأت الأمور، کما تقدّم ذکره، رکب الخلیفة بالمظلّة و الیتیمة، و لباسه فی هذا الیوم الثّیاب البیاض الموشّحة، و هی أجلّ لباسهم؛ و المظلّة أبدا زیّها تابع لزیّ ثیاب الخلیفة. و یخرج الخلیفة من باب العید إلی المصلّی، و عساکره و أجناده من الفرسان و الرجّالة زائدة علی العادة موفورة العدد، فیقفون صفّین من باب العید إلی المصلّی. [و یکون صاحب بیت المال قد تقدّم علی الرسم لفرش المصلّی، فیفرش الطرّاحات علی رسمها فی المحراب مطابقة؛ و یعلّق سترین یمنة و یسرة]، علی الستر الأیمن الفاتحة و سبّح اسم ربّک الأعلی، و علی الأیسر الفاتحة و هل أتاک حدیث الغاشیة؛ و یرکز

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۹۵

فی جانبی المصلّی لواءین مشدودین علی رمحین قد لبّست أنابیبهما من الفضّة، و یرخیهما. فیدخل الخلیفة من شرقیّ المصلّی إلی مکان یستریح فیه قلیلا، ثم یخرج محفوظا کما یخرج للجمعة، فیصلّی بالتکبیرات المسنونة و القوم من ورائه علی ترتیبهم فی صلاة الجمعة. و یقرأ فی الأولی بعد الفاتحة سبّح اسم ربّک الأعلی، و فی الأخری الغاشیة؛ ثم یصعد إلی ذروة المنبر و علیها طرّاحة سامان أو دبیقیّ، و باقی درجه مستور بالأبیض. و یقف الوزیر أسفل المنبر و معه قاضی القضاة و صاحب الباب [و] إسفهسالار العساکر و صاحب السیف و صاحب الرّسالة و زمام القصر و صاحب دفتر المجلس و صاحب المظلّة و إمام الأشراف الأقارب و صاحب بیت المال و حامل الرمح و نقیب الأشراف الطالبیین.

فیشیر الخلیفة إلی الوزیر فیصعد و یقبّل رجله بحیث یراه الناس، ثمّ یقف علی یمینه. ثمّ یشیر إلی القاضی فیصعد إلی سابع درجة، فیشیر إلیه الخلیفة فیخرج من کمّه درجا أحضر إلیه أمس من دیوان الإنشاء قد عرض علی الخلیفة و الوزیر؛ فیقرؤه معلنا؛ و أوّله البسملة و یلیها «ثبت بمن شرّف بصعوده المنبر الشریف فی یوم کذا من سنة کذا من عبید أمیر المؤمنین، صلوات اللّه علیه و علی آبائه الطاهرین و أبنائه الأکرمین، بعد صعود السیّد الأجل » ... و یذکر الوزیر بألقابه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۹۶

و نعوته. و مرّة یشرّف الخلیفة أحدا من أقارب الوزیر، فیستدعیه القاضی.

ثمّ يتلو ذلك ذكر القاضى [و هو القارئ] فلا يسع القاضى أن يقول نعوت نفسه بل يقول [المملوك] فلان [بن فلان]. و قرأه [مرّة] ابن [أبى] عقيل القاضى فقال عن نفسه: العبد الذليل، المعترف بالصنع الجميل، فى المقام الجليل، أحمد بن عبد الرّحمن بن [أبى] عقيل. أو غير ذلك بحسب ما يكون اسم القاضى. ثمّ يستدعى من ذكرنا وقوفهم على باب المنبر، فيصعدون، وكّل له مقام يمنة أو يسرة؛ ثمّ يشير إليهم الوزير فيأخذ كلّ واحد نصيبا من اللواء الذى يحاذيه، فيسترون الخليفة و يستترون؛ ثمّ يخطب الخليفة خطبة بليغة. فإذا فرغ كشفوا ما بأيديهم من الألوية و ينزلون أوّلا بأوّل القهقرى.

ثمّ ينزل الخليفة إلى مكانه الذى خرج منه، و يركب فى زيّه المفخّم إلى قريب من القصر؛ فيتقدّمه الوزير، كما ذكرنا، و يدخل من باب العيد، فيجلس فى الشّباك، و قد نصب منه إلى فسقية كانت فى وسط الإيوان سماط طوله عشرون قصبة، عليه من الخشكنان و البستندود و البرماورد مثل الجبل الشاهق، و فيه كلّ قطعة منها ربع قنطار فما دون ذلك إلى رطل؛ فيدخل الناس فيأكلون

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۹۷

و لا منع و لا حجر، فيمرّ ذلك بأيدى الناس و ليس هذا ممّا يعتدّ به، بل يفرّق إلى الناس، و يحمل إلى دورهم. و نذكر مصروفها فى ترجمة العزيز؛ فإنّه أوّل من رتّبها فى عيد الفطر خاصّة.

*** و أمّا سماط الطعام [ففى يوم عيد الفطر اثنتان] أولى و ثانية، و فى عيد النحر مرّة واحدة. و يعبّى السّماط فى الليل، و طوله ثلثمائة ذراع فى عرض سبع أذرع، و عليه من أنواع المأكل أشياء كثيرة. فيحضر إليه الوزير أوّل صلاة الفجر و الخليفة جالس فى الشبّاك، و مكّنت الناس منه فاحتملوا و نهبوا ما لا يأكلونه، و يبيعونه و يدّخرونه. و هذا قبل صلاة العيد. فإذا فرغ من صلاة العيد مدّ السّماط المقدّم ذكره فيؤكل، ثمّ يمدّ سماط ثان من فضّة، يقال له المدوّرة، عليها أوانى الفضّة و الذهب و الصّينى، فيها من الأطعمة الخاصّ ما يستحى من ذكره. و السّماط بطول القاعة؛ و هو خشب مدهون شبه الدكك اللاطية، عرضه عشر أذرع. و يحطّ فى وسط السماط واحد و عشرون طبقا فى كلّ طبق واحد و عشرون خروفا؛ و من الدجاج ثلثمائة و خمسون طائرا، و من الفراريح مثلها، و من فراخ الحمام مثلها. و تتنوّع الحلوى أنواعا؛ ثم يمدّ بخلل تلك الأطباق أصحن خزفيّات فى جنبات السّماط، فى كلّ صحن تسع دجاجات فى ألوان فائقة من الحلوى، و الطّباهجة المفتقة بالمسك الكثير. و عدّة الصحون خمسمائة صحن، مرتّب كلّ ذلك أحسن ترتيب. ثم يؤتى بقصرين من حلوى قد عملا بدار الفطرة، زنة كلّ واحد سبعة عشر قنطارا؛ فيمضى بواحد من طريق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۹۸

قصر الشوك إلى باب الذهب، و يشقّ بالآخر من الجانب الآخر، فينصبان أوّل السّماط و آخره. ثمّ يخرج الخليفة راكبا فينزل على السرير الذى عليه المدوّرة الفضّة، و على رأسه أربعة من كبار الأستاذين المحنّكين، و أربعة من خواصّ الفرّاشين.

ثمّ يستدعى الوزير فيجلس عن يمينه، و الأمراء و من دونهم [فيجلسون] على السّماط؛ فيتداول الناس السّماط، و لا يردّ أحد عنه حتّى يذهب عن آخره؛ فلا يقوم الخليفة إلّا قريب الظهر. ثم يخرج الوزير و يذهب إلى داره؛ و يعمل سماط يقارب سماط الخليفة. و هكذا يقع فى عيد النحر فى أوّل يوم منه. انتهى الركوب فى عيد الفطر.

*** و أمّا ركوب الخليفة فى عيد الأضحى، فهو أيضا بالزّىّ المقدّم ذكره و الصلاة كذلك، إلّا أنّ الركوب يكون فى أيّام متتابعة، أوّلها يوم العيد إلى المصلى، ثمّ يركب ثانى يوم ثم ثالث يوم من باب الرّيح، و هو فى ركن القصر، و الباب مقابل سعيد السعداء؛ و كان الموضع المذكور فضاء لا عمارة فيه؛ فيخرج الخليفة من باب الريح، فيجد الوزير واقفا فيمشى بين يديه إلى المنحر، فينحر فيه ماشاء اللّه أن ينحر، و يعطى الرسوم. و رسوم الأضحية كرسوم ركوب الخليفة أوّل العام،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۹۹

و يفرّق الضحايا إلى المساجد و جوامع القاهرة و غيرها. فإذا انقضى ذلك خلع الخليفة على الوزير ثيابه الحمر التى كانت عليه، و منديلا آخر بغير اليتيمة [و] العقد المنظوم عند ما يطلع من المنحر؛ فيشقّ الوزير بذلك القاهرة إلى باب زويلة، و يسلك على الخليج

إلى باب القنطرة؛ و يدخل دار الوزارة؛ فلذلك يفضّل عيد النحر على عيد الفطر لكونه يخلع فيه على الوزير.

*** و أمّا الركوب لفتح خليج السدّ عند وفاء النيل، فهو يضاهى ركوبهم فى أوّل العام. نذكر منه على سبيل الاختصار نبذة يسيرة. إذا كان ليالى الوفاء حمل إلى المقياس من المطابخ نحو عشرة قناطير خبز، و عشرة خراف مشويّة، و عشر جامات حلوى، و عشر شمعات، و توجّه القرّاء و أرباب الجوامع فيقرءون تلك الليلة بجامع المقياس حتّى يكون الوفاء؛ فيهتم الخليفة لذلك و يركب و يستدعى الوزير على العادة، و يسير بالزيّ المقدّم من غير مظلّة، و ينزل بالصناعة؛ ثمّ يركب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۰۰

العشارى، و يدخل البيت المذهّب فى العشارى، و معه من شاء من المحنّكين و لا تزيد عدّتهم على أربعة نفر. و يطلع إلى العشارى خواصّ الخليفة و خواصّ الوزير؛ و هم اثنان أو ثلاثة؛ و الناس كلّهم فيه قيام إلّا الوزير فإنّه يجلس. ثمّ يمرّ العشارى إلى المقياس؛ ثم تساق أشياء من التجمّل يطول شرحها من جنس ركوبه أوّل العام. ثمّ يخرج بعد فراغه من تخليق المقياس و يركب العشارى و يعود إلى دار الملك بمصر و تارة إلى المقس، و من أحدهما إلى القاهرة فى زيّ مهول من كثرة ما يهتمّ له من العساكر و الزينة و السلاح. و يكون هذا الركوب أولى و ثانية؛ فالأولى فى ليلة يتوجّه القرّاء، و الثانية يوم فتح الخليج. و عند ما يفتح الخليج ينشده الشعراء فى المعنى. فمن ذلك:

فتح الخليج فسال منه الماء و علت عليه الراية البيضاء

فصفت موازده لنا فكأنّه كفّ الإمام فعرفها الإعطاء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۰۱

*** و أمّا ركوبهم فى المواكب فى يومى الاثنين و الخميس و غير ذلك، فأمر عظيم. فأوّل الركوب ركوب [متولّى] دفتر المجلس بالقصر الباطن. و يتضمّن هذا الركوب الإنعام بالعطاء بأداء الرسوم و العطايا المفترقة فى غرّة السنة، ثم يأتى ركوب و ثالث و رابع و خامس.

*** و أمّا خزانة الكتب، فكانت فى أحد مجالس البيمارستان العتيق اليوم، كان فيها ما يزيد على مائة ألف مجلد فى سائر العلوم، يطول الأمر فى عدّتها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۰۲

و قد اختصرنا من أمور الفاطميين نبذة كثيرة خشية الإطالة و الخروج عن المقصود، و فيما ذكرناه كفاية، و يعلم به أيضا أحوالهم بالقياس. و ربّما يأتى ذكرهم فى عدة تراجم أيضا؛ فإنّهم ثلاثة عشر خليفة بمصر، نذكرهم إن شاء اللّه فى هذا الكتاب كلّ واحد على حدته.

*** و أمّا خطبة الخليفة فى شهر رمضان، فنذكرها من قول ابن عبد الظاهر.

قال: «و أمّا عظم الخليفة فى أيّامه و ما كانت قاعدته و طريقته التى رتّبها و دامت من بعده عادة لكل خليفة فشىء كثير؛ من ذلك: أنّه كان يخطب فى شهر رمضان ثلاث خطب و يستريح فيه جمعة، و كانوا يسمّونها جمعة الراحة. و كان إذا أراد أن يخطب يتقدّم متولّى خزانة الفرش إلى الجامع و يغلق المقصورة التى برسم الخليفة و المنظرة و أبواب مقاصيرها و بادهنج المنبر ثمّ يركب متولّى بيت المال، و على يد كلّ واحد منهما تعليقه و فرشه، و هى عدّة سجّادات مفروزة منطّقة و بأعلاها سجادة لطيفة، لا تكشف إلّا عند توجّه الخليفة إلى المحراب. ثم يفرش الجامع بالحصر المحاريب المفروزة ممّا يلى المحراب- و كان ذلك بجامع الأزهر قبل أن يبنى الحاكم جامعه، ثمّ صار بعد ذلك بجامع الحاكم- ثم يهيّأ للداخل للجامع مثل ذلك، ثم يطلق البخور، و تغلق أبواب الجامع و يجعل عليها الحجّاب و البوّابون؛ و لا يمكّن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۴؛ ص۱۰۲

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۰۳

أحد أن يدخله إلّا من هو معروف من الخواصّ و الأعيان. فإذا كان حضور الخليفة إلى الجامع ضربت السلسلة من ركن الجامع إلى الوجه الذى قبالته، و لا يمكّن أحد من الترجّل عندها. ثمّ يركب الخليفة، و يسلّم لكلّ واحد من مقدّمى الرّكاب فى الميمنة و الميسرة أكياس الذهب و الورق سوى الرسوم المستقرّة و الهبات و الصدقات فى طول الطريق. و يخرج الخليفة من باب الذهب و المظلّة بمشدّة الجوهر على رأسه، و على الخليفة الطّيلسان. فعند ذلك يستفتح المقرئون بالقراءة فى ركابه بغير رهجيّة، و الدكاكين مزيّنة مملوءة بأوانى الذهب و الفضّة؛ فيسير الخليفة إلى أن يصل إلى وجه الجامع، و وزيره بين يديه، فتحطّ السلسلة و يتمّ الخليفة راكبا إلى باب جامع الأزهر الذى تجاه درب الأتراك، فينزل و يدخل من باب الجامع إلى الدّهليز الأول الصغير و منه إلى القاعة المعلّقة التى كانت برسم جلوسه، فيجلس فى مجلسه و ترخى المقرمة الحرير، و يقرأ المقرئون و تفتح أبواب الجامع حينئذ.

فإذا استحقّ الأذان أذّن مؤذنو القصر كلّهم على باب مجلس الخليفة و رئيس الجامع على باب المنبر و بقيّة المؤذّنين فى المآذن. فعند ما يسمع قاضى القضاة الأذان يتوجّه إلى المنبر فيقبّل أوّل درجة، و بعده متولّى بيت المال و معه المبخرة و هو يبخّر، و لم يزالا يقبّلان درجة بعد درجة إلى أن يصلا ذروة المنبر؛ فيفتح القاضى بيده التزرير و يرفع السّتر، و يتناول من متولّى بيت المال المبخرة و يبخّر هو أيضا، ثم يقبّلان الدّرج أيضا و هما نازلان. و بعد نزولهما يخرج الخليفة و المقرئون بين يديه بتلك الأصوات الشجيّة إلى أن يصل إلى المنبر و يصعد عليه. فإذا صار بأعلاه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۰۴

أشار للوزير بالطلوع فيطلع إليه و هو يقبّل الدرج حتّى يصلّ إليه فيزر عليه القبّة، ثمّ ينزل الوزير و يقف على الدرجة الأولى و يجهر المقرئون بالقراءة، ثم يكبّر المؤذّنون ثمّ يشرع المؤذّنون فى الصمت، و يخطب الخليفة؛ حتّى إذا فرغ من الخطبة طلع إليه الوزير و حلّ الأزرار فينزل الخليفة، و عن يمينه الوزير و عن يساره القاضى و الداعى بين يديه- و القاضى و الداعى هما اللذان يوصّلان الأذان إلى المؤذّنين- حتّى يدخل المحراب و يصلّى بالناس و يسلّم. فإذا انقضت الصلاة أخذ لنفسه راحة بالجامع بمقدار ما تعرض عليه الرسوم و تفرّق؛ و هى للنائب فى الخطابة ثلاثة دنانير، و للنائب فى صلوات الخمس ثلاثة دنانير، و للمؤذّنين أربعة دنانير، و لمشارف خزانة الفرش و فرّاشها و متولّيها لكلّ ثلاثة دنانير، و لصبيان بيت المال ديناران، و لمعبّى الفاكهة ديناران. و أمّا القرّاء فكان لهم رسوم غير ذلك. و من حين يركب الخليفة من القصر إلى الجامع حتى يعود، الصدقات تعمّ الناس».

قلت: و أظنّ أنّ الدينار كان غير دينار زماننا هذا؛ فإنّه قال- بعد ما ذكر لمعبّى الفاكهة دينارين-: فأمّا الفواكه التى كانت تعبى بالجامع فإنّها كانت تباع بجملة كثيرة و يتزاحم الناس على شرائها لبركاتها و يقسم ثمنها بين الإمام و المؤذّنين.

قلت: و لعلّ هذا كان رسما للمعبىّ غير ثمن الفاكهة. و اللّه أعلم.

و دام هذا الترتيب إلى آخر وقت، إلى أيّام العاضد آخر خلفاء مصر من بنى عبيد. و نذكر أيضا فى ترجمة الامر بأحكام اللّه من العبيديين كيفية خروج الخليفة إلى الجامع بأزيد من هذا عند ما نحكى ما كان يقع له من الوجد فى خطبته، إن شاء اللّه تعالى.

انتهى ترجمة المعز لدين اللّه، رحمه اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۰۵

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۳]

السنة الاولى من ولاية المعزّ معدّ على مصر، و هى سنة ثلاث و ستين و ثلثمائة.

فيها أعاد عزّ الدولة بختيار النّوح فى يوم عاشوراء إلى ما كان عليه.

و فيها أظهر الخليفة المطيع ما كان يستره من علّته. و ثقل لسانه و تعذّر الحركة عليه للفالج الذى كان ناله قديما، و انكشف ذلك لسبكتكين، فدعا الخليفة المطيع إلى خلع نفسه و تسليم الأمر إلى ولده الطائع للّه عبد الكريم ففعل ذلك؛ و عقد له الأمر فى يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة من السنة المذكورة.

فكانت خلافته إلى أن خلع نفسه تسعا و عشرين سنة و أربعة أشهر و أربعة و عشرين يوما. و صورة ما كتب:

«هذا ما أشهد على متضمّنه أمير المؤمنين الفضل المطيع للّه ابن المقتدر بالله، حين نظر لدينه و رعيّته و شغل بالعلّة الدائمة عمّا كان يراعيه من الأمور الدينية اللازمة، و انقطع إفصاحه عما يجب عليه للّه فى ذلك، فرأى اعتزال ما كان عليه من هذا الأمر و تسليمه إلى ناهض به قائم بحقّه [ممّن يرى له الرأى].

عقده له و أشهد بذلك طوعا» و ذكر التاريخ المذكور. و فى آخره بخط القاضى أبى الحسن محمد بن صالح: «شهد عندى بذلك أحمد بن حامد بن محمد، و عمر بن محمد ابن أحمد، و طلحة بن محمد بن جعفر». قلت: و انقطع المطيع بداره، و كان يسمّى بعد ذلك الشيخ الصالح إلى أن مات فى سنة أربع و ستين و ثلثمائة، على ما يأتى ذكره فى الآتية إن شاء اللّه تعالى.

و فيها توفّى عبد العزيز بن أحمد بن جعفر الفقيه الحنبلىّ العالم المشهور، مولده سنة اثنتين و ثمانين و مائتين، و صنّف المصنّفات الكبيرة؛ منها كتاب "المقنع "مائة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۰۶

جزء، و كتاب "الكافى "مائتى جزء، و "الشافى "ثمانين جزءا، و أشياء غير ذلك، و مات فى شوّال.

و فيها توفّى أبو الفتح على بن محمد بن أبى الفتح البستى الشاعر المشهور، و كان إماما فاضلا، يعانى الجناس. و من شعره قوله:

يأيّها الذاهب فى مكره مهلا فما المكر من المكرمات

عليك بالصحة فهى المنى يحيا محيّاك إذا المكرمات

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن سهل أبو بكر الرّملىّ [المعروف بابن] النابلسى الزاهد المشهور.

بعث إليه كافور الإخشيذىّ بمال؛ فردّه و قال للرسول: قل لكافور قال اللّه تعالى:

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فالاستعانة بالله و كفى. فردّ كافور الرسول بالمال و قال قل له: (لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّرى) فأين ذكر كافورها هنا! الملك و المال للّه.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى جمح بن القاسم المؤذّن. و أبو بكر عبد العزيز بن أحمد بن جعفر صاحب الخلّال. و أبو بكر محمد ابن أحمد بن سهل الرملىّ ابن النابلسى الشهيد. و أبو العباس محمد بن موسى [ابن] السمسار. و مظفّر بن حاجب بن أرّكين. و النّعمان بن محمد أبو حنيفة المغربىّ الباطنىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۰۷

قاضى مملكة المعزّ، و كان حنفىّ المذهب لأنّ الغرب كان يوم ذاك غالبه حنفية، إلى أن حمل الناس على مذهب مالك فقط المعزّ بن باديس الآتى ذكره.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۴]

السنة الثانية من ولاية المعزّ معدّ على مصر، و هى سنة أربع و ستين و ثلثمائة.

فيها فى المحرّم أوقع العيّارون ببغداد حريقا من الخشّابين إلى باب الصغير، فاحترق أكثر هذا السوق، و هلك شىء كثير. و استفحل

أمر العيّارين ببغداد حتى ركبوا الجند و تلقّبوا بالقوّاد و غلبوا على الأمور، و أخذوا الحفارة عن الأسواق و الدروب. و كان فيهم أسود يقال له الزّبد، كان يأوى "قنطرة الزّبد " يشحذ و هو عريان. فلمّا كثر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۰۸

الفساد رأى هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ بالسيف، فطلب الأسود سيفا و نهب و أغار، و حفّ به طائفة و تقوّى و أخذ أموال الناس، و تموّل حتى اشترى جارية بألف دينار؛ فراودها فتمنعت؛ فقال: ما تكرهين منّى؟ قالت: أكرهك كلّك؛ قال: ما تحبّين؟ قالت: تبيعنى؛ قال: أو [أفعل] خيرا لك من ذلك؛ فحملها إلى القاضى و أعنقها و وهبها ألف دينار؛ فتعجّب الناس من سماحته.

ثمّ خرج إلى الشام فهلك هناك.

و فيها خرج الخليفة الطائع و معه سبكتكين من بغداد فى المحترم يريدان واسطا لقتال بختيار؛ فمات الخليفة المطيع الفضل فى يوم الاثنين لثمان بقين من المحرّم، و كان المطيع قد خرج مع ولده الخليفة الطائع يريد واسطا، فردّه ولده فى تابوت إلى بغداد فدفن بها، ثمّ مات سبكتكين بعده بيوم واحد، فحمل أيضا إلى بغداد. و كان أصل سبكتكين من مماليك عزّ الدولة الأتراك، و خلع عليه الخليفة الطائع بالإمارة عوضا عن أستاذه عزّ الدولة، و خرجا لقتاله فمات. و كانت مدّة إمارته شهرين و ثلاثة عشر يوما. و لمّا مات سبكتكين عقد الأتراك لأفتكين الرّامى مولى معزّ الدولة، و كان أعور، و أطاعوه. و عرض عليه الطائع اللّقب فامتنع و اقتصر على الكنية. و عمل على لقاء عزّ الدولة؛ فاستنجد عزّ الدولة بابن عمّه عضد الدولة فنجده؛ و قاتل الأتراك و كسرهم بعد حروب كثيرة. ثمّ طمع عضد الدولة فى الإمارة و عزله عزّ الدولة، و خلع عليه الخليفة الطائع مكانه؛ و عظم أمر عضد الدولة بعد ذلك.

و فيها توفّى الخليفة المطيع للّه أبو القاسم الفضل أمير المؤمنين المقدّم ذكر وفاته لمّا خرج مع ولده الطائع. و هو ابن الخليفة المقتدر جعفر ابن الخليفة المعتضد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۰۹

أبى العباس أحمد الهاشمىّ العباسىّ. و أمّه أمّ ولد اسمها مشعلة. بويع بالخلافة بعد المستكفى فى سنة أربع و ثلاثين و ثلثمائة. و كان مولده سنة إحدى و ثلثمائة. و خلع نفسه من الخلافة غير مكره لذلك، حسب ما ذكرناه فى السنة الماضية؛ و نزل عن الخلافة لولده الطائع، و مات فى المحرّم فى هذه السنة، كما تقدّم.

و فيها توفّى الأمير محمد بن بدر الحمّامى، و كنيته أبو بكر. كان والده بدر الحمّامىّ مولى أحمد بن طولون، و كان أميرا على فارس فمات؛ فقام ولده هذا بعده. قال أبو نعيم: و كان ثقة، مات ببغداد.

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدّينورىّ بن السّنّى. و أبو هاشم عبد الجبّار بن عبد الصمد السّلمىّ.

و المطيع للّه الفضل بن المقتدر. و محمد بن بدر الحمّامىّ أمير فارس. و محمد بن عبد اللّه ابن إبراهيم السّليطىّ أبو الحسن.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۵]

ااشرة

السنة الثالثة من ولاية المعزّ معدّ على مصر، و هى السنة التى مات فيها، حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمته، و هى سنة خمس و ستين و ثلثمائة.

فيها كتب ركن الدولة أبو على الحسن بن بويه إلى ولده عضد الدولة أبى شجاع:

أنّه قد كبرت سنّه و يؤثر مشاهدته، فآجتمعا؛ فقسم ركن الدولة الملك بين أولاده،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۱۰

فجعل لعضد الدولة فارس و كرمان [و أرّجان]، و لمؤيّد الدولة الرّىّ و أصبهان، و لفخر الدولة همذان و الدّينور، و جعل ولده الأصغر أبا العباس فى كنف عضد الدولة.

و فيها عاد جواب ركن الدولة إلى عزّ الدولة بما يطيّب خاطره: و كان لمّا بلغ عزّ الدولة ما فعل ركن الدولة من قسمة البلاد بين أولاده كتب إليه يخبره ما عمله عضد الدولة و يسأله زجره عنه، و أن يؤمّنه ممّا يخاف؛ فخاطب ركن الدولة ولده عضد الدولة فى الكفّ عنه؛ فشكا إليه عضد الدولة ما عامله عزّ الدولة به و انضمام وزيره ابن بقيّة عليه؛ فلم يزل به ركن الدولة حتّى أجابه بالكفّ عنه.

و فيها خلع على أبى عبد اللّه أحمد بن محمد بن عبد اللّه العلوىّ لإمارة الحاجّ من دار عزّ الدولة، و ركب معه أبو طاهر الوزير ابن بقية إلى داره و حجّ بالناس.

و فيها حجّ بالناس من مصر من جهة العزيز بن المعزّ، عند ما تخلّف بعد موت أبيه المعزّ، [رجل علوىّ]؛ و أقيمت له الدعوة بمكّة و المدينة بعد أن منع أهل مكّة و المدينة من الميرة، و لاقوا من عدم ذلك شدائد حتى اذعنوا له.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۱۱

و فيها توفّى الأمير أبو صالح منصور بن نوح السامانىّ صاحب خراسان، و قام ولده أبو القاسم نوح مقامه و سنّه ثلاث عشرة سنة.

و فيها توفّى ثابت بن سنان بن ثابت بن قرّة أبو الحسن صاحب التاريخ؛ كان طبيبا فاضلا، عاشر الخلفاء و الملوك، و كان ثقة فريدا فى وقته.

و فيها توفّى الحسين بن محمد بن أحمد بن ماسرجس الحافظ أبو علىّ الماسرجسىّ.

أسلم ماسرجس على يد عبد اللّه بن المبارك و كان نصرانيّا. أخذ بدمشق عن أصحاب هشام بن عمّار، [و] ما صنّف فى الإسلام أكبر من مسنده، و صنّف "المسند الكبير "مهذّبا معلّلا فى ألف و ثلثمائة جزء، و جمع حديث الزّهرىّ جمعا لم يسبقه إليه أحد [و كان يحفظه مثل الماء].

و فيها توفّى عبد اللّه بن عدىّ بن عبد اللّه بن محمد بن المبارك الحافظ أبو أحمد الجرجانىّ. و يعرف بابن القطّان. رحل إلى الشام و مصر رحلتين؛ أولاهما سنة سبع و تسعين. قال الذهبىّ: كان لا يعرف العربية مع عجمة فيه، و أمّا فى العلل و الرّجال فحافظ لا يجارى.

و فيها توفّى محمد بن علىّ بن إسماعيل أبو بكر الشّاشىّ الفقيه الشافعىّ المعروف بالقفّال الكبير، كان إمام عصره بما وراء النهر، و لم يكن للشافعيّة بما وراء النهر مثله.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۱۲

و فيها توفّى عبد السلام بن محمد بن أبى موسى أبو القاسم الصوفىّ البغدادىّ، سافر و لقى الشيوخ من أهل الحديث و التصوّف، و جمع بين علم الشريعة و الحقيقة.

و فيها توفّى عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر أبو الأصبغ الأموىّ الأندلسىّ.

ولد بقرطبة ثمّ رحل إلى بخارى و استوطن بها. قال الحاكم أبو عبد اللّه: سمعته ببخارى يروى أنّ مالك بن أنس كان يحدّث، فجاءت عقرب فلدغته ستّ عشرة مرّة فتغيّر لونه و لم يتحرّك؛ فقيل له فى ذلك فقال: كرهت أن أقطع حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و إحدى و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا. و اللّه سبحانه و تعالى أعلم بالصواب.

ذکر ولایة العزیز نزار علی مصر

هو نزار أبو منصور العزیز باللّه بن المعزّ لدین اللّه أبی تمیم معدّ بن المنصور باللّه أبی طاهر إسماعیل بن القائم بأمر اللّه محمد بن المهدیّ أبی محمد عبید اللّه العبیدیّ الفاطمیّ المغربیّ ثمّ المصریّ، ثانی خلفاء مصر من بنی عبید، و الخامس من المهدیّ إلیه ممّن ولی من آبائه الخلافة بالمغرب. مولده بالمهدیّة من القیروان ببلاد المغرب فی یوم عاشوراء سنة أربع و أربعین، و قیل: سنة اثنتین و أربعین و ثلثمائة. و خرج مع أبیه المعزّ من المغرب إلی القاهرة و دام بها إلی أن مات أبوه المعزّ معدّ بعد أن عهد إلیه بالخلافة. فولی بعده فی شهر ربیع الآخر سنة خمس و ستّین و ثلثمائة و له اثنتان و عشرون سنة، و ملک مصر و خطب له بها و بالشام و بالمغرب و الحجاز،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۱۳

و حسنت أیّامه. و کان القائم بتدبیر مملکته مولی أبیه جوهرا القائد. و کان العزیز کریما شجاعا سیوسا، و فیه رفق بالرعیّة.

قال المسبّحیّ: «و فی أیّامه بنی قصر البحر بالقاهرة الذی لم یکن مثله لا فی الشرق و لا فی الغرب، و قصر الذهب، و جامع القرافة. قلت: وفد محی آثار هؤلاء المبانی حتّی کأنها لم تکن. قال المسبّحیّ: و کان أسمر، أصهب الشعر، أعین أشهل [العین]، بعید ما بین المنکبین، حسن الخلق، قریبا من الناس، لا یؤثر سفک الدماء؛ و کان مغری بالصید، و کان یتصیّد السباع، و کان أدیبا فاضلا». انتهی.

و ذکره أبو منصور الثعالبیّ فی یتیمة الدهر، و ذکر له هذه الأبیات و قد مات له ابن فی العید فقال: [المنسرح]

نحن بنو المصطفی ذوو محن یجرعها فی الحیاة کاظمنا

عجیبة فی الأنام محنتنا أوّلنا مبتلی و خاتمنا

یفرح هذا الوری بعیدهم طرّا و أعیادنا مآتمنا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۱۴

و أما بناؤه القصر بالبحر فکان فی.

و قال أبو منصور أیضا: «سمعت الشیخ أبا الطیّب یحکی أن الأمویّ صاحب الأندلس کتب إلیه نزار هذا (یعنی العزیز صاحب مصر) کتابا یسبّه فیه و یهجوه؛ فکتب إلیه الأمویّ: «أمّا بعد، قد عرفتنا فهجوتنا، و لو عرفناک لأجبناک».

قال فاشتدّ ذلک علی نزار المذکور و أفحمه عن الجواب. یعنی أنه غیر شریف و أنّه لا یعرف له قبیلة حتّی کان یهجوه». انتهی کلام أبی منصور.

و لمّا تمّ أمر العزیز بمصر و استفحل أمره و أخذ فی تمهید أمور بلاده، خرج علیه قسام الحارثیّ و غلب علی دمشق. و کان قسّام المذکور من الشّجعان، و کان أصله من قریة «تلفیتا» من قری جبل سنّیر. کان ینقل التّراب علی الحمیر؛ و تنقّلت به الأحوال حتّی صار له ثروة و أتباع و غلب بهم علی دمشق حتّی لم یبق لنوّابها معه أمر و لا نهی؛ و دام علی ذلک سنین. فلمّا ملک العزیز و عظم أمره أراد زواله، فندب إلیه جیشا مع تکین، فسار تکین إلیه و حاربه أیّاما، و صار العزیز یمدّه بالعساکر إلی أن ضعف أمر قسّام و اختفی أیّاما، ثم استأمن؛ فقیّدوه و حملوه إلی العزیز إلی مصر.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۱۵

و قال القفطیّ غیر ذلک، قال: «فغلب علی دمشق رجل من العیّارین یعزف بقسّام و تحصّن بها (یعنی دمشق) و خالف علی صاحب مصر، فسار لحربه الأمیر الفضل من مصر، فحاصر دمشق و ضاق بأهلها الحال؛ فخرج قسّام متنکّرا فأخذته الحرس؛ فقال: أنا رسول، فأحضروه إلی الفضل؛ فقال له: أنا رسول قسّام إلیک لتحلف له و تعوّضه عن دمشق بلدا یعیش به، و قد بعثنی إلیک سرّا؛ فحلف الفضل له. فلمّا توثّق منه قام و قبّل یدیه و قال: أنا قسّام؛ فأعجب الفضل ما فعله وزاد فی إکرامه و ردّه إلی البلد و سلّمه إلیه؛ و قام

الفضل بكلّ ما ضمنه و عوّضه موضعا عاش به. فلمّا بلغ ذلك العزيز أحسن صلته». انتهى.

و قال الذهبىّ رواية أخرى فى أمر قسّام، قال: «و هو الذى يتحدّث الناس أنّه ملك دمشق، و أنّه قسم البلاد، و قدم لقتاله سلمان بن جعفر بن فلاح إلى دمشق بجيش، فنزل بظاهرها و لم يمكنه دخولها؛ فبعث إليه قسّام بخطّه: أنا مقيم على الطاعة. و بلغ العزيز ذلك فبعث البريد إلى سلمان ليردّه؛ فترحّل سلمان من دمشق؛ و ولّى العزيز عليها أبا محمود المغربىّ؛ و لم يكن له أيضا مع قسّام أمر و لا حلّ و لا عقد». انتهى كلام الذهبىّ.

قلت: و لعلّ الذى ذكره الذهبىّ كان قبل توجّه عسكرتكين و الفضل؛ فإنّ الفضل لمّا سار بالجيوش أخذ دمشق من قسام و عوّضه بلدا، و هو المتواتر.

و اللّه أعلم.

و قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزىّ: «كان العزيز قد ولّى عيسى بن نسطورس النّصرانىّ و منشا اليهودىّ؛ فكتبت إليه امرأة: بالذى أعزّ اليهود بمنشا، و النصارى

بابن نسطورس، و أذلّ المسلمين بك، إلّا نظرت فى أمرى. فقبض العزيز على اليهودىّ و النصرانىّ، و أخذ من ابن نسطورس ثلثمائة ألف دينار». انتهى.

و قال ابن خلكان: و أكثر أهل العلم لا يصحّحون نسب المهدىّ عبيد اللّه والد خلفاء مصر، حتّى إنّ العزيز فى أوّل ولايته صعد المنبر يوم الجمعة، فوجد هناك ورقة فيها:

[السريع]

إنّا سمعنا نسبا منكرا يتلى على المنبر فى الجامع

إن كنت فيما تدّعى صادقا فاذكر أبا بعد الأب الرابع

و إن ترد تحقيق ما قلته فانسب لنا نفسك كالطائع

أو فدع الأنساب مستورة و ادخل بنا فى النسب الواسع

فإنّ أنساب بنى هاشم يقصر عنها طمع الطامع

فقرأها العزيز و لم يتكلّم. ثمّ صعد العزيز المنبر يوما آخر فرأى ورقة فيها مكتوب:

[البسيط]

بالظّلم و الجور قد رضينا و ليس بالكفر و الحماقه

إن كنت أعطيت علم غيب فقل لنا كاتب البطاقه

قال: و ذلك لأنّهم ادّعوا علم المغيّبات و النجوم. و أخبارهم فى ذلك مشهورة.

انتهى كلام ابن خلكان باختصار.

و قال غيره: كان العزيز ناهضا، و فى أيّامه فتحت حمص و حماة و حلب، و خطب له صاحب الموصل أبو الذّوّاد محمد بن المسيّب بالموصل، و خطب له باليمن. ثمّ

انتقض ما بينه و بين صاحب حلب أبى الفضائل بن سعد الدولة و مدبّر ملكه لؤلؤ بعد وفاة سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب لمّا قتل بكجور و هرب كاتبه (أعنى كاتب بكجور، و هو علىّ بن الحسين المغربىّ) من حلب إلى مشهد الكوفة على البريّة؛ ثم اجتهد حتى وصل إلى مصر، و اجتمع بالعزيز هذا و عظّم أمر حلب عنده و كثّرها، و هوّن عليه حصونها و أمر متولّيها أبى

الفضائل.

قلت: و لؤلؤ و أبو الفضائل يأتى بيان ذكرهما فيما يقع بينهما و بين العزيز، و تأتى أيضا وفاتهما فى الحوادث، فيظهر بذلك أمرهما على من لا يعرفهما.

فلمّا هوّن علىّ بن الحسين أمر حلب على العزيز، تشوّقت نفسه إلى أخذ حلب من أبى الفضائل. و كان للعزيز غلامان، أحدهما يسمى منجوتكين و الآخر بازتكين من الأتراك، و كانا أمر دين مشتدّين؛ فأشار على العزيز المغربىّ المذكور بإنفاذ أحدهما لقتال الحلبيّين لتنقاد إليه الأتراك مماليك سعد الدولة؛ فإنّه كان قبل ذلك قد استأمن إلى العزيز جماعة من أصحاب سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان بعد موت سعد الدولة، فأمّنهم العزيز و أحسن إليهم و قرّبهم؛ منهم و فىّ الصّقلبىّ فى ثلثمائة غلام (يعنى مملوكا) و بشارة الإخشيذىّ فى أربعمائة غلام، و رباح السيفىّ؛ فولّى العزيز وفيّا الصقلبىّ عكّا، و ولّى بشارة طبريّة، و ولّى رباحا غزة. ثمّ إنّ العزيز ولّى مملوكه منجوتكين حرب حلب، و قدّمه على العساكر و ولّاه الشأم، و استكتب له أحمد بن محمد النّشورىّ، ثمّ ضمّ إليه أيضا أبا الحسن علىّ بن الحسين المغربىّ المقدّم ذكره ليقوم المغربىّ بأمر منجوتكين و تدبيره مع الحلبيّين؛ فإنّه كان أصل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۱۸

هذه الحركة. و خرج العزيز حتّى شيّعهم بنفسه و ودّعهم. فسار منجوتكين حتّى وصل دمشق، فتلقّاه أهلها و القوّاد و عساكر الشام و القبائل، فأقام منجوتكين بعساكره عليها مدّة، ثم رحل طالبا لحلب فى ثلاثين ألفا. و كان بحلب أبو الفضائل بن سعد الدّولة ابن سيف الدولة بن حمدان و معه لؤلؤ، فأغلقا أبوابها و استظهرا فى القتال غاية الاستظهار على المصريّين. و كان لؤلؤ لمّا قدم عسكر مصر إلى الشام كاتب بسيل ملك الرّوم فى النجدة على المصريّين و متّ له بما كان بينه و بين سعد الدولة من المعاهدة و المعاقدة، و أنّ هذا ولده قد حصر مع عساكر المصريّين؛ و حثّه على إنجاده؛ ثمّ بعث إليه بهدايا و تحف كثيرة، و سأله فى المعونة و النّصرة على المصريّين، و بعث الكتاب و الهدايا مع ملكون السريانىّ؛ فتوجّه ملكون السريانىّ إليه فوجد ملك الرّوم بقاتل ملك البلغر؛ فأعطاه الهديّة و الكتاب، فقبل الهديّة و كتب إلى البرجىّ نائبه بأنطاكية أن يسير بالعساكر إلى حلب و يدفع المغاربة (أعنى عساكر العزيز) عن حلب. فسار البرجىّ فى خمسين ألفا؛ و نزل البرجىّ بعساكره الجسر الجديد بين أنطاكية و حلب. فلمّا بلغ ذلك منجوتكين استشار علىّ بن الحسين المغربىّ و القوّاد فى ذلك، فأشاروا عليه بالانصراف من حلب و قصد الروم و الابتداء بهم قبل وصول الروم الى حلب، لئلا يحصلوا بين عدوّين. فساروا حتّى نزلوا تحت حصن إعزاز و قاربوا الروم، و صار بينهم النهر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۱۹

المعروف بالمقلوب. فلمّا وقع بصرهم على الروم رموهم بالنّشاب و بينهم النهر المذكور، و لم يكن لأحد الفريقين سبيل للعبور لكثرة الماء. و كان منجوتكين قد حفظ المواضع التى يقلّ الماء فيها، و أقام جماعة من أصحابه يمنعون عسكره من العبور لوقت يختاره المنجّم. فخرج من عسكره من الدّيلم رجل شيخ كبير فى السن و بيده ترس و ثلاث روسات؛ فوقف على جانب النهر و بإزائه قوم من الروم، فرموه بالنّشاب و هو يسبح حتّى قطع النهر، و صار على الأرض من ذلك البرّ و الماء فى النهر إلى صدره.

فلمّا رآه عساكر منجوتكين رموا بأنفسهم فى الماء فرسانا و رجّالة، و منجوتكين يمنعهم فلا يمتنعون حتّى صاروا مع الروم فى أرض واحدة و قاتلوا الروم؛ فأنزل اللّه نصره على المسلمين، فولّى الروم و أعطوهم ظهورهم، و ركبهم المسلمون فاثخنوهم قتلا و أسرا، و أفلت كبير الروم البرجىّ فى عدد يسير إلى أنطاكية، و غنم المسلمون من عساكرهم و أموالهم شيئا لا يعدّ و لا يحصى. و كان مع الروم ألفان من عسكر حلب المسلمين فقتل منجوتكين منهم ثلثمائة. و تبع منجوتكين الروم إلى أنطاكية فأحرق ضياعها و نهب رساتيقها، ثمّ كرّ راجعا إلى حلب، و كان وقت الغلّات؛ فعلم لؤلؤ أنّه لا له نجدة و أنّه يضعف عن مقاومة المصريّين؛ فكاتب المغربىّ و النّشورىّ كاتب منجوتكين و أرغبهما فى المال و بذل لهما ما أرضاهما، و سألهما أن يشيرا على منجوتكين بالانصراف عن حلب إلى دمشق و أن يعود فى العام المقبل؛ فخاطباه فى ذلك، و صادف قولهما له شوق منجوتكين إلى دمشق؛ و كان منجوتكين أيضا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۲۰

قد ملّ الحرب فانخدع؛ و كتب هو و الجماعة إلى العزيز يقولون: قد نفدت الميرة و لا طاقة للعساكر على المقام، و يستأذنونه فى الرجوع إلى دمشق. و قبل أن يجىء جواب العزيز رحلوا عن حلب إلى دمشق. و بلغ العزيز ذلك فشقّ عليه رحيلهم، و وجد أعداء المغربىّ طريقا إلى الطعن فيه عند العزيز، فصرف العزيز المغربىّ و قلّد الأمر للأمير صالح بن علىّ الرّوذبارىّ و أقعده مكانه. ثمّ حمل العزيز من غلّات مصر فى البحر إلى طرابلس شيئا كثيرا. ثمّ رجع منجوتكين إلى حلب فى السنة الآتية و بنى الدور و الحمّامات و الخانات و الأسواق بظاهر حلب، و قاتل أهل حلب. و اشتدّ الحصار على لؤلؤ و أبى الفضائل بحلب، و عدمت الأقوات عندهم بداخل حلب، فكاتبوا ملك الروم ثانيا و قالوا له: متى أخذت حلب أخذت أنطاكية؛ و متى أخذت أنطاكية أخذت قسطنطينيّة. فلمّا سمع ملك الروم ذلك سار بنفسه فى مائة ألف و تبعه من كلّ بلد من معاملته عسكره؛ فلمّا قرب من البلاد أرسل لؤلؤ إلى منجوتكين يقول: إنّ الإسلام جامع بينى و بينك، و أنا ناصح لكم، و قد وافاكم ملك الروم بجنوده فخذوا لأنفسكم؛ ثم جاءت جواسيس منجوتكين فأخبروه بمثل ذلك، فأحرق منجوتكين الخزائن و الأسواق و ولّى منهزما؛ و بعث أثقاله إلى دمشق، و أقام هو بمرج قنّسرين ثم سار إلى دمشق. و وصل بسيل ملك الروم بجنوده إلى حلب، و نزل موضع عسكر المصريّين، فهاله ما كان فعله منجوتكين، و علم كثرة عساكر المصريّين و عظموا فى عينه؛ و خرج إليه أبو الفضائل صاحب حلب و لؤلؤ و خدماه. ثم سار ملك الرّوم فى اليوم الثالث و نزل على [حصن] شيزر و فيه منصور بن كراديس أحد قوّاد العزيز، فقاتله يوما واحدا، ثم طلب منه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۲۱

الأمان فأمّنه؛ فخرج بنفسه إليه، فأهّل به بسيل ملك الروم و أعطاه مالا و ثيابا، و سلّم الحصن إليه؛ فرتّب ملك الروم [عليه] أحد ثقاته. ثمّ نازل حمص فافتتحها عنوة و سبى منها و من أعمالها أكثر من عشرة آلاف نسمة. ثمّ نزل على طرابلس أربعين يوما، فقاتلها فلم يقدر على فتحها، فرحل عائدا إلى الروم. و وصل خبره إلى العزيز فعظم عليه ذلك إلى الغاية، و نادى فى الناس بالنفير، و فتح الخزائن و أنفق على جنده، ثمّ سار بجيوشه و معه توابيت آبائه فنزل إلى الشام، و وصل إلى بانياس، فأخذه مرض القولنج و تزايد به حتّى مات منه و هو فى الحمام فى سنة ستّ و ثمانين و ثلثمائة.

و قيل فى وفاته غير ذلك أقوال كثيرة، منها أنّه مات بمدينة بلبيس من ضواحى القاهرة، و قيل: إنّه مات فى شهر رمضان قبل خروجه من القاهرة فى الحمّام، و عمره اثنتان و أربعون سنة و ثمانية أشهر. و كانت مدّة ولايته على مصر إحدى و عشرين سنة و خمسة أشهر و أيّاما. و تولّى مصر بعده ابنه أبو علىّ منصور الملقّب بالحاكم الآتى ذكره إن شاء اللّه. و كان العزيز ملكا شجاعا مقداما حسن الأخلاق كثير الصّفح حليما لا يؤثر سفك الدماء، و كانت لديه فضيلة؛ و له شعر جيّد، و كان فيه عدل و إحسان للرعيّة. قلت: و هو أحسن الخلفاء الفاطميّين حالا بالنسبة لأبيه المعز و لابنه الحاكم؛ على ما يأتى ذكره إن شاء اللّه.

قال ابن خلكان: «و زادت مملكته على مملكة أبيه، و فتحت له حمص و حماة و شيزر و حلب؛ و خطب له المقلّد العقيلىّ صاحب الموصل بالموصل [و أعمالها]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۲۲

فى المحرم سنة اثنتين و ثمانين و ثلثمائة، و ضرب اسمه على السكة و البنود، و خطب له باليمن. و لم يزل فى سلطانه و عظم شأنه إلى أن خرج إلى بلبيس متوجّها إلى الشام، فابتدأت به العلّة فى العشر الأخير من رجب سنة ستّ و ثمانين و ثلثمائة. و لم يزل مرضه يزيد و ينقص، حتّى ركب يوم الأحد لخمس بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة إلى الحمّام بمدينة بلبيس، و خرج إلى منزل الأستاذ أبى الفتوح برجوان، و كان برجوان صاحب خزانته بالقصر، فأقام عنده و أصبح يوم الاثنين، و قد اشتدّ به الوجع يومه ذلك و صبيحة نهار الثّلاثاء، و كان مرضه من حصاة و قولنج، فاستدعى القاضى محمد بن النّعمان و أبا محمد الحسن بن عمّار الكتامىّ الملقّب أمين الدولة- و هو أوّل من تلقّب من المغاربة، و كان شيخ كتامة و سيّدها- ثمّ خاطبهما فى أمر ولده الملقّب بالحاكم، ثمّ

استدعى ولده المذكور و خاطبه أيضا بذلك.

و لم يزل العزيز فى الحمّام و الأمر يشتدّ به إلى بين الصلاتين من ذلك النهار، و هو الثلاثاء الثامن و العشرون من شهر رمضان سنة ستّ و ثمانين و ثلثمائة، فتوفّى فى مسلخ الحمّام. هكذا قال المسبّحىّ».

قلت: و العزيز هذا هو الذى رتّب الفطرة فى عيد شوّال، و كانت تعمل على غير هذه الهيئة. و كانت الفطرة تعمل و تفرّق بالإيوان، ثم نقلت فى عدّة أماكن؛ و كان مصروفها فى كلّ سنة عشرة آلاف دينار. و تفصيل الأنواع: دقيق ألف حملة، سكّر سبعمائة قنطار، قلب فستق ستة قناطير، لوز ثمانية قناطير، بندق أربعة قناطير، تمر أربعمائة إردب، زبيب ثلثمائة إردب، خلّ ثلاثة قناطير،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۲۳

عسل نحل خمسة قناطير، شيرج مائتا قنطار، حطب ألف و مائتا حملة، سمسم إردبان، آنيسون إردبان، زيت طيّب للوقود ثلاثون قنطارا، ماء ورد خمسون رطلا، مسك خمس نوافج، كافور عشرة مثاقيل، زعفران مائة و خمسون درهما.

ثمن مواعين و أجرة صنّاع و غيرها خمسمائة دينار. انتهى باختصار. و لنعد إلى ذكر وفاة العزيز صاحب الترجمة.

و قال صاحب تاريخ القيروان: «إنّ الطّبيب وصف له دواء يشربه فى حوض الحمّام، و غلط فيه فشربه فمات من ساعته؛ و لم ينكتم تاريخ موته ساعة واحدة.

و ترتّب موضعه ولده الحاكم أبو علىّ منصور. و بلغ الخبر أهل القاهرة، فخرج الناس غداة الأربعاء لتلقى الحاكم؛ فدخل البلد و بين يديه البنود و الرايات و على رأسه المظلّة يحملها ريدان الصّقلبىّ، فدخل القصر عند اصفرار الشمس، و والده العزيز بين يديه فى عماريّة و قد خرجت رجلاه منها، و أدخلت العماريّة القصر؛ و تولى غسله القاضى محمد بن النّعمان، و دفن عند أبيه المعزّ فى حجرة من القصر. و كان دفنه عند العشاء [الأخيرة]. و أصبح الناس يوم الخميس سلخ الشهر و الأحوال مستقيمة، و قد نودى فى البلدان: لا مؤونة و لا كلفة، و قد أمّنكم اللّه على أموالكم و أرواحكم؛ فمن نازعكم أو عارضكم فقد حلّ ماله و دمه. و كانت ولادة العزيز يوم الخميس رابع عشر المحرّم سنة أربع و أربعين و ثلثمائة». انتهى كلام ابن خلكان باختصار رحمه اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۲۴

و قال المختار المسبّحى صاحب التاريخ المشهور: «قال لى الحاكم، و قد جرى ذكر والده العزيز: يا مختار، استدعانى والدى قبل موته و هو عارى الجسم، و عليه الخرق و الضّماد (يعنى كونه كان فى الحمام) قال: فاستدعانى و قبلنى و ضمّنى إليه، و قال: و اغمّى عليك يا حبيب قلبى! و دمعت عيناه، ثمّ قال: امض يا سيّدى فآلعب فأنا فى عافية. قال الحاكم: فمضيت و التهيت بما يلتهى به الصّبيان من اللعب إلى أن نقل اللّه تعالى العزيز إليه». انتهى كلام المسبّحى.

و قد ذكرنا فى وفاة العزيز عدّة وجوه من كلام المؤرّخين رحمهم اللّه تعالى.

و كان العزيز حازما فصيحا. و كتابه إلى عضد الدولة بحضرة الخليفة الطائع العباسىّ يدلّ على فضل و قوّة. و كان كتابه يتضمّن بعد البسملة:

«من عبد اللّه و وليّه نزار أبى منصور الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين، إلى عضد الدولة الإمام نصير ملة الإسلام أبى شجاع بن أبى علىّ. سلام عليك؛ فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليك اللّه الذى لا إله إلّا هو، و يسأله الصّلاة على جدّه محمد رسول ربّ العالمين، و حجّة اللّه على الخلق أجمعين، صلاة باقية نامية متّصلة دائمة بعترته الهادية، و ذرّيته الطيّبة الطاهرة. و بعد، فإنّ رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين، مع الرسول المنفذ اليك، فأدّى ما تحمله من إخلاصك فى ولاء أمير المؤمنين و مودّتك، و معرفتك بحقّ إمامته، و محبتك لآبائه الطائعين الهادين المهديّين. فسرّ أمير المؤمنين بما سمعه عنك، و وافق ما كان يتوسّمه فيك و أنّك لا تعدل عن الحقّ- ثم ذكر كلاما طويلا فى المعنى إلى أن قال-: و قد علمت ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين، و خراب الشام و ضعف أهله، و غلاء الأسعار. و لو لا ذلك لتوجّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۲۵

أمير المؤمنين بنفسه إلى الثغور، و سوف يقدم إلى الحيرة، و كتابه يقدم عليك عن قريب، فتأهّب إلى الجهاد فى سبيل اللّه». و فى آخر الكتاب: «و كتبه يعقوب ابن يوسف بن كلّس عند مولانا أمير المؤمنين». فكتب إليه عضد الدولة كتابا يعترف فيه بفضل أهل البيت، و يقرّ للعزيز أنّه من أهل تلك النّبعة الطاهرة، [و أنّه فى طاعته] و يخاطبه بالحضرة الشريفة، و ما هذا معناه. انتهى.

قلت: و أنا أتعجّب من كون عضد الدولة كان إليه أمر الخليفة العباسى و نهيه، و يقع فى مثل هذا لخلفاء مصر، و قد علم كلّ أحد ما كان بين بنى العباس و خلفاء مصر من الشّنان. و ما أظنّ عضد الدولة كتب له ذلك إلّا عجزا عن مقاومته، فإنّه قرأ كتابه فى حضرة الخليفة الطائع، و أجاب بذلك أيضا بعلمه، فهذا من العجب.

قال الوزير يعقوب بن كلّس: «سمعت العزيز باللّه يقول لعمّه حيدرة: يا عمّ، أحبّ أن أرى النّعم عند الناس ظاهرة، و أرى عليهم الذهب و الفضّة و الجوهر، و لهم الخيل و اللّباس و الضّياع و العقار، و أن يكون ذلك كلّه من عندى». قال المسبّحى: و هذا لم يسمع بمثله قطّ من ملك. انتهت ترجمة العزيز. و لمّا مات رثاه الشعراء بعدّة قصائد.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۶]

السنة الأولى من ولاية العزيز نزار العبيدىّ على مصر و هى سنة ست و ستين و ثلثمائة.

فيها فى جمادى الأولى زفّت بنت عزّ الدولة إلى الخليفة الطائع للّه العباسىّ.

و فيها جاء أبو بكر محمد بن علىّ بن شاهويه صاحب القرامطة، و معه ألف رجل من القرامطة إلى الكوفة، و أقام الدعوة بها لعضد الدولة، و أسقط خطبة عزّ الدولة بختيار. و كان قدومه معونة لعضد الدولة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۲۶

و فيها عمل فى الدّيار المصرية المأتم فى يوم عاشوراء على حسين بن علىّ رضى اللّه عنهما، و هو أوّل ما صنع ذلك بديار مصر. فدامت هذه السّنة القبيحة سنين إلى أن انقرضت دولتهم، على ما سيأتى ذكره.

و فيها كانت وقعة بين عزّ الدولة بن معزّ الدولة أحمد و بين ابن عمّه عضد الدولة بن ركن الدولة الحسن بن بويه، وقعة هائلة أسر فيها غلام تركىّ لعزّ الدولة؛ فاشتدّ حزنه عليه، و امتنع عزّ الدولة من الأكل و الشرب و أخذ فى البكاء و احتجب عن الناس و حرّم على نفسه الجلوس فى الدّست؛ و بذل لعضد الدولة فى الغلام المذكور جاريتين عوّادتين كان قد بذل له فى الواحدة مائة ألف درهم؛ فرّده عضد الدولة عليه.

و فيها حجّ بالناس أبو عبد اللّه أحمد بن [أبى] الحسين العلوىّ. و حجّت فى السنة جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان، و معها أخواها إبراهيم [و هبة اللّه] حجّة ضرب بها المثل، و فرّقت أموالا عظيمة؛ منها أنّها لمّا رأت الكعبة نثرت عليها عشرة آلاف دينار، و سقت جميع أهل الموسم السّويق بالسكر و الثّلج. كذا قال أبو منصور الثعالبىّ. و قتل أخوها هبة اللّه فى الطريق. و أعتقت ثلثمائة عبد و مائتى جارية، و فرّقت المال فى المجاورين حتى أغنتهم، و خلعت على كبار الناس خمسين ألف ثوب. و كان معها أربعمائة عمارية. ثم ضرب الدهر ضربانه و استولى عضد الدولة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۲۷

ابن بويه على أموالها و حصونها؛ فإنّه كان خطبها فامتنعت، و لم يدع لها شيئا إلى أن احتاجت و افتقرت. فانظر إلى هذا الدهر كيف يرفع و يضع!.

و فيها توفّى المستنصر باللّه صاحب الأندلس أبو العاصى الحكم بن الناصر لدين اللّه عبد الرّحمن الأموىّ. بقى فى الملك ستة عشر

عاما، و عاش ثلاثا و ستين سنة.

و كان حسن السيرة، جمع من الكتب ما لا يحدّ و لا يوصف.

و فيها توفّى السلطان ركن الدولة أبو علىّ الحسن بن بويه بن فنّاخسرو بن تمام ابن كوهى بن شيرزيل الأصغر بن شيركوه بن شيرزيل [الأكبر] الدّيلمىّ، صاحب أصبهان و الرّىّ و همذان و عراق العجم كلّه. و هؤلاء الملوك الثلاثة: عضد الدولة و فخر الدولة و مؤيّد الدولة أولاده. و كان ملكا جليلا سعيدا فى أولاده، قسم عليهم الممالك، فقاموا بها أحسن قيام. و ملك ركن الدولة أربعا و أربعين سنة و أشهرا.

و كان أبو الفضل بن العميد وزيره، و الصاحب إسماعيل بن عبّاد كان وزير ولديه مؤيد الدولة ثم فخر الدولة. و مات ركن الدولة المذكور فى المحرّم. و بويه بضم الباء الموحّدة و فتح الواو و سكون الياء المثناة من تحتها و بعدها هاء ساكنة، و فنّاخسرو بفتح الفاء و تشديد النون و بعد الألف خاء معجمة مضمومة ثم سين مهملة ساكنة ثم راء مضمومة و بعدها واو. و قد ضبطته لكى يعرف بعد ذلك اسم من يأتى من أولاده فى هذا الكتاب.

و فيها توفّى إسماعيل الشيخ أبو عمر السلمىّ، كان من كبار المشايخ و له قدم صدق و حكايات مشهورة، رحمه اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۲۸

و فيها توفّى الحسن بن أحمد بن أبى سعيد الحسن بن بهرام أبو علىّ، و قيل: أبو محمد، القرمطىّ الجنّابى الخارجىّ. ولد بالأحساء فى شهر رمضان سنة ثمان و سبعين و مائتين، و غلب على الشام لمّا قتل جعفر بن فلاح، و توجّه إلى مصر لقتال المعزّ العبيدىّ، كما ذكرناه فى ترجمة المعزّ، ثم مات بالرّملة فى عوده إلى دمشق فى شهر رجب.

و جدّه أبو سعيد هو أوّل القرامطة، و قد مرّ من أخبارهم القبيحة نبذة كبيرة فى عدّة سنين. و كان الحسن هذا صاحب الترجمة فصيحا شاعرا، و كان يلقّب بالأعظم، و كان يلبس الثياب القصيرة، و هو أحد من قتل العباد، و أخرب البلاد.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الحسن بن أحمد ابن أبى سعيد الجنّابى القرمطىّ، كان ملك الشام و حاصر مصر شهرا. و ركن الدولة الحسن بن بويه صاحب عراق العجم، و كانت دولته خمسا و أربعين سنة، و وزر له أبو الفضل بن العميد. و توفّى أبو الحسن محمد بن عبد اللّه بن زكرياء بن حيّويه النّيسابورىّ بمصر. و أبو الحسن محمد بن الحسن النيسابورىّ السرّاج المقرئ الزاهد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة، ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۷]

السنة الثانية من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة سبع و ستين و ثلثمائة.

فيها دخل عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه بغداد، و خرج منها ابن عمه عزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة بن بويه، ثم تقاتلا فانتصر عزّ الدولة ثم قتل، حسب ما سنذكره فى هذه السنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۲۹

و فيها زادت دجلة فى نيسان حتى بلغت إحدى و عشرين ذراعا، فهدمت الدور و الشوارع، و هرب الناس فى السفن، و هيّأ عضد الدولة الزبازب تحت داره (و الزبازب هى المراكب الخفيفة).

و فيها حجّ بالناس أبو عبد اللّه العلوىّ.

و فيها جاء الخبر بهلاك أبى يعقوب يوسف بن الحسن الجنّابىّ القرمطىّ صاحب هجر، و أغلقت الأسواق له بالكوفة ثلاثة أيّام، و

كان قد توزّر لعضد الدولة.

و فيها توفّى أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد النّصرپاديّ النّيسابوريّ (و نصرپاد: محلّة من نيسابور. و كلّ پاد يأتى فى اسم بلد من هؤلاء البلدان هو بالتفخيم حتى يصحّ معناه). كان أبو القاسم حافظ خراسان و شيخها، و إليه يرجع فى علوم القوم و السّير و التواريخ، و كان صحب الشّبلىّ و غيره من المشايخ. مات بمكّة حاجّا، و دفن عند قبر الفضيل بن عياض.

و فيها توفّى السلطان أبو منصور بختيار عزّ الدولة بن معزّ الدولة أحمد بن بويه الدّيلمىّ. ولى ملك العراق بعد أبيه، و تزوّج الخليفة الطائع للّه عبد الكريم بابنته شاه زمان على صداق مائة ألف دينار. و كان عزّ الدولة شجاعا قويّا يمسك الثّور العظيم بقرنيه فلا يتحرّك. و كان بينه و بين ابن عمّه عضد الدولة منافسات و حروب على الملك، و تقاتلا غير مرّة آخرها فى شوّال، قتل فيها عزّ الدولة المذكور فى المعركة، و حمل رأسه إلى عضد الدولة، فوضع المنديل على وجهه و بكى. و تملّك عضد الدولة العراق بعده، و استقلّ بالممالك. و عاش عزّ الدولة ستّا و ثلاثين سنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۳۰

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن عبد اللّه بن نصر أبو طاهر الذهلىّ البغدادىّ القاضى نزيل مصر و قاضيها. ولد ببغداد فى ذى الحجة سنة تسع و سبعين و مائتين.

و فيها توفّى الوزير أبو طاهر محمد بن محمد بن بقيّة وزير عزّ الدولة، و كان عضد الدولة قد بعث إليه يميله عن عزّ الدولة؛ فقال: الخيانة و الغدر ليستا من أخلاق الرجال. فلمّا قتل عزّ الدولة قبض عليه عضد الدولة و شهّره فى بغداد من الجانبين و على رأسه برنس، ثم أمر به أن يطرح تحت أرجل الفيلة فقتلته الفيلة، ثم صلب فى طرف الجسر من الجانب الشرقىّ، و لم يشفع فيه الخليفة الطائع لأمر كان فى نفسه منه أيّام مخدومه عزّ الدولة، و أقيم عليه الحرس. فاجتاز به أبو الحسن محمد ابن عمر الأنبارىّ الصوفىّ الواعظ، و كان صديقا لابن بقيّة المذكور، فرثاه بمرثيته المشهورة و هى: [وافر]

علوّ فى الحياة و فى الممات لحقّ أنت إحدى المعجزات

كأنّ الناس حولك حين قاموا وفود نداك أيّام الصّلات

كأنّك قائم فيهم خطيبا و كلّهم قيام للصّلاة

مددت يديك نحوهم احتفاء كمدّهما إليهم بالهبات

و تشعل عندك النّيران ليلا كذلك كنت أيّام الحياة

ركبت مطيّة من قبل زيد علاها فى السنين الماضيات

و لم أر قبل جذعك قطّ جذعا تمكّن من عتاق المكرمات

و تلك فضيلة فيها تأسّ تباعد عنك تعبير العداة

أسأت إلى النوائب فاستثارت فأنت قتيل ثأر النّائبات

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۳۱

و كنت تجير من جور الليالى فعاد مطالبا لك بالتّراب

و صيّر دهرك الإحسان فيه إلينا من عظيم السّيّئات

و كنت لمعشر سعدا فلمّا مضيت تفرّقوا بالمنحسات

غليل باطن لك فى فؤادى يخفّف بالدّموع الجاريات

و لو أنّى قدرت على قيام لفرضك و الحقوق الواجبات

ملأت الأرض من نظم القوافى و نحت بها خلاف النائحات

و لكنّى أصبّر عنك نفسى مخافة أن أعدّ من الجناة

و ما لك تربة فأقول تسقى لأنّك نصب هطل الهاطلات

و لمّا ضاق بطن الأرض عن أن يضمّ علاك من بعد الممات

أصاروا الجوّ قبرك و استنابوا عن الأكفان ثوب السافيات

عليك تحيّة الرّحمن تترى برحمات غواد رائحات

قلت: و لم أذكر هذه المرثية بتمامها هنا إلّا لغرابتها و حسن نظمها. و استمر ابن بقيّة مصلوبا إلى أن توفّى عضد الدولة.

و فيها توفّى الأمير الغضنفر بن ناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل و ابن صاحبها.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو القاسم إبراهيم ابن محمد النّصرپادىّ الواعظ العارف. و عزّ الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه ملك العراق، قتل فى مصافّ بينه و بين ابن عمه عضد الدولة. و الغضنفر بن ناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل و ابن صاحبها. و أبو طاهر محمد بن أحمد بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۳۲

عبد اللّه الذّهلىّ بمصر فى ذى القعدة، و له ثمان و ثمانون سنة. و أبو بكر محمد بن عمر القرطبىّ ابن القوطيّة اللغوىّ. و الوزير أبو طاهر محمد بن محمد بن بقيّة نصير الدولة، وزير عزّ الدولة، صلبه عضد الدولة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و ثلاث و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۸]

السنة الثالثة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة ثمان و ستين و ثلثمائة.

فيها أمر الخليفة الطائع أن تضرب على باب عضد الدولة الدبادب (أعنى الطبلخانات) فى وقت الصبح و المغرب و العشاء، و أن يخطب له على منابر الحضرة.

قلت: و هذا أوّل ملك دقّت الطبلخانة على بابه، و صار ذلك عادة من يومئذ. و قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزىّ: «و هذان أمران لم يكونا من قبله و لا أطلقا لولاة العهود، [و لا خطب بحضرة السلطان إلّا له، و لا ضربت الدبادب إلّا على بابه]. و قد كان معزّ الدولة أحبّ أن تضرب له الدبادب بمدينة السلام، فسأل الخليفة المطيع للّه فى ذلك فلم يأذن له». قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبى: و ما ذاك إلّا لضعف أمر الخلافة. انتهى.

و فيها توفّى أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك الحافظ أبو بكر القطيعىّ البغدادىّ، كان يسكن قطيعة الرقيق. و مولده فى أوائل سنة أربع و سبعين و مائتين. و كان مسند العراق فى زمانه و سمع الكثير، و روى عنه الدارقطنىّ و ابن شاهين و الحاكم و خلق سواهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۳۳

و فيها توفّى عبد اللّه بن إبراهيم بن يوسف الحافظ أبو القاسم الجرجانى الآبندونىّ، و آبندون: قرية من قرى جرجان. كان رفيق ابن عدىّ فى الرحلة، سكن بغداد و حدّث بها عن جماعة، و روى عنه رفيقه الإمام أبو بكر الإسماعيلى و غيره.

و فيها توفّى محمد بن عيسى بن عمرويه الشيخ أبو أحمد الجلودىّ الزاهد راوى صحيح مسلم، سمع الكثير، و روى عنه غير واحد. قال الحاكم: كان من أعيان الفقراء الزهّاد، و أصحاب المعاملات فى التصوّف؛ ضاعت سماعاته من ابن سفيان، فنسخ البعض من نسخة لم يكن له فيها سماع.

و فيها توفّى هفتكين الأمير أبو منصور التركى الشرابى. هرب من بغداد خوفا من عضد الدولة، و وقع له أمور مع العزيز هذا صاحب

الترجمة بمصر، ثمّ أطلقه العزيز. و صار له موكب؛ فخافه الوزير يعقوب بن يوسف بن كلّس، فدسّ عليه من سقاه السمّ. و كان إليه المنتهى فى الشجاعة.

و فيها توفّى تميم بن المعزّ معدّ العبيدىّ الفاطمىّ أخو العزيز هذا صاحب مصر.

و كان تميم أميز أولاد المعزّ، و كان فاضلا جوادا سمحا يقول الشعر. و شقّ موته على أخيه العزيز.

و فيها توفّى الحسن بن عبد اللّه بن المرزبان أبو سعيد السّيرافىّ النحوىّ القاضى.

كان أبوه مجوسيّا و اسمه بهزاد فأسلم فسمىّ عبد اللّه. سكن الحسن بغداد، و ولى القضاء بها، و كان مفتنّا فى علوم القراءات و النحو و اللغة و الفقه و الفرائض و الكلام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۳۴

و الشعر و العروض و القوافى و الحساب و سائر العلوم، و شرح كتاب سيبويه، مع الزهد و الورع.

و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد [بن] ورقاء أبو أحمد الشيبانىّ، كان من أهل البيوتات، و أسرته من أهل الثغور، مات فى ذى الحجة.

و فيها توفّى محمد بن محمد بن يعقوب النيسابورىّ من ولد الحجاج بن الجرّاح؛ سمع الكثير، و كان عابدا صالحا حافظا ثقة صدوقا.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعىّ فى ذى الحجة عن خمس و تسعين سنة. و أبو سعيد الحسن بن عبد اللّه السّيرافىّ النحوىّ فى رجب و له أربع و ثمانون سنة. و أبو القاسم عبد اللّه بن إبراهيم الجرجانىّ الآبندونىّ الحافظ الزاهد ببغداد، و له خمس و تسعون سنة. و عيسى ابن حامد الرّخّجىّ القاضى. و أبو أحمد محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودىّ فى ذى الحجة و له ثمانون سنة. و أبو الحسين محمد بن محمد بن يعقوب الحجّاجىّ الحافظ المفيد الصالح فى ذى الحجة بنيسابور عن ثلاث و ثمانين سنة. و هفتكين التركى الذى هرب خوفا من عضد الدولة، و تملّك دمشق و حارب المصريّين مرات.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إصبع واحدة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۳۵

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۶۹]

السنة الرابعة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة تسع و ستين و ثلثمائة.

فيها تزوّج الخليفة الطائع ببنت عضد الدولة؛ و قد مرّ ذلك، و لكن الأصح فى هذه السنة. و عقد العقد بحضرة الخليفة الطائع على صداق مبلغه مائتا ألف دينار.

و كان الوكيل عن عضد الدولة فى العقد أبا على الحسن بن أحمد الفارسىّ النحوىّ.

و الخطيب أبو على المحسّن بن على القاضى التّنوخىّ وكيلا عن الخليفة.

و فيها حجّ بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر بن يحيى العلوىّ.

و فيها توفّى فارس بن زكريّا، والد ابن فارس أبى الحسين اللغوىّ صاحب كتاب المجمل فى اللغة. كان عالما بفنون العلوم، و روى عنه الأئمة، و مات ببغداد.

و فيها توفّى أحمد بن عطاء بن أحمد بن محمد بن عطاء أبو عبد اللّه الرّوذبارىّ ابن أخت أبى علىّ الرّوذبارىّ. كان شيخ الشام فى وقته، و كان ممّن جمع بين علم الشريعة و الحقيقة، و مات بقرية بين عكّا و صور يقال لها منواث.

و فيها توفّى الحسين بن على أبو عبد اللّه البصرىّ؛ و يعرف بالجعل، سكن بغداد.

و كان من شيوخ المعتزلة، و صنّف على مذاهب المعتزلة، و مات يوم الجمعة ثانى ذى الحجة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۳۶

و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد الراسبىّ، كان بغدادىّ الأصل و كان من كبار المشايخ و أرباب المعاملات. و من كلامه قال: خلق اللّه الأنبياء للمجالسة، و العارفين للمواصلة، و المؤمنين للمجاهدة. و من كلامه: أعظم حجاب بينك و بين الحق اشتغالك بتدبير نفسك، و اعتمادك على عاجز مثلك فى أسبابك. و توفّى ببغداد.

و فيها توفّى أبو تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة الحسن بن حمدان التغلبىّ، و قد تقدّم ذكر وفاته، و الأصحّ أنّه فى هذه السنة. كان ملك الموصل و ديار ربيعة و قلاع ابن حمدان، و وقع له حروب مع بنى بويه و أقاربه بنى حمدان، إلى أن طرقه عضد الدولة و أخذ منه بلاده فانهزم إلى أخلاط؛ ثمّ توجّه نحو الديار المصريّة و حارب أعوان العزيز صاحب مصر فقتل فى المعركة، و بعث برأسه إلى العزيز صاحب الترجمة.

و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد بن جعفر بن حيّان الحافظ أبو محمد الأصبهانىّ أبو الحافظ صاحب التصانيف؛ ولد سنة أربع و سبعين و مائتين، و سمع فى صغره من جدّه لأمّه محمود بن الفرج الزاهد و غيره، و هو صاحب تاريخ بلده، و التاريخ على السنين، و "كتاب السنّة "و "كتاب العظمة "و غيرها.

و فيها توفّى أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون العجلىّ الصّعلوكىّ النّيسابورىّ الفقيه الشافعىّ. كان أديبا لغويّا مفسرا نحويّا شاعرا صوفيّا. ولد سنة ستّ و تسعين و مائتين، و مات فى ذى القعدة. و من شعره: [الطويل]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۳۷

أنام على سهو و تبكى الحمائم و ليس لها جرم و منّى الجرائم

كذبت و بيت اللّه لو كنت عاشقا لما سبقتنى بالبكاء الحمائم

و فيها توفّى محمد بن صالح بن علىّ بن يحيى بن عبد اللّه أبو الحسن القاضى القرشىّ الهاشمى، و يعرف بابن أمّ شيبان؛ سمع الكثير، و تفقّه على مذهب مالك رضى اللّه عنه، و كان عاقلا متميّزا كثير التصانيف. و لم يل القضاء بمدينة السلام من بنى هاشم غيره.

و فيها توفّى محمد بن على بن الحسن أبو بكر التّيّسىّ، سمع منه الدارقطنى؛ وراه وحده فقال له: يا أبا بكر، ما فى بلدك مسلم؟ قال: بلى، و لكنّهم اشتغلوا بالدنيا عن الآخرة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى ابو عبد اللّه بن عطاء الروذبارىّ. و عبد اللّه بن إبراهيم، أيّوب بن ماسى فى رجب و له خمس و تسعون سنة. و أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن جعفر بن حيّان أبو الشيخ فى المحرّم و له خمس و تسعون سنة. و أبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكىّ ذو الفنون فى آخر السنة و له ثمانون سنة. و قاضى العراق ابن أمّ شيبان أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمىّ فجأة فى جمادى الأولى عن ستّ و سبعين سنة. و أبو بكر محمد بن على بن الحسن المصرىّ بن النقاش فى شعبان، و كان حافظا. و أبو عمرو محمد بن صالح ببخارى.

و أبو علىّ مخلّد بن جعفر الباقرحىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۳۸

- أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و خمس أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۰]

السنة الخامسة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة سبعين و ثلثمائة.

فيها خرج عضد الدولة للقاء الصاحب إسماعيل بن عبّاد؛ فقدم عليه ابن عبّاد، فقدم عليه ابن عبّاد من الرىّ من عند أخيه مؤيّد الدولة، فبالغ عضد الدولة فى إكرامه إلى الغاية لكونه وزير أخيه مؤيّد الدولة و صاحب أمره و نهيه. و تردّد إليه عضد الدولة فى إقامته ببغداد غير مرّة إلى أن سافر إلى مخدومه مؤيّد الدولة فى شهر ربيع الآخر.

و فيها توجّه عضد الدولة إلى همذان. فلمّا عاد إلى بغداد خرج الخليفة لتلقّيه؛ و لم يكن ذلك بعادة أنّ الخليفة يلاقى أحدا من الأمراء. قلت: و هذا كان أوّلا، و أمّا فى الآخر فإنّ الطائع كان قد بقى تحت أوامر عضد الدولة كالأسير.

و فيها حجّ بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر العلوىّ و خطب بمكة و المدينة للعزيز هذا صاحب مصر.

و فيها غرقت بغداد من الجانبين و أشرف أهلها على الهلاك، و وقعت القنطرتان و غرم على بنائهما أموال كثيرة.

و فيها توفّى أحمد بن علىّ الإمام العلّامة أبو بكر الرازىّ الحنفىّ العالم المشهور.

مولده فى سنة خمس و ثلثمائة، كان إمام الحنفية فى زمانه، و كان مشهورا بالدّين و الورع و الزّهد. قال أبو المظفر فى تاريخه: و حاله كان يزيد على حال الرهبان من كثرة التقشّف، و هو صاحب التصانيف و تلميذ أبى الحسن الكرخىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۳۹

و فيها توفّى محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد بن زكرياء الحافظ أبو بكر الورّاق المعروف بغندر، كان حافظا متقنا، و رحل [إلى] البلاد و سمع الكثير، و كتب مالم يكتبه أحد، و كان حافظا ثقة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو بكر أحمد بن علىّ الرازىّ عالم الحنفيّة فى ذى الحجة و له خمس و ستون سنة. و بشر بن أحمد أبو سهل الإسفراينى فى شوّال عن نيّف و تسعين سنة. و أبو محمد الحسن بن أحمد السّبيعىّ الحلبىّ الحافظ. و أبو محمد الحسن بن رشيق بمصر فى جمادى الآخرة. و أبو عبد اللّه الحسين بن أحمد بن خالويه النحوىّ. و أبو بكر عبد اللّه بن محمد بن محمد بن فورك فى ذى القعدة. و أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرىّ صاحب [تهذيب] اللغة فى ربيع الآخر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراع واحدة. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۱]

السنة السادسة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة إحدى و سبعين و ثلثمائة.

فيها اتّفق فخر الدولة و قابوس بن و شمكير على عداوة أخيه عضد الدولة فى الباطن. قلت: و هذه أوّل فتنة بدت بين الإخوة أولاد ركن الدولة الثلاثة:

عضد الدولة، و فخر الدولة، و مؤيّد الدولة. و فطن عضد الدولة لذلك و لم يظهره،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۴۰

و جهّز العساكر لأخيه مؤيّد الدولة لقتال قابوس المذكور؛ فتوجّه إليه مؤيّد الدولة و حصره و أخذ بلاده، و لم ينفعه فخر الدولة. و كان لقابوس من البلاد طبرستان و غيرها.

و فيها حجّ بالناس أبو عبد اللّه العلوىّ من العراق.

و فيها توفّى أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الحافظ أبو بكر الجرجانىّ، كان إماما، طاف البلاد، و لقى الشيوخ، و؟؟؟ سمع الكثير، و صنّف الكتب الحسان، منها:

"الصحيح "صنّفه على صحيح البخارىّ، و "الفرائد "و "العوالى "و غير ذلك، و مات فى شهر رجب.

و فيها توفّى الحسن بن أحمد بن صالح الحافظ أبو محمد السّيبيعىّ الكوفىّ، كان حافظا مكثرا إلّا أنّه كان عسر الرواية، و كان الدارقطنىّ يجلس بين يديه جلوس الصبىّ بين يدى المعلّم هيبة له، و مات فى ذى الحجة ببغداد.

و فيها توفّى عبد العزيز بن الحارث بن أسد أبو الحسن التميمى الحنبلىّ، كان فقيها فاضلا، و له تصانيف فى أصول الكلام و فى مذهبه و الفرائض و غير ذلك.

و فيها توفّى علىّ بن إبراهيم أبو الحسن [الحصرىّ] البصرىّ الصوفىّ الواعظ، سكن بغداد و صحب الشّبلىّ و غيره، و كان صاحب خلوات و مجاهدات، و له كلام حسن فى التوفيق.

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن طالب الأخبارىّ، رحل و سمع الكثير، و كان فاضلا محدّثا أخباريّا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۴۱

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلىّ الجرجانىّ فى رجب و له أربع و تسعون سنة. و أبو العباس الحسن ابن سعيد العبّادانىّ المطّوّعىّ المقرئ و له مائة و سنتان. و أبو محمد عبد اللّه بن إسحاق القيروانىّ شيخ المالكية. و أبو زيد محمد بن أحمد المروزىّ الفقيه فى رجب.

و أبو عبد اللّه محمد بن خفيف الشّيرازى شيخ الصوفيّة بفارس.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و إصبعان.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۲]

السنة السابعة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة اثنتين و سبعين و ثلثمائة.

فيها وثب أبو الفرج بن عمران بن شاهين على أخيه أبى محمد الحسن بن عمران صاحب البطيحة، فقتله و استولى على بلده.

و فيها حجّ بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر العلوىّ، و قيل: إنّه لم يحجّ أحد من العراق من هذه السنة إلى سنة ثمانين، بسبب الفتن و الخلف بين خلفاء بنى العباس و بين خلفاء مصر بنى عبيد.

و فيها أنشأ عضد الدولة بيمارستانه ببغداد فى الجانب الغربىّ، و رتّب فيه الأطباء و الوكلاء و الخزّان و كلّ ما يحتاج إليه.

قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبىّ: «و فى هذا الزمان كانت البدع و الأهواء فاشية ببغداد و مصر من الرّفض و الاعتزال و الضلال فإنّا للّه و إنا إليه راجعون!».

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۴۲

قلت: و معنى قول الذهبىّ ": و مصر "فإنّه معلوم من كون خلفاء بنى عبيد كانوا يظهرون الرفض و سبّ الصحابة، و كذلك جميع أعوانهم و عمّالهم. و أمّا قوله:

"ببغداد "فإنّه كان بسبب عضد الدولة الآتى ذكره، فإنّه كان أيضا يتشيّع و يكرم جانب الرافضة.

و فيها توفّى السلطان عضد الدولة أبو شجاع فنّاخسرو- و قيل بويه على اسم جدّه، و فنّاخسرو أشهر- ابن السلطان ركن الدولة الحسن بن بويه بن فنّاخسرو الدّيلمىّ.

ولى مملكة فارس بعد عمّه عماد الدولة، ثمّ قوى على ابن عمّه عزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة بن بويه، و أخذ منه العراق و بغداد. و قد تقدّم من ذلك نبذة يسيرة فى حوادث بعض السنين. و بلغ سلطانه من سعة المملكة و الاستيلاء على الممالك ما لم يبلغه أحد من بنى بويه، و دانت له البلاد و العباد. و هو أوّل من خوطب بالملك شاهنشاه فى الإسلام، و أوّل من خطب له على منابر بغداد بعد

الخلفاء، و أوّل من ضربت الدبادب على باب داره. و كان فاضلا نحويّا، و له مشاركة فى فنون كثيرة، و له صنّف أبو علىّ الفارسىّ" الإيضاح. "قال أبو على الفارسىّ، منذ تلقّب شاهنشاه تضعضع أمره، و ما كفاه ذلك حتّى مدح نفسه؛ فقال: [الرمل]

عضد الدولة و ابن ركنها ملك الأملاك غلّاب القدر

و لمّا أحسّ بالموت تمثّل بشعر القاسم بن عبد اللّه الوزير، و هو قوله: [الطويل]

قتلت صناديد الرجال فلم أدع عدوّا و لم أمهل على ظنّة خلقا

و أخليت دور الملك من كلّ نازل و بدّدتهم غربا و شرّدتهم شرقا

ثمّ جعل يبكى و يقول ": ما أغنى عنّى ماليه! هلك عنى سلطانيه "!و صار يردّدها إلى أن مات فى شوّال ببغداد و له سبع و أربعون سنة. و تولّى الملك من بعده ابنه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۴۳

صمصام الدولة، و لم يجلس للعزاء إلّا فى أوّل السنة. أظنّ أنّهم كانوا أخفوا موت عضد الدولة لأمر، أو أنّه اشتغل بملك جديد حتّى فرغ منه.

و فيها توفّى محمد بن جعفر بن أحمد أبو بكر الحريرىّ المعدّل البغدادىّ، و كان يعرف بزوج الحرّة، و كان جليل القدر، من الثّقات. مات ببغداد، و دفن عند قبر معروف الكرخىّ. رحمة اللّه عليهما.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۳]

السنة الثامنة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة ثلاث و سبعين و ثلثمائة.

فيها فى ثانى عشر المحرّم أظهرت وفاة عضد الدولة و حمل تابوته إلى المشهد، و جلس ابنه صمصام الدولة للعزاء، و جاءه الخليفة الطائع معزّيا، و لطم عليه الناس فى [دوره و فى] الأسواق أيّاما عديدة. ثمّ ركب صمصام الدولة إلى دار الخلافة، و خلع عليه الخليفة الطائع عبد الكريم سبع خلع، و عقد له لواءين، و لقّب شمس الملّة.

و فيها بعد مدّة يسيرة ورد الخبر على صمصام الدولة المذكور بموت عمّه مؤيّد الدولة أبى منصور بن ركن الدولة بجرجان، فجلس صمصام الدولة أيضا للتعزية؛ و جاءه الخليفة الطائع مرّة ثانية معزّيا فى عمّه مؤيّد الدولة المذكور. و لمّا مات مؤيّد الدولة كتب وزيره الصاحب إسماعيل بن عبّاد إلى أخيه فخر الدولة علىّ بن ركن الدولة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۴۴

بالإسراع إليه و ضبط ممالك أخيه مؤيّد الدولة؛ فقدم فخر الدولة إليه و ملك بلاد أخيه، و استوزر الصاحب بن عباد المذكور. و عظم ابن عبّاد فى أيام فخر الدولة إلى الغاية.

و فيها كان الغلاء المفرط بالعراق، و بلغ الكرّ القمح أربعة آلاف و ثمانمائة درهم، و مات خلق كثير على الطريق جوعا، و عظم الخطب.

و فيها ولّى العزيز نزار صاحب الترجمة خطلخ القائد إمرة دمشق.

و فيها توفّى السلطان مؤيّد الدولة أبو منصور بويه ابن السلطان ركن الدولة حسن بن بويه المقدّم ذكره. مات بجرجان و له ثلاث و أربعون سنة و شهر.

و كانت مـدّة إمرته سبع سنين و شـهرا. و كان قـد تزوّج ببنت عمّه معزّ الدولة، فأنفق فى عرسـها سـبعمائة ألف دينار. و كان موته فى ثالث عشر شعبان؛ فيكون بعد موت أخيه عضد الدولة بنحو عشرة أشهر. وصفا الوقت لأخيهما فخر الدولة.

و فيها توفّى سعيد بن سلّام أبو عثمان المغربىّ. مولده بقرية يقال لها كركنت، كان أوحد عصره فى الزهد و الورع و العزلة.

و فيهـا توفّى عبـد اللّه بن محمـد بن عثمـان بن المختار أبو محمـد المزنىّ الواسـطىّ الحافظ، كان ثقـة، مات بواسط. و من كلامه قال: «الذين وقع عليهم اسم الخلافة ثلاثة:

آدم، و داود عليهما السـلام، و أبو بكر الصـديق رضـى اللّه عنه. قال اللّه تعالى فى حقّ آدم: (إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَـةً)، و قال فى حقّ داود: (يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۴۵

خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ). و قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن ثلاثين ألف مسلم كلّهم يقول لأبى بكر: يا خليفة رسول اللّه».

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و إصبعان.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۴]

السنة التاسعة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة أربع و سبعين و ثلثمائة.

فيها دخلت القرامطة البصرة لمّا علموا بموت عضد الدولة، و لم يكن لهم قوّة على حصارها، فجمع لهم مال فأخذوه و انصرفوا.

و فيها وقع الصـلح بين صمصام الدولة و بين عمّه فخر الدولة بمكاتبة أبى عبد اللّه ابن سعدان إلى الصاحب بن عبّاد. فكان ابن سعدان يخاطب الصاحب بن عبّاد بالصاحب الجليل، و الصاحب بن عباد يخاطب ابن سعدان بالأستاذ مولاى و رئيسى.

و فيهـا ملكت الأـكراد ديـار بكر بن ربيعـة. و سـببه. أنّه كان بجبال حيزان رجل كردىّ يقطع الطريق، يقال له أبو عبـد اللّه الحسـين بن دوستك، و لقبه پاد، و اجتمع عليه خلق كثير، و جرت له مع بنى حمدان حروب إلى أن قتل. فلمّا قتل پاد، المذكور كان له صهر يقال له مروان بن كسرى و كان له أولاد ثلاثة، و كانوا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۴۶

من قرية يقال لها كرماس بين إسعرد و المعدن، و كانوا رؤساءها. فلمّا خرج پاد خرج معه أولاد مروان المذكور و هم: الحسن و سعيد و أحمد و أخ آخر. فلمّا قتل پاد انضمّ عسكره على ابن أخته الحسين، و استفحل أمره و تقاتل مع من بقى من بنى حمدان فهزمهم. ثمّ مات عضد الدولة بن بويه، فصـفا له الوقت و ملك ديار بكر و ميّافارقين، و أحسن السـيرة فى الناس فأحبّته الرعيّة؛ ثم افتتح بعد ذلك عدّة حصون، يأتى ذكرها إن شاء اللّه تعالى فى محلّها.

و فيها توفّى عبد الرّحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الخطيب الفارقىّ صاحب الخطب، و الذى من ذرّيته الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة الشاعر المتأخر، الآتى ذكره إن شاء اللّه تعالى. و كان مولده بميّافارقين فى سنة خمس و ثلاثين و ثلثمائة.

و كـان بارعـا فى الأـدب، و كـان يحفظ "نهـج البلاغـة "و عامّـة خطبه بألفاظها و معانيها، و مات بميافارقين عن تسع و ثلاثين سـنة. و لولده أبى طاهر محمد خطب أيضا.

و فيها توفّى محمد بن محمد بن مكّىّ أبو أحمد القاضى الجرجانى، رحل فى طلب الحديث و لقى الشيوخ، و كان حافظا فاضلا أديبا. و من شعره رحمة اللّه:

[الوافر]

مضى زمن و كان الناس فيه كراما لا يخالطهم خسيس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۴۷

فقد دفع إلى الكرام إلى زمان أخسّ رجالهم فيه رئيس

[تعطّلت المكارم يا خليلى و صار الناس ليس لهم نفوس]

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۵]

السنة العاشرة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة خمس و سبعين و ثلثمائة.

فيها توفّى أحمد بن الحسين بن علىّ الحافظ أبو زرعة الرازىّ الصغير، كان إماما طاف البلاد فى طلب الحديث، و جالس الحفّاظ، و صنّف التراجم و الأبواب، و كان متقنا صدوقا؛ فقد بطريق مكّة فى هذه السنة.

و فيها توفّى الحسين بن علىّ بن محمد بن يحيى الحافظ أبو أحمد النيسابورىّ، و يقال له حسينك، مولده سنة ثلاث و تسعين و مائتين، و مات بنيسابور فى شهر ربيع الآخر، و كان ثقة جليلا مأمونا حجّة.

و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه بن محمد أبو بكر التّميمىّ الأبهرىّ الفقيه المالكىّ، ولد سنة تسع و ثمانين و مائتين، و صنّف التصانيف الحسان فى مذهبه، و انتهت إليه رياسة المالكيّة فى زمانه.

و فيها توفّى عبد الرّحمن بن محمد بن عبد اللّه بن مهران أبو مسلم البغدادىّ الحافظ الثقة العابد العارف، رحل الى البلاد و أقام بسمرقند و جمع المسند، و كان يعدّ من الزهّاد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۴۸

و فيها توفّى عبد اللّه بن علىّ بن عبيد اللّه أبو القاسم الواردىّ البصرىّ القاضى شيخ أهل الظاهر فى عصره، سمع الكثير و حدّث، و كان موصوفا بالفضل و حسن السيرة، و ولى القضاء بعدّة بلاد و حسنت سيرته.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو زرعة الرازىّ الصغير أحمد بن الحسين الحافظ. و أبو علىّ الحسين بن علىّ التميمىّ حسينك. و الحسين ابن محمد بن عبيد أبو عبد اللّه العسكرىّ الدّقاق فى شوّال. و أبو مسلم عبد الرّحمن بن محمد بن عبد اللّه بن مهران البغدادىّ الحافظ الزاهد. و أبو القاسم عبد العزيز بن عبد اللّه الدّاركىّ شيخ الشافعيّة ببغداد. و أبو القاسم عبد العزيز بن جعفر الخرقىّ.

و عمر بن محمد بن على أبو حفص الزيّات. و محمد بن عبد اللّه بن محمد القاضى أبو بكر الأبهرىّ شيخ المالكيّة بالعراق. و يوسف بن القاسم القاضى أبو بكر الميانجىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و اثنتان و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و عشر أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۶]

السنة الحادية عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة ست و سبعين و ثلثمائة.

فيها استقرّ الأمر على الطاعة لشرف الدّولة بن عضد الدّولة، و تحالف الإخوة الثلاثة أولاد عضد الدولة و تعاقدوا؛ و مضمون ما كتب بينهم:

«هذا ما اتّفق عليه و تعاهد و تعاقد شرف الدولة أبو الفوارس، و صمصام الدولة، و أبو النصر أبناء عضد الدولة بن ركن الدولة، اتفقوا

على طاعة أمير المؤمنين الطائع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۴۹

للّه و لشرف الدولة بن عضد الدولة»، و ذكر ما جرت به العادة؛ و كان ذلك بعد أمور وقعت بين صمصام الدولة و بين أخيه شرف الدولة المذكور حتى أذعن له صمصام الدولة.

و فيها توفّى أبو القاسم المظفّر بن علىّ الملقب بالموفّق أمير البطيحة، و ولى بعده أبو الحسن علىّ بن نصر بعهد منه. فبعث ابن نصر هذا لشرف الدولة يبذل الطاعة و سأل الخلع و التقليد؛ فأجيب إلى ذلك و لقّب مهذّب الدولة؛ فسار بالناس أحسن سيرة.

و فيها توفّى الحكم بن عبد الرّحمن بن عبد اللّه بن محمد الأموىّ المغربىّ أمير الأندلس. ولى مملكة الأندلس بعد وفاة أبيه يوم مات سنة خمسين و ثلثمائة.

و كنيته أبو العاصى، و لقبه المستنصر بالله؛ و أقام واليا على الأندلس خمسا و عشرين سنة، و مات فى صفر. و أمّه أم ولد يقال لها مرجان. و تولّى بعده ولده هشام ابن الحكم، و كان مشكور السيرة. و هو الذى كتب إليه العزيز صاحب الترجمة من مصر يهجوه، و قد ذكرنا ذلك فى أوّل ترجمة العزيز؛ فردّ المستنصر هذا جواب العزيز، و كتب فى أوّل كتابه قصيدة أوّلها:

[الطويل]

ألسنا بنى مروان كيف تقلّبت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

إلى أن قال:

إذا ولد المولود منّا تهلّلت له الأرض و اهتزّت إليه المنابر

ثمّ قال: و بعد، فقد عرفتنا فهجوتنا، و لو عرفناك لهجوناك. و السلام.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۵۰

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن حمدان بن علىّ بن عبد اللّه بن سنان أبو عمرو الحيرىّ الزاهد، صحب جماعة من الزهّاد، و كان عالما بالقراءات و النحو، و كان متعبّدا، مات ببغداد فى ذى القعدة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى إبراهيم بن أحمد أبو إسحاق المستملى ببلخ، طوّف و خرّج المعجم. و أبو سعيد الحسن بن جعفر السمسار الخرقىّ. و أبو الحسن علىّ بن الحسن بن علىّ القاضى الجرّاحىّ الضعيف.

و أبو الحسن على بن عبد الرّحمن البكّائىّ. و أبو القاسم عمر بن محمد بن سبنك. و قسّام الحارثىّ الغالب على دمشق قبض عليه فى هذه السنة. و أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحيرىّ فى ذى القعدة عن ثلاث و تسعين سنة. و أبو بكر محمد بن عبد اللّه ابن عبد العزيز الرازىّ الواعظ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إحدى و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۷]

السنة الثانية عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة سبع و سبعين و ثلثمائة.

فيها توفّيت والدة شرف الدولة، فجاءه الخليفة الطائع للّه معزّيا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۵۱

و فيها فى شعبان ولد لشرف الدولة بن عضد الدولة ولدان توءمان؛ فكنّى أحدهما أبا حرب و سماه سلار، و الثانى أبا منصور و سماه فنّاخسرو.

و فيها ولّى العزيز صاحب الترجمة بكتكين التركىّ إمرة دمشق، و ندبه لقتال قسّام، حسب ما تقدّم ذكره.

و فيها توفّى الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علىّ الفارسىّ النحوىّ الإمام المشهور، ولد ببلدة فسا، و قدم بغداد، و سمع الحديث و برع فى علم النحو و انفرد به، و قصده النـاس من الأقطار، و علت منزلته فى العربيّة، و صنّف فيها كتبا كثيرة لم يسبق إلى مثلها حتّى اشتهر ذكره فى الآفاق؛ و تقدّم عند عضد الدولة حتى قال عضد الدولة: أنا غلام أبى علىّ فى النحو. و من تصانيف أبى علىّ": الإيضاح "و "التكملة "و كتاب "الحجة فى القراءات؛ "و مات ببغداد فى شهر ربيع الأوّل عن نيّف و تسعين سنة.

و فيها كان قد هيّأ العزيز صاحب مصر عدّة شوانى لغزو الروم، فاحترقت مراكبه فاتّهم بها أناسا. ثمّ بعد ذلك وصلت رسل الروم فى البحر إلى ساحل القدس بتقادم للعزيز، و دخلوا مصر يطلبون الصلح؛ فأجابهم العزيز و اشترط شروطا شديدة التزموا بها كلّها؛ منها: أنّهم يحلفون أنّه لا يبقى فى مملكتهم أسير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۵۲

إلّا أطلقوه، و أن يخطب للعزيز فى جامع قسطنطينية كلّ جمعة، و أن يحمل إليه من أمتعة الروم كلّ ما افترضه عليهم؛ ثمّ ردّهم بعقد الهدنة سبع سنين.

و فيها توفّيت ستيتة، و قيل آمنة، بنت القاضى أبى عبد اللّه الحسين المحاملىّ، و أمّ القاضى أبى الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملىّ، كنيتها أمة الواحد.

كانت فاضلة، من أعلم الناس و أحفظهم لفقه الشافعىّ، و تقرأ القراءات و الفرائض و النحو و غير ذلك من العلوم مع الزهد و العبادة و الصدقات، و كانت تفتى مع أبى على ابن أبى هريرة؛ و ماتت فى شهر رمضان.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۸]

السنة الثالثة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة ثمان و سبعين و ثلثمائة.

فيها فى المحرّم أمر شرف الدولة بأن ترصد الكواكب السبعة فى مسيرها و تنقّلها فى بروجها على مثال ما كان المأمون يفعل، و تولّى ذلك ابن رستم الكوهىّ، و كان له علم بالهيئة و الهندسة، و بنى بيتا فى دار المملكة بسبب ذلك فى آخر البستان، و أقام الرصد لليلتين بقيتا من صفر.

و فيها كثرت العواصف و هبّت ريح بفم الصّلح عظيمة جرفت دجلة من غربيها إلى شرقيها، فأهلكت خلقا كثيرا و غرّقت كثيرا من السفن الكبار.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۵۳

و فيها بدأ المرض بشرف الدولة و لحقه سوء مزاج.

و فيها لحق الناس بالبصرة حرّ عظيم فى نيّف و عشرين يوما من تموز، و هو «أبيب» بالقبطىّ، فكان الناس يتساقطون موتى بالعراق فى الشوارع.

و فيها ولّى العزيز صاحب مصر على دمشق منيرا الخادم، و عزل عنها بكتكين التركىّ، لأنّه كان قيل عنه: إنّه خرج عن الطاعة.

و فيها توفّى أحمد بن الحسين بن أحمد بن علىّ بن محمد العلوىّ الدّمشقىّ، و يعرف بالعقيقى، صاحب الدار المشهورة بدمشق، و كان من وجوه الأشراف جوادا ممدّحا، مات بدمشق فى جمادى الأولى.

و فيها توفّى الخليل بن أحمد بن محمد بن الخليل أبو سعيد السّجزىّ القاضى الحنفىّ، و قيل: اسمه محمد، و الخليل لقب له، و يعرف

أيضا بابن جنك. كان شيخ أهل الرأى فى عصره، و كان مع كثرة علمه أحسن الناس كلاما فى الوعظ و التذكير، و كان صاحب فنون من العلوم، و طاف الدنيا شرقا و غربا و سمع الحديث، و كان شاعرا فصيحا؛ مات قاضيا بسمرقند فى جمادى الآخرة، و رثاه أبو بكر الخوارزمىّ.

و فيها توفّى عبد اللّه بن علىّ بن محمد أبو نصر السرّاج الصوفى الطوسىّ، كان من كبار مشايخ طوس و زهّادهم، مات بنيسابور فى شهر رجب و هو ساجد.

و من شعره: [البسيط]

ما ناصحتك خبايا الودّ من أحد ما لم تنلك بمكروه من العذل

مودّتى فيك تأبى أن تسامحنى بأن أراك على شىء من الزلل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۴؛ ص۱۵۳

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۵۴

و فيها توفّى محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق أبو أحمد الحافظ النيسابورىّ الكرابيسىّ الحاكم الكبير إمام عصره صاحب التصانيف، سمع الكثير و روى عنه خلق كثير، و صنّف على كتابى البخارىّ و مسلم و على جامع أبى عيسى التّرمذىّ، و صنّف كتابى الأسماء و الكنى و العلل و المخرّج على كتاب المزنىّ و غير ذلك، و ولى القضاء بمدن كثيرة، و مات فى شهر ربيع الأوّل عن ثلاث و تسعين سنة.

و فيها توفّى [أبو] القاسم بن الجلّاب المالكى، و قيل اسمه عبد الرّحمن بن عبيد اللّه، و سمّاه القاضى عياض: محمد بن الحسين، تفقّه بالقاضى أبى بكر محمّد الأبهرىّ، و صنّف كتابا جليلا فى مسائل الخلاف، و كتاب "التفريع "فى مذهبه، و كان أحفظ أصحاب الأبهرىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۷۹]

السنة الرابعة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة تسع و سبعين و ثلثمائة.

فيها مات شرف الدولة شيرزيل بن عضد الدولة بويه، و قيل: فنّاخسرو، ابن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمىّ بعد أن عهد بالملك إلى أخيه أبى نصر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۵۵

و جاء الطائع الخليفة لأبى نصر و عزّاه فى أخيه شرف الدولة، ثمّ ركب أبو نصر إلى دار الخليفة و حضر الأعيان. و خلع الخليفة الطائع على أبى نصر المذكور سبع خلع أعلاها سوداء و عمامة سوداء، و فى عنقه طوق كبير، و فى يديه سواران، و مشى الحجّاب بين يديه بالسيوف. فلمّا حصل بين يدى الطائع قبّل الأرض، ثمّ أجلس على كرسىّ، و قرأ أبو الحسن علىّ بن عبد العزيز بن حاجب النّعمان كاتب الخليفة عهده، و قدّم إلى الطائع لواءه فعقده و لقبه بهاء الدولة و ضياء الملة. قلت: و هذا الثالث من بنى عضد الدولة بن بويه؛ فإنّه ولى بعد عضد الدولة صمصام الدولة، ثمّ شرف الدولة، ثمّ بهاء الدولة هذا.

و كان بهاء الدولة المذكور من رجال بنى بويه. و بلغ الأتراك بفارس ولايته فوثبوا و أخرجوا صمصام الدولة من معتقله، و كان اعتقله أخوه شرف الدولة.

و لمّا خرج صمصام الدولة و استفحل أمره، وقّع بينه و بين الأتراك، فتركوه و أقاموا ابن أخيه أبا علىّ و لقّبوه شمس الدولة. و وقع

لهم أمور يطول شرحها.

و فيها توفّى محمد بن المظفّر بن موسى بن عيسى أبو الحسين البزّاز البغدادىّ الحافظ المشهور، ولد سنة ستّ و ثمانين و مائتين فى المحرّم، و رحل و سمع الكثير، و روى عنه خلائق، كتب عنه الدارقطنىّ. و قد روينا مسنده الذى جمعه من حديث أبى حنيفة رضى اللّه عنه عن المسند المعمّر الحاكم عبد الرّحيم بن الفرات الحنفى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۵۶

أنبأنا ابن أبى عمر و غير واحد قالوا أنبأنا أبو الحسن بن البخارىّ أنبأنا الخشوعىّ أنبأنا ابن خسرو البلخىّ عن المبارك بن عبد الجبّار الصّيرفىّ عن أبى محمد الفارسىّ عن ابن المظفّر. و قال محمد بن أبى الفوارس: انتهى إليه علم الحديث مع الفقه و الأمانة و حسن الخط.

و فيها توفّى شرف الدولة شيرزيل بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة الحسن ابن بويه بن فناخسرو الديلمىّ سلطان بغداد و ابن سلطانها. ظفر بأخيه صمصام الدولة بعد حروب و حبسه و ملك العراق. و كان حسن السيرة، يميل إلى الخير، و أزال المصادرات. و كان مرضه بالاستسقاء، و امتنع من الحمية فمات منه فى جمادى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۵۷

الآخرة عن تسع و عشرين سنة، و ملك سنتين و ثمانية أشهر. و تولّى السلطنة بعده أخوه أبو نصر بهاء الدولة، حسب ما ذكرناه فى أوّل هذه السنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۸۰]

السنة الخامسة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة ثمانين و ثلثمائة.

فيها قلّد أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوىّ العلوىّ نقابة الطالبيين و النظر فى المظالم و إمرة الحاجّ، و كتب عهده على جميع ذلك؛ و استخلف ولديه المرتضى و الرضىّ على النّقابة، و خلع عليهما من دار الخلافة ببغداد.

و فيها تغيّر بهاء الدولة على الخليفة الطائع للّه عبد الكريم حتّى نكبه فى السنة الآتية.

و فيها حجّ بالناس أبو عبد اللّه أحمد بن محمد بن عبيد اللّه نيابة عن الشريف أبى أحمد الموسوىّ.

و فيها توفّى حمزة بن أحمد بن الحسين الشريف أبو الحسن العلوىّ الدمشقىّ، كان جوادا رئيسا، يسكن بباب الفراديس. و لما قرئ نسب خلفاء مصر الفاطميّين على منبر دمشق استهزأ بهم و نال منهم، فبعث ابن كلّس وزير العزيز [من] قبض عليه، و حبسه بالإسكندريّة إلى أن مات بها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۵۸

و فيها توفّى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلّس أبو الفرج وزير العزيز صاحب مصر. كان يهوديّا من أهل بغداد ثم انتقل إلى الرملة و عمل سمسارا، فانكسر عليه مال فهرب إلى مصر. و تاجر لكافور الإخشيذىّ فرأى منه فطنة، فقال:

لو أسلم لصلح للوزارة، فأسلم؛ فقصده الوزير يوم ذلك، فهرب ابن كلّس هذا إلى المغرب، و ترقّى إلى أن وزّره العزيز صاحب الترجمة سنة خمس و ستين و ثلثمائة.

فاستقامت أمور العزيز بتدبيره إلى أن مات. فلما أشرف على الموت عاده العزيز و عمّه أمره. فقال له العزيز: ودت أنك تباع فاشتريك بملكى أو تفتدى فأفديك بولدى، فهل من حاجة [توصى بها؟] فبكى ابن كلّس و قبّل يده و جعلها على عينيه، ثم أوصى العزيز

بوصايا و مات. فصلّى عليه العزيز و ألحده فى قبره بيده فى قبّة فى دار العزيز كان بناها العزيز لنفسه، و أغلق الدواوين بعده أيّاما. و قيل:

إنه كان حسن إسلامه و قرأ القرآن و النحو، و كان يجمع العلماء و الفضلاء. و لمّا مات خلّف شيئا كثيرا. و قيل: إنه كفّن و حنّط بما قيمته عشرة آلاف دينار، قاله الذهبىّ و غيره من المؤرخين، و رثاه مائة شاعر.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو القاسم طلحة ابن محمد بن جعفر الشاهد. و أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرّج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۵۹

القرطبىّ قاضى الجماعة. و وزير مصر يعقوب بن يوسف بن كلّس. و أبو بكر محمد ابن عبد الرّحمن بن صبر الحنفىّ المعتزلىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۸۱]

السنة السادسة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة إحدى و ثمانين و ثلثمائة.

فيها خلع الخليفة الطائع عبد الكريم فى تاسع عشر شعبان، و تولّى القادر الخلافة.

و سببه أن أبا الحسين بن المعلّم كان من خواصّ بهاء الدولة فحبسه الطائع؛ و جاء بهاء الدولة إلى دار الخلافة و قد جلس الطائع متقلّدا سيفا. فلمّا قرب [منه] بهاء الدولة قبّل الأرض و جلس على كرسىّ؛ و تقدّم أصحابه فجذبوا الطائع بحمائل سيفه و تكاثروا عليه و لفّوه فى كساء، و حمل فى زبزب فى الدّجلة و أصعد الى دار الملك، و اختلط الناس و ظنّ أكثرهم أنّ القبض على بهاء الدولة، و نهبت دار الخلافة؛ و ماج الناس، إلى أن نودى بخلافة القادر. و كتب على الطائع كتاب بخلع نفسه، و أنه سلّم الأمر إلى القادر باللّه؛ فتشغّبت الجند يطلبون رسم البيعة، و تردّدت الرسل بينهم و بين بهاء الدولة، [و منعوا الخطبة باسم القادر]، ثم أرضوهم و سكنوا؛ و أقيمت الخطبة للقادر فى الجمعة الآتية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۶۰

و القادر هذا ابن عمّ الطائع المخلوع عن الخلافة به. و اسمه أحمد، و كنيته أبو العباس ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتدر. و الطائع الذى خلع اسمه عبد الكريم، و كنيته أبو بكر ابن الخليفة المطيع الفضل ابن الخليفة جعفر المقتدر المذكور؛ حبس و أقام سنين بعد ذلك إلى أن مات. على ما سيأتى ذكره فى محلّه إن شاء اللّه تعالى.

و فيها حجّ بالناس أبو الحسن محمد بن الحسن بن يحيى العلوىّ الشريف أمير الحجّ، [و كذلك] حجّ بالناس عدّة سنين.

و فيها توفّى أحمد بن الحسين بن مهران أبو بكر النّيسابورىّ المقرئ العابد، مصنّف كتاب "الغاية فى القراءات. "قال الحاكم: كان إمام عصره فى القراءات، و كان أعبد من رأينا من القرّاء، و كان مجاب الدعوة. مات فى شوّال و له ستّ و ثمانون سنة.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الجرّاح أبو بكر الخزّاز، كان أديبا فاضلا فارسا شجاعا.

و فيها توفى بكجور التركىّ، ولى إمرة دمشق لأستاذه العزيز صاحب الترجمة، نقل إليها من ولاية حمص. و كان ظالما جبّارا، ساءت سيرته فى ولايته. و لما كثر ظلمه عزله العزيز صاحب مصر و ولّى مكانه منيرا الخادم سنة ثمان و سبعين. فلم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۶۱

يسلّم بكجور المذكور البلد إلّا بعد قتال، و توجّه إلى جهة حلب؛ ثم قتل بمكان يقال له الناعورة. و كان أصل بكجور المذكور من موالى سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان.

و فيها توفّى سعد الدولة أبو المعالى شريف بن سيف الدولة علىّ بن عبد اللّه ابن حمدان التّغلبىّ الأمير صاحب حلب و ابن صاحبها فى شهر رمضان. و عهد إلى ولده أبى الفضائل، و وصّى لؤلؤا الكبير به و بولده الآخر أبى الهيجاء. و وقع بينهم و بين العزيز صاحب مصر وقائع و حروب، ذكرناها فى أوّل ترجمة العزيز هذا، و ما وقع له معهم إلى أن مات العزيز.

و فيها توفّى عبد اللّه بن أحمد بن حمّويه بن يوسف بن أعين أبو محمد السّرخسىّ، مولده فى سنة ثلاث و تسعين و مائتين. قال أبو ذرّ: قرأت عليه. و هو صاحب أصول حسان.

و فيها توفّى عبيد اللّه بن عبد الرّحمن بن محمد بن عبيد اللّه بن سعد بن إبراهيم ابن عبد الرّحمن بن عوف أبو الفضل الزّهرىّ العوفىّ، هو إمام مسند كبير القدر.

قال أبو بكر الخطيب: كان ثقة. ولد سنة تسعين و مائتين.

و فيها توفّى محمد بن إبراهيم بن علىّ بن عاصم بن زاذان الحافظ أبو بكر بن المقرئ مسند أصبهان، طاف البلاد و سمع الكثير و روى عنه خلق. قال ابن مردويه:

هو ثقة مأمون صاحب أصول، مات فى شوّال و له ستّ و تسعون سنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۶۲

و فيها توفّى عبيد اللّه بن أحمد بن معروف أبو محمد القاضى، ولى القضاء من الجانبين ببغداد، و كانت له منزلة عالية من الخلفاء و الملوك خصوصا من الطائع، و كان من العلماء الثّقات الفضلاء العقلاء.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۸۲]

السنة السابعة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة اثنتين و ثمانين و ثلثمائة.

فيها منع أبو الحسين علىّ بن محمد بن المعلّم الكوكبىّ صاحب أمر بغداد الرافضة من أهل الكرخ و باب الطاق من النّوح فى يوم عاشوراء و من تعليق المسوح؛ و كان ذلك يعمل من نحو ثلاثين سنة.

و فيها جلس الخليفة القادر بالتاج و حضر القضاة و الأشراف و الأعيان، و أحضر رسول صاحب المولتان، فذكر الرسول رغبة مرسله فى الإسلام و الدخول فيه برعيّته، و سأل أن ينفذ إليه الخليفة من يعلّمهم السنن و الفرائض و الشرائع و الحدود؛ فكتب على يده كتابا و وعد بكلّ جميل، و سرّ الناس بذلك غاية السرور.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۶۳

و فيها شغب الديلم و الترك و الجند على بهاء الدولة و طلبوا منه تسليم أبى الحسين ابن المعلّم، و كان ابن المعلّم قد استولى على بهاء الدولة و حكم عليه و قصّر فى حقّ الجند؛ فامتنع بهاء الدولة من تسليمه؛ ثم غلب و سلّمه لخاله شيرزيل، فسقاه السمّ مرّتين فلم يعمل فيه، فخنقه بحبل الستارة حتى مات و دفنه.

و فيها غلت الأسعار ببغداد، فبيع رطل الخبز بأربعين درهما، و الجوزة بدرهم.

و فيها حجّ بالناس محمد بن الحسن العلوىّ.

و فيها توفى أحمد بن علىّ بن عمر أبو الحسين الحريرىّ. ولد سنة اثنتين و ثلثمائة، و هو غير صاحب المقامات. أخرج له الخطيب حديثا من حديث أبى هريرة قال:

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ": يقول اللّه تعالى: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خانه خرجت من بينهما."

و مات أبو الحسين فى شهر رمضان.

و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد بن عبد الوهّاب أبو سعيد الرازىّ القرشىّ الصوفىّ نزيل نيسابور، كان كالرّيحانة بين الصوفيّة، سيّدا ثقة. الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو أحمد الحسن بن عبد اللّه بن سعيد العسكرىّ فى ذى الحجة. و أبو القاسم عبد اللّه بن أحمد بن محمد بن يعقوب النّسائىّ الشافعىّ راوى مسند الحسن بن سفيان عنه. و أبو سعيد عبد اللّه ابن محمد بن عبد الوهّاب الرازىّ و له أربع و تسعون سنة. و أبو عمر محمد بن العباس ابن حيّويه الخزّاز فى [شهر] ربيع الآخر عن سبع و ثمانين سنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۶۴

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۸۳]

السنة الثامنة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة ثلاث و ثمانين و ثلثمائة.

فيها تزوّج الخليفة القادر باللّه سكينة بنت بهاء الدولة على صداق مائة ألف دينار؛ فماتت قبل الدخول بها.

و فيها عظم الغلاء حتى بلغ ثمن كرّ القمح ببغداد ستة آلاف درهم و ستمائة درهم غياثىّ، و الكارة الدقيق مائتين و ستّين درهما.

و فيها ابتنى الوزير أبو نصر سابور بن أردشير دارا بالكرخ سمّاها "دار العلم "و وقفها على العلماء و نقل إليها كتبا كثيرة.

و فيها توفّى أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان الحافظ أبو بكر البزّاز، ولد فى شهر ربيع الأول سنة ثمان و تسعين و مائتين، و مات فى شوّال ببغداد.

و كان ثبتا ثقة صاحب أصول. قيل له: أسمعت من الباغندىّ شيئا؟ قال:

لا أعلم؛ ثمّ وجد سماعه منه، فلم يحدّث به تورّعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۶۵

و فيها توفّى جعفر بن عبد اللّه بن يعقوب أبو القاسم الرازىّ. روى عن محمد ابن هارون الرّويانىّ مسنده، و سمع عبد الرّحمن بن أبى حاتم و جماعة. قال أبو يعلى الخليل: موصوف بالعدالة و حسن الديانة، و هو آخر من روى عن الرّويانىّ.

و فيها توفّى عبد اللّه بن عطيّة بن عبد اللّه بن حبيب أبو محمد المقرئ الدمشقىّ المفسّر العدل إمام مسجد عطيّة داخل باب الجابية. كان يحفظ خمسين ألف بيت من شعر العرب فى الاستشهادات على معانى القرآن و اللغة. مات بدمشق فى شوال. و من شعره قوله:

[الكامل]

احذر مودّة ماذق مزج المرارة بالحلاوه

يحصى الذنوب عليك أيّام الصداقة للعداوه

و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد بن [القاسم بن] حزم أبو محمد الأندلسىّ القلعىّ من أهل قلعة أيّوب. رحل إلى مصر و الشام و العراق سنة خمسين و ثلثمائة، و سمع الكثير و عاد إلى الأندلس، و صنّف الكتب. و كانوا يشبّهونه بسفيان الثورىّ فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر. و مات فى شهر ربيع الآخر و له ثلاث و ستون سنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۶۶

و فيها توفّى محمد بن صالح بن محمد بن سعد أبو عبد اللّه الأندلسىّ الفقيه المالكىّ، سمع بمصر و الشام و الجزيرة و بغداد، ثم أقام ببخارى حتّى مات بها فى شهر رجب.

و كان فاضلا أديبا ثقة. و من شعره:

[الكامل]

ودّعت قلبى ساعة التوديع و أطعت قلبى و هو غير مطيعى

إن لم أشيّعهم فقد شيّعتهم بمشيّعين: حشاشىّ و دموعى

و فيها توفّى نصر بن محمد بن أحمد بن يعقوب أبو الفضل الطوسىّ العطّار الصوفىّ الحافظ، أحد أركان الحديث بخراسان مع الدّين و الزّهد و السخاء و العفّة.

و قد سافر إلى العراق و مصر و الشام و الحجاز، و جمع من الحديث ما لم يجمعه أحد، و صنّف الكتب. و مات و هو ابن ثلاث و سبعين سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ثمانى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إحدى و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۸۴]

السنة التاسعة عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر و هى سنة أربع و ثمانين و ثلثمائة.

فيها تزوّج مهذّب الدولة علىّ بن نصر ببنت بهاء الدولة بن بويه، و عقد أيضا للأمير أبى منصور بن بهاء الدولة على بنت مهذّب الدولة، كلّ صداق مائة ألف دينار.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۶۷

و فيها سار صمصام الدولة بن عضد الدولة من شيراز يريد الأهواز، فخرج بهاء الدولة من بغداد و نزل واسطا، و أرسل جيشا لقتال صمصام الدولة بن بويه، فالتقوا مع صمصام الدولة و انتصروا عليه.

و فيها عزل الشريف أبو أحمد الموسوىّ عن نقابة الطالبيّين، و صرف ولداه الرضى و المرتضى عن النيابة عنه، و تولّى عوضه الشريف الزينبىّ.

و فيها رجع الحاجّ إلى بغداد، و لم يحجّ أحد من العراق خوفا من القرامطة.

و فيها توفّى إبراهيم بن هلال أبو إسحاق الصابئ صاحب الرسائل؛ كان فاضلا شاعرا، نكب غير مرّة بسبب رسائله. و مولده فى شهر رمضان سنة ثلاث عشرة و ثلثمائة، و مات فى هذه السنة، و دفن بالشّونيزيّة. و رثاه الشريف الرضى الموسوىّ بقصيدته الدالية التى أوّلها: [الكامل]

أ رأيت من حملوا على الأعواد أ رأيت كيف خبا ضياء النادى

و عاتبه الناس فى ذلك لكونه شريفا و رثى صابئا؛ فقال: إنما رثيت فضله.

قال ابن خلكان: و جهد فيه عزّ الدولة أن يسلم فلم يفعل. و كان يصوم شهر رمضان مع المسلمين و يحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ.

و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد بن نافع بن مكرم أبو العباس البستىّ الزاهد، كان ورث من آبائه أموالا عظيمة أنفقها على الفقهاء و الفقراء، أقام سبعين سنة لا يستند إلى جدار و لا إلى غيره، و مات فى المحرّم.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۶۸

و فیها توفّی علیّ بن عیسی بن علیّ الإمام أبو الحسن الرّمّانیّ النحویّ. مولده سنة ستّ و تسعین و مائتین، و برع فی علم النحو و اللغة و الأصول و التفسیر و غیرها.

و له کتاب "التفسیر الکبیر، "و هو کثیر الفوائد إلا أنه صرّح فیه بالاعتزال؛ و سلک الزمخشریّ سبیله و زاد علیه. مات ببغداد و دفن بالشّونیزیّة.

و فیها توفّی محمد بن العبّاس بن أحمد بن محمد الحافظ أبو الحسن بن الفرات، ولد سنة تسع عشرة و ثلثمائة، و کتب الکثیر، و جمع ما لم یجمعه أحد من أقرانه؛ و کان عنده عن علیّ بن محمد المصریّ وحده ألف جزء، و کتب مائة تفسیر و مائة تاریخ، و خلّف ثمانیة عشر صندوقا مملوءة کتبا غیر ما سرق منه، و أکثرها بخطّه.

و کانت له جاریة تعارض معه بما یکتبه. و مات ببغداد فی شوّال، و کان مأمونا ثقة. انتهی کلام صاحب مرآة الزمان.

و فیها توفّی محمد بن عمران بن موسی بن عبید اللّه أبو عبد اللّه الکاتب المرزبانی، کان صاحب أخبار و روایات للآداب، و صنّف کتبا فی فنون العلوم. و کان أبو علیّ الفارسیّ یقول عنه: هو من محاسن الدنیا.

و فیها توفّی المحسّن بن علیّ بن محمد بن أبی الفهم القاضی أبو علیّ التّنوخیّ مصنّف کتاب "الفرج بعد الشدّة. "مولده سنة سبع و عشرین و ثلثمائة بالبصرة.

و کان أدیبا شاعرا. تقلّد القضاء بسرّمن‌رأی، و مات ببغداد فی المحرّم.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۶۹

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربع أذرع و اثنتان و عشرون إصبعا. مبلغ الزیادة ستّ عشرة ذراعا و سبع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۸۵]

السنة العشرون من ولایة العزیز نزار علی مصر و هی سنة خمس و ثمانین و ثلثمائة.

فیها تحرّکت القرامطة علی البصرة، فجهّز بهاء الدولة إلیهم جیشا فرجعوا عنها.

و فیها زلزلت الدنیا زلزلة عظیمة، مات فیها تحت الهدم خلق کثیر.

و فیها أمر صمصام الدولة بقتل من کان بفارس من الأتراک، کلّ ذلک و لم ینتج أمر صمصام الدولة.

و فیها توفّی طغان صاحب بهاء الدولة الذی کان ندبه لقتال صمصام الدولة بشیراز.

و فیها حجّ بالناس أحمد بن محمد بن عبد اللّه العلویّ من العراق، و بعث بدر بن حسنویه الکردیّ خمسة آلاف دینار إلی الأصفر الأعرابیّ الذی کان یقطع الطریق علی الحاجّ عوضا عما کان یأخذه من الحاجّ، و جعل ذلک رسما علیه فی کل سنة من ماله، رحمه اللّه.

و فیها توفّی الوزیر الصاحب إسماعیل بن عبّاد بن العباس أبو القاسم وزیر مؤیّد الدولة بن رکن الدولة الحسن بن بویه، ثمّ وزر لأخیه فخر الدولة. کان أصله

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۷۰

من الطالقان، و کان نادرة زمانه و أعجوبة عصره فی الفضائل و المکارم. أخذ الأدب عن الوزیر أبی الفضل بن العمید وزیر رکن الدولة بن بویه، و سمع الحدیث من أبیه و من غیر واحد، و حدّث بالیسیر. و هو أوّل وزیر سمّی بالصاحب لأنه صحب مؤید الدولة من الصّبا فسمّاه الصاحب، فغلب علیه، ثمّ سمّی به کلّ من ولی الوزارة حتی حرافیش زماننا حملة اللحم و أخذة المکوس! و قیل: إنه کان

يصحب ابن العميد فقيل له صاحب ابن العميد، ثم خفّف فقيل الصاحب. و لمّا ولى الوزارة قال فيه أبو سعيد الرّستمىّ:

[الكامل]

ورث الوزارة كابرا عن كابر موصولة الإسناد بالإسناد

يروى عن العباس عبّاد وزا رته و إسماعيل عن عبّاد

و لمّا مات مؤيّد الدولة تولّى السلطنة أخوه فخر الدولة، فأقرّ الصاحب هذا على وزارته؛ فعظم أمره أكثر ما كان؛ و بقى فى الوزارة ثمانية عشر عاما، و فتح خمسين قلعة و سلّمها إلى فخر الدولة. و كان عالما بفنون كثيرة. و أما الشعر فإليه المنتهى فيه. و من شعره:

[الكامل]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۷۱

رقّ الزّجاج و راقت الخمر و تشابها فتشا كل الأمر

فكأنما خمر و لا قدح و كأنّما قدح و لا خمر

و له القصيدة التى أوّلها:

[الوافر]

تبسّم إذ تبسّم عن أقاحى و أسفر حين أسفر عن صباح

و قيل: إنّ القاضى العميرىّ أرسل الى الصاحب كتبا كثيرة، و كتب معها يقول:

[الخفيف]

العميرىّ عبد كافى الكفاة و إن اعتدّ فى وجوه القضاة

خدم المجلس الرفيع بكتب مفعمات من حسنها مترعات

فأخذ منها الصاحب بن عبّاد كتابا واحدا، و كتب معها:

قد قبلنا من الجميع كتابا ورددنا لوقتها الباقيات

لست أستغنم الكثير فطبعى قول «خذ» ليس مذهبى قول «هات»

و مات الصاحب بالرّىّ عشيّة ليلة الخميس خامس عشرين صفر، و أغلقت له مدينة الرّىّ، و حضر مخدومه فخر الدولة و جميع أعيان مملكته، و قد غيّروا لباسهم.

فلمّا خرج نعشه صاح الناس صيحة واحدة، و قبّلوا الأرض لنعشه، و مشى فخر الدولة أمام نعشه، و قعد للعزاء أيّاما، و رثاه الشعراء بعدّة قصائد.

قلت: و أخبار ابن عبّاد كثيرة، و قد استوعبنا أمره فى كتاب «الوزراء».

و ليس هذا محلّ الإطناب فى التراجم سوى تراجم ملوك مصر التى بسببها صنّف هذا الكتاب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۷۲

و فيها توفّى علىّ بن عمر بن أحمد بن مهدىّ بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد اللّه أبو الحسن البغدادىّ الدّارقطنىّ، الحافظ المشهور صاحب التصانيف.

سمع من أبى القاسم البغوىّ و خلق كثير ببغداد و الكوفة و البصرة و واسط، و رحل فى كهولته الى الشام و مصر، فسمع القاضى أبا الطاهر الذّهلىّ و طبقته؛ و روى عنه أبو حامد الإسفراينى و أبو عبد اللّه الحاكم و عبد الغنى بن سعيد المصرىّ و خلق سواهم قال الخطيب أبو بكر: كان الدارقطنىّ فريد عصره، و وحيد دهره، و نسيج وحده، و إمام وقته؛ انتهى إليه علم الأثر و المعرفة بعلل الحديث و أسماء الرجال [و أحوال الرواة]، مع الصّدق و الثقة، و صحة الاعتقاد. و كانت وفاته فى ثامن ذى القعدة.

و فيها توفّى عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن أيوب بن أزداد الشيخ أبو حفص بن شاهين الحافظ الواعظ محدّث بغداد و مفيدها، سمع الكثير و حدّث؛ و مولده سنة سبع و تسعين و مائتين. قال ابن ماكولا: كان ثقة مأمونا، سمع بالشام و العراق و البصرة و فارس، و جمع الأبواب و التراجم، و صنّف كثيرا.

و فيها توفى أبو الحسن عبّاد بن العباس والد الصاحب بن عبّاد المقدّم ذكره، مات بعد ابنه بمدّة يسيرة. و كان فاضلا جليلا، سمع الحديث، و صنّف كتاب "أحكام القرآن. "و قد تقدّم أن أصلهم من «الطّالقان» و هى قرية كبيرة بين قزوين و أبهر، و حولها عدّة قرى؛ و قيل: هو إقليم يقع عليه هذا الاسم. و بخراسان مدينة يقال لها «طالقان» غير هذه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۷۳

و فيها توفّى بشر بن هارون أبو نصر النصرانىّ الكاتب، كان شاعرا هجّاء خبيث اللسان كتب مرّة إلى إبراهيم الصابئ:

[السريع]

حضرت بالجسم و قد كنت بالن فس و إن لم ترنى حاضرا

أنطقنى بالشعر حبّى لكم و لم أكن من قبلها شاعرا

فكتب إليه الصابئ تحت خطّه: «و لا بعدها».

و فيها توفّى الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد أبو محمد الأديب الشاعر، كان فاضلا يتّجر و له مال كثير. و لمّا قدم المتنبّى بغداد خدمه؛ فقال له المتنبى: لو كنت مادحا تاجرا لمدحتك.

و فيها توفّى عقيل بن محمد أبو الحسن الأحنف العكبرىّ الأديب الشاعر.

و من شعره:

[الرمل]

من أراد الملك و الرا حة من همّ طويل

فليكن فردا من النا س و يرضى بالقليل

و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه بن سكّرة أبو الحسن الهاشمىّ البغدادىّ الشاعر المشهور، و يعرف بابن رابطة. هو من ولد علىّ بن المهدىّ من بنى العباس.

كان شاعرا ظريفا فصيحا؛ و شعره فى غاية الجودة و الرقّة. من ذلك قوله:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۷۴

[المنسرح]

فى وجه إنسانة كلفت بها أربعة ما اجتمعن فى أحد

الوجه بدر و الصّدغ غالية و الرّيق خمر و الثغر من برد

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و سبع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۸۶]

اشارة

السنة الحادية و العشرون من ولاية العزيز يزار على مصر- و فيها مات- و هى سنة ستّ و ثمانين و ثلثمائة.

فيها فى المحرّم ادّعى أهل البصرة أنهم كشفوا عن قبر عتيق فوجدوا فيه ميتا [طريّا] بثيابه و سيفه، و أنه الزّبير بن العوّام؛ فأخرجوه و كفّنوه و دفنوه بالمربد؛ و بنى عليه أبو المسك عنبر بناء و جعله مشهدا، و أوقف عليه أوقافا و نقل إليه القناديل و الآلات. قال الذهبىّ: فاللّه أعلم من ذلك الميّت.

و فيها توفّى أحمد بن علىّ بن أحمد أبو علىّ المدائنى، و يلقب بالهائم. روى عن السّرىّ الرفّاء ديوان شعره. و كان شاعرا ماهرا. و من شعره فى كوسج:

[المنسرج]

وجه اليمانىّ من تأمّله أبصر فيه الوجود و العدما

قد شاب عثنونه و شاربه و عارضاه لم يبلغا الحلما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۷۵

و فيها توفّى محمد بن علىّ بن عطيّة أبو طالب الحارثىّ، مصنّف كتاب "قوت القلوب. " كان من أهل الجبل و نشأ بمكة و تزهّد، و كان له لسان حلو فى الوعظ و التصوّف.

و فيها توفى محمد بن إبراهيم بن أحمد أبو بكر السّوسىّ شيخ الصوفيّة بدمشق، كان زاهدا عابدا، ما عقد على درهم و لا دينار، و لا اغتسل من حلال و لا حرام، حدّث عن أحمد بن عطاء الرّوذبارىّ و أقرانه، و لقى المشايخ.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو حامد أحمد بن عبد اللّه النّعيمىّ بهراة فى شهر ربيع الأوّل. و أبو أحمد عبد اللّه بن الحسين بن حسنون السّامرّىّ. و أبو أحمد عبيد اللّه بن يعقوب بن إسحاق الأصبهانى، روى عن جدّه مسند أحمد بن منيع. و أبو الحسن علىّ بن عمر الحربىّ السّكّرى فى شوّال و له تسعون سنة. و أبو عبد اللّه الختن شيخ الشافعيّة محمد بن الحسن الأسترآباذى.

و أبو طالب محمد بن علىّ بن عطيّة المكىّ صاحب "القوت "فى جمادى الآخرة.

و العزيز نزار بن المعزّ العبيدىّ فى رمضان عن ثلاث و أربعين سنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۷۶

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و خمس أصابع. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

ذكر ولاية الحاكم بأمر اللّه على مصر

هو أبو علىّ منصور الحاكم بأمر اللّه بن العزيز بالله نزار بن المعزّ بالله معدّ بن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بأمر اللّه محمد بن المهدىّ عبيد اللّه، العبيدىّ الفاطمىّ المغربىّ الأصل، المصرىّ المولد و الدار و المنشأ، الثالث من خلفاء مصر من بنى عبيد و السادس منهم ممن ولى من أجداده بالمغرب، و هم: المهدىّ و القائم و المنصور المقدّم ذكرهم.

مولده يوم الخميس لأربع ليال بقين من شهر ربيع الأوّل سنة خمس و سبعين و ثلثمائة بالقاهرة؛ و قيل: فى الثالث و العشرين منه. و ولّاه أبوه العزيز عهد الخلافة فى شعبان سنة ثلاث و ثمانين و ثلثمائة، و بويع بالخلافة يوم مات أبوه يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة ستّ و ثمانين و ثلثمائة؛ فولى الخلافة و له إحدى عشرة سنة و نصف، و قيل: عشر سنين و نصف و ستّة أيام، و قيل غير ذلك.

قال العلّامة أبو المظفّر بن قزأوغلى فى تاريخه: «و كانت خلافته متضادّة بين شجاعة و إقدام، و جبن و إحجام، و محبّة للعلم و انتقام من العلماء، و ميل الى الصلاح و قتل الصلحاء. و كان الغالب عليه السخاء؛ و ربّما بخل بما لم يبخل به أحد قطّ.

و أقام يلبس الصوف سبع سنين، و امتنع من دخول الحمام؛ و أقام سنين يجلس فى الشمع ليلا و نهارا، ثمّ عنّ له أن يجلس فى الظّلمة فجلس فيها مدّة. و قتل من العلماء و الكتّاب و الأماثل ما لا يحصى؛ و كتب على المساجد و الجوامع سبّ أبى بكر و عمر و عثمان و عائشة و طلحة و الزّبير و معاوية و عمرو بن العاص رضى اللّه عنهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۷۷

فى سنة خمس و تسعين و ثلثمائة، ثمّ محاه فى سنة سبع و تسعين؛ و أمر بقتل الكلاب و بيع الفقّاع، ثم نهى عنه؛ و رفع المكوس عن البلاد و عمّا يباع فيها؛ و نهى عن النجوم، و كان ينظر فيها؛ و نفى المنجّمين و كان يرصدها؛ و يخدم زحل و طالعه المرّيخ، و لهذا كان يسفك الدّماء. و بنى جامع القاهرة، و جامع راشدة على النيل بمصر، و مساجد كثيرة، و نقل إليها المصاحف المفضّضة و الستور الحرير و قناديل الذهب و الفضّة؛ و منع من صلاة التراويح عشر سنين، ثم أباحها؛ و قطع الكروم و منع من بيع العنب، و لم يبق فى ولايته كرما؛ و أراق خمسة آلاف جرّة من عسل فى البحر خوفا من أن تعمل نبيذا؛ و منع النساء من الخروج من بيوتهنّ ليلا و نهارا؛ و جعل لأهل الذمّة علامات يعرفون بها، و ألبس اليهود العمائم السّود، و أمر ألّا يركبوا مع المسلمين فى سفينة، و ألّا يستخدموا غلاما مسلما، و لا يركبوا حمار مسلم، و لا يدخلوا مع المسلمين حمّاما، و جعل لهم حمامات على حدة؛ و لم يبق فى ولايته ديرا و لا كنيسة إلّا هدمها؛ و نهى عن تقبيل الأرض بين يديه و الصلاة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۷۸

عليه فى الخطب و المكاتبات؛ و جعل مكان الصلاة عليه: السلام على أمير المؤمنين، ثمّ رجع عن ذلك؛ و أسلم خلق من أهل الذّمّة خوفا منه ثم ارتدّوا؛ و أعاد الكنائس إلى حالها». انتهى كلام أبى المظفر.

قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبىّ فى تاريخه: «كان جوادا سمحا، خبيثا ماكرا، ردىء الاعتقاد، سفّاكا للدّماء؛ قتل عددا كبيرا من كبراء دولته صبرا؛ و كان عجيب السيرة، يخترع كلّ وقت أمورا و أحكاما يحمل الرعيّة عليها؛ فأمر بكتب سبّ الصحابة على أبواب المساجد و الشوارع، و أمر العمّال بالسبّ فى الأقطار فى سنة خمس و تسعين و ثلثمائة، و أمر بقتل الكلاب فى مملكته و بطّل الفقّاع و الملوخيّا؛ و نهى عن السمك، و ظفر بمن باع ذلك فقتلهم؛ و نهى فى سنة اثنتين و أربعمائة عن بيع الرطب ثمّ جمع منه شيئا عظيما فأحرق الكلّ؛ و منع من بيع العنب و أباد كثيرا من الكروم؛ و أمر النصارى بأن تعمل فى أعناقهم الصّلبان، و أن يكون طول الصليب ذراعا و زنته خمسة أرطال بالمصرىّ؛ و أمر اليهود أن يحملوا فى أعناقهم قرامى الخشب فى زنة الصلبان أيضا، و أن يلبسوا العمائم السّود، و لا يكتروا من مسلم بهيمة، و أن يدخلوا الحمّام بالصّلبان، ثمّ أفرد لهم حمّامات. و فى العام أمر بهدم الكنيسة المعروفة بالقمامة. و لّما أرسل إليه ابن باديس ينكر عليه أفعاله، أراد استمالته فأظهر التفقه و حمل فى كمّه الدفاتر و طلب إليه فقيهين و أمر هما بتدريس مذهب مالك فى الجامع؛ ثمّ بدا له فقتلهما صبرا؛ و أذن للنصارى الذين أكرههم إلى الإسلام فى الرجوع إلى الشّرك. و فى سنة أربع و أربعمائة منع النساء من الخروج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۷۹

فى الطريق، و منع من عمل الخفاف لهنّ؛ فلم يزلن ممنوعات سبع سنين و سبعة أشهر حتّى مات. ثمّ إنّه بعد مدّة أمر ببناء ما كان أمر بهدمه من الكنائس. و كان أبوه العزيز قد ابتدأ ببناء جامعه الكبير بالقاهرة (يعنى الذى هو داخل باب النصر) فتممّه هو. و كان على بنائه و نظره الحافظ عبد الغنى بن سعيد. و كان الحاكم يفعل الشىء ثمّ ينقضه. و خرج عليه أبو ركوة الوليد بن هشام العثمانىّ الأموىّ الأندلسىّ بنواحى برقة فمال إليه خلق عظيم؛ فجهّز الحاكم لحربه جيشا فانتصر عليهم أبو ركوة و ملك؛ ثمّ تكاثروا عليه و أسروه؛ و يقال: إنه قتل من أصحابه مقدار سبعين ألفا.

و حمل أبو ركوة إلى الحاكم فذبحه فى سنة سبع و تسعين». انتهى كلام الذهبىّ باختصار.

قلت: و نذكر واقعته مع عسكر الحاكم و كيف ظفر به الحاكم و قتله مفصّلا فى سنة سبع و تسعين المذكورة فى الحوادث بأوسع من

هذا، إن شاء اللّه تعالى؛ لأن قصّته غريبة فتنظر هناك.

و قال ابن خلّكان: «و كان أبو الحسن علىّ المعروف بابن يونس المنجّم قد صنع له "الزّيج "المعروف بالحاكمىّ و هو زيج كبير مبسوط. قال: نقلت من خطّ الحافظ أبى طاهر أحمد بن محمد السّلفىّ رحمه اللّه تعالى أن الحاكم المذكور كان جالسا فى مجلسه العام و هو حفل بأعيان دولته، فقرأ بعض الحاضرين:

(فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)، و القارئ فى أثناء ذلك كلّه يشير إلى الحاكم. فلمّا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۸۰

فرغ من القراءة قرأ شخص يعرف بابن المشجّر (و المشجّر بضم الميم و فتح الشين المعجمة و الجيم المشدّدة و بعدها راء مهملة) و كان ابن المشجّر رجلا صالحا فقرأ:

(يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ). فلمّا انتهت قراءته تغيّر وجه الحاكم، ثمّ أمر لابن المشجّر المذكور بمائة دينار، و لم يطلق للآخر شيئا. ثمّ إنّ بعض أصحاب ابن المشجّر، قال له: أنت تعرف خلق الحاكم و كثرة استحالاته و ما تأمن أن يحقد عليك [و أنّه لا يؤاخذك فى هذا الوقت] ثم يؤاخذك بعدها فالمصلحة عندى أن تغيب عنه. فتجهّز ابن المشجّر إلى الحجّ و ركب فى البحر و غرق. فرآه صاحبه فى النوم [فسأله عن حاله] فقال: ما قصّر الرّبان معنا، أرسى بنا على باب الجنّة». انتهى كلام ابن خلّكان رحمه اللّه.

و قال ابن الصابئ: «كان الحاكم يواصل الركوب ليلا و نهارا، و يتصدّى له الناس على طبقاتهم، فيقف عليهم و يسمع منهم، فمن أراد قضاء حاجته قضاها فى وقته، و من منعه سقطت المراجعة فى أمره. و كان المصريّون موتورين منه؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۸۱

فكانوا يدسّون إليه الرّقاع المختومة بالدعاء عليه و السبّ له و لأسلافه، و الوقوع فيه و فى حرمه، حتى انتهى فعلهم الى أن عملوا تمثال امرأة من قراطيس بخفّ و إزار، و نصبوها فى بعض الطّرق و تركوا فى يدها رقعة كأنها ظلامة؛ فتقدّم الحاكم و أخذها من يدها. فلمّا فتحها رأى فى أوّلها ما استعظمه، فقال: انظروا هذه المرأة من هى؟ فقيل له: إنها معمولة من قراطيس؛ فعلم أنهم قد سخروا منه، و كان فى الرقعة كلّ قبيح. فعاد من وقته إلى القاهرة، و نزل فى قصره و استدعى القوّاد و العرفاء، و أمرهم بالمسير إلى مصر و ضربها بالنار و نهبها، و قتل من ظفروا به من أهلها؛ فتوجّه إليها العبيد و الروم و المغاربة و جميع العساكر. و علم أهل مصر بذلك فاجتمعوا و قاتلوا عن نفوسهم، و أوقعوا النار فى أطراف البلد؛ فاستمرّت الحرب بين العبيد و العامّة و الرعيّة ثلاثة أيّام، و الحاكم يركب فى كلّ يوم إلى القرافة، و يطلع إلى الجبل و يشاهد النار و يسمع الصّياح و يسأل عن ذلك، فيقال له: العبيد يحرقون مصر و ينهبونها، فيظهر التوجّع، و يقول: لعنهم اللّه! من أمرهم بهذا. فلمّا كان اليوم الرابع اجتمع الأشراف [و الشيوخ] إلى الجوامع و رفعوا المصاحف و ضجّوا بالبكاء و ابتهلوا إلى اللّه تعالى بالدعاء، فرحمهم الأتراك ورّقوا لهم و انحازوا اليهم و قاتلوا معهم، و كان أكثرهم مخالطا لهم و مداخلا و مصاهرا، و انفرد العبيد و صار القتال معهم؛ و عظمت القضّة و زادت الفتنة، و استظهرت كتامة و الأتراك عليهم، و راسلوا الحاكم، و قالوا: نحن عبيد و مماليك، و هذا البلد بلدك و فيه حرمنا و أموالنا و أولادنا و عقارنا، و ما علمنا أنّ أهله جنوا جناية تقتضى سوء المقابلة، و تدعو إلى مثل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۸۲

هذه المعاملة. فإن كان هناك باطن لا نعرفه فأخبرنا به، و انتظرنا حتّى نخرج بعيالنا و أموالنا منه. و إن كان ما عليه هؤلاء العبيد مخالفا لرأيك فأطلقنا فى معاملتهم بما يعامل به المفسدون و المخالفون. فأجابهم بأنه ما أراد ذلك، و لعن الفاعل له و الآمر به، و قال: أنتم

على الصواب فى الذبّ عن المصريّين، و قد أذنت لكم فى نصرتهم، و الإيقاع بمن تعرّض لهم. و أرسل إلى العبيد سرّا يقول: كونوا على أمركم؛ و حمل إليهم سلاحا قوّاهم به. و كان غرضه فى هذا أن يطرح بعضهم على بعض، و ينتقم من فريق بفريق. و علم القوم بما يفعل، فراسلته كتامة و الأتراك:

قد عرفنا غرضك، و هذا هلاك هذه البلدة و أهلها و هلا كنا معهم؛ و ما يجوز أن نسلّم نفوسنا و المسلمين لفتك الحريم و ذهاب المهج. و لئن لم تكفّهم لنحرقنّ القاهرة، و نستنفرنّ العرب و غيرهم؟ فلمّا سمع الرسالة. و كانوا قد استظهروا على العبيد.

ركب حماره و وقف بين الصّفّين و أوما للعبيد بالانصراف فانصرفوا، و استدعى كتامة و الأتراك و وجوه المصريّين و اعتذر إليهم، و حلف أنه برىء مما فعله العبيد؛ و كذب فى يمينه؛ فقبّلوا الأرض بين يديه و شكروه، و سألوه الأمان لأهل مصر، فكتب لهم، و قرئ الأمان على المنابر، و سكنت الفتنة و فتح الناس أسواقهم و راجعوا معايشهم. و احترق من مصر مقدار ثلثها، و نهب نصفها. و تتبع المصريّون من أخذ أزواجهم و بناتهم و أخواتهم، و ابتاعوهنّ من العبيد بعد أن فضحوهنّ، و قتل بعضهنّ نفوسهنّ خوفا من العار. و استغاث قوم من العلويّين الأشراف إلى الحاكم، و ذكروا أنّ بعض بناتهم فى أيدى العبيد على أسوأ حال، و سألوه أن يستخلصهنّ؛ فقال الحاكم: [انظروا] ما يطالبونكم به عنهنّ لأطلقه لكم؛

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۸۳

فقال له بعضهم: أراك اللّه فى أهلك و ولدك مثل ما رأينا فى أهلنا و أولادنا، فقد اطّرحت الدّيانة و المروءة بأن رضيت لبنات عمّك بمثل هذه الفضيحة، و لم يلحقك منهنّ امتعاض و لا غيرة. فحلم عنه الحاكم و قال له: أنت أيها الشريف محرج و نحن حقيقون باحتمالك و إلا غضبنا عليك و زاد الأمر على الناس فيما يفجؤهم به حالا بعد حال من كلّ ما تنخرق به العادات و تفسد الطاعات.

ثم عنّ له أن يدّعى الرّبوبيّة، و قرّب رجلا يعرف بالأخرم ساعده على ذلك؛ و ضمّ إليه طائفة بسطهم للأفعال الخارجة عن الدّيانة. فلمّا كان فى بعض الأيام خرج الأخرم من القاهرة راكبا فى خمسين رجلا من أصحابه، و قصد مصر و دخل الجامع راكبا دابّته، و معه أصحابه على دوابّهم و قاضى القضاة ابن [أبى] العوّام جالس فيه ينظر فى الحكم، فنهبوا الناس و سلبوهم ثيابهم و سلّموا للقاضى رقعة فيها فتوى، و قد صدّرت باسم الحاكم الرّحمن الرّحيم. فلمّا قرأها القاضى رفع صوته منكرا، و استرجع و ثار الناس بالأخرم و قتلوا أصحابه و هرب هو. و شاع الحديث فى دعواه الرّبوبيّة، و تقرّب إليه جماعة من الجهّال، فكانوا إذا لقوه قالوا: السلام عليك يا واحد يا أحد يا محيى يا مميت، و صارت له دعاة يدعون أوباش الناس، و من سخف عقله إلى اعتقاد ذلك، فمال إليه خلق [كثير] طمعا فى الدنيا و التقرّب اليه. و كان اليهودىّ و النّصرانىّ إذا لقيه يقول: إلهى قد رغبت فى شريعتى الأولى، فيقول الحاكم: افعل ما بدا لك، فيرتدّ عن الإسلام. و زاد هذا الأمر بالناس.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۸۴

و قال الشيخ شمس الدين فى تاريخه مرآة الزمان: «رأيت فى بعض التواريخ بمصر أنّ رجلا يعرف بالدّرزىّ قدم مصر، و كان من الباطنيّة القائلين بالتناسخ؛ فاجتمع بالحاكم و ساعده على ادّعاء الربوبيّة و صنّف له كتابا ذكر فيه أنّ روح آدم عليه السلام انتقلت إلى علىّ بن أبى طالب، و أن روح علىّ انتقلت الى أبى الحاكم، ثمّ انتقلت إلى الحاكم. فنفق على الحاكم و قرّبه و فوّض الأمور إليه، و بلغ منه أعلى المراتب، بحيث إنّ الوزراء و القوّاد و العلماء كانوا يقفون على بابه و لا ينقضى لهم شغل إلّا على يده. و كان قصد الحاكم الانقياد الى الدرزى المذكور فيطيعونه.

فأظهر الدّرزىّ الكتاب الذى فعله و قرأه بجامع القاهرة؛ فثار الناس عليه و قصدوا قتله، فهرب منهم؛ و أنكر الحاكم أمره خوفا من الرعيّة، و بعث إليه فى السرّ مالا، و قال: اخرج إلى الشام و انشر الدعوة فى الجبال، فإنّ أهلها سريعو الانقياد.

فخرج الى الشام، و نزل بوادى تيم اللّه بن ثعلبة، غربىّ دمشق من أعمال بانياس، فقرأ الكتاب على أهله، و استمالهم إلى الحاكم و

أعطاهم المال، و قرّر فى نفوسهم الدّرزىّ التناسخ، و أباح لهم شرب الخمر و الزناء و أخذ مال من خالفهم فى عقائدهم و إباحة دمه؛ و أقام عندهم يبيح [لهم] المحظورات إلى أن انتهى».

و قال الذهبىّ: «و كان يحبّ العزلة- يعنى الحاكم- و يركب على بهيمة وحده فى الأسواق، و يقيم الحسبة بنفسه، و كان خبيث الاعتقاد، مضطرب العقل.

يقال: إنّه أراد أن يدّعى الإلهية و شرع فى ذلك؛ فكلّمه أعيان دولته و خوّفوه،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۸۵

بخروج الناس كلّهم عليه فانتهى. [و اتّفق أنّه خرج ليلة فى شوّال سنة إحدى عشرة] من القصر إلى ظاهر القاهرة، فطاف ليلته كلّها، ثم أصبح فتوجّه إلى شرقىّ حلوان و معه ركابيّان، فردّ أحدهما مع تسعة من العرب السّويديين، ثم أمر الآخر بالانصراف. فذكر أنه فارقه عند قبر الفقاعىّ، فكان آخر العهد به (يعنى الحاكم)» انتهى كلام الذهبىّ.

و نذكر أمر موته بأطول من هذا من طرق عديدة.

قال ابن الصابئ و غيره: «إنّ الحاكم لمّا بدت عنه هذه الأمور الشنيعة استوحش الناس منه. و كان له أخت يقال لها ستّ الملك، من أعقل النساء و أحزمهنّ، فكانت تنهاه و تقول: يا أخى، احذر أن يكون خراب هذا البيت على يديك.

فكان يسمعها غليظ الكلام و يتهدّدها بالقتل. و بعث إليها يقول: رفع إلىّ أصحاب الأخبار أنّك تدخلين الرجال إليك و تمكّنينهم من نفسك، و عمل على إنفاذ القوابل لاستبرائها، فعلمت أنّها هالكة معه. و كان بمصر سيف الدولة بن دوّاس من شيوخ كتامة، و كان شديد الحذر من الحاكم، و ممتنعا من دخول قصره و لقائه إلّا فى المواكب على ظهر فرسه، و استدعاه الحاكم مرّة إلى قصره فامتنع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۸۶

فلمّا كان يوم الموكب عاتبه الحاكم على تأخّره، فقال له سيف الدولة المذكور: قد خدمت أباك ولى عليكم حقوق كثيرة يجب لمثلها المراعاة، و قد قام فى نفسى أنّك قاتلى، فأنا مجتهد فى دفعك بغاية جهدى، و ليس لك حاجة إلى حضورى فى قصرك، فإن كان باطن رأيك فى مثل ظاهره فدعنى على حالى، فإنّه لا ضرر عليك فى تأخّرى عن حضور قصرك. و إن كنت تريد بى سوءا فلأن تقتلنى فى دارى بين أهلى و ولدى يكفّنوننى و يتولّوننى أحبّ إلىّ من أن تقتلنى فى قصرك و تطرحنى تأكل الكلاب لحمى؛ فضحك الحاكم و أمسك عنه. و راسلت ستّ الملك أخت الحاكم ابن دوّاس هذا مع بعض خدمها و خوّاصها، و هى تقول له: لى إليك أمر لا بدّ لى فيه من الاجتماع بك؛ فإمّا تنكّرت و جئتنى ليلا، أو فعلت أنا ذلك. فقال: أنا عبدك و الأمر لك. فتوجّهت إليه ليلا فى داره متنكرة؛ و لم تصحب معها أحدا.

فلمّا دخلت عليه قام و قبّل الأرض بين يديها دفعات و وقف فى الخدمة، فأمرته بالجلوس، و أخلى المكان. فقالت: يا سيف الدولة. قد جئت فى أمر أحرس به نفسى و نفسك و المسلمين، و لك فيه الحظّ الأوفر، و أريد مساعدتك فيه؛ فقال:

أنا عبدك. فاستحلفته و استوثقت منه، و قالت له: أنت تعلم ما يقصده أخى فيك، و أنّه متى تمكّن منك لم يبق عليك، و كذا أنا، و نحن على خطر عظيم. و قد انضاف [إلى] ذلك [تظاهره] بادّعائه الإلهية و هتكه ناموس الشريعة و ناموس آبائه؛ و قد زاد جنونه. و أنا خائفة أن يثور المسلمون عليه فيقتلوه و يقتلونا معه، و تنقضى هذه الدولة أقبح انقضاء. فقال سيف الدولة: صدقت يا مولاتنا، فما الرأى؟

قالت: قتله و نستريح منه، فإذا تمّ لنا ذلك أقمنا ولده موضعه و بذلنا الأموال؛ و كنت أنت صاحب جيشه و مدبّره، و شيخ الدولة و القائم بأمره؛ و أنا امرأة من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۸۷

وراء حجاب، و ليس غرضى إلّا السلامة منه، و أنى أعيش بينكم آمنة من الفضيحة.

ثم أقطعته إقطاعات كثيرة، و وعدته بالأموال و الخلع و المراكب [السنية]. فقال لها عند ذلك: مرى بأمرك؛ قالت: أريد عبدين من عبيدك تثق بهما فى سرّك، و تعتمد عليهما فى مهمّاتك. فأحضر عبدين و وصفهما بالشهامة؛ فاستحلفتهما و وهبتهما ألف دينار، و وقّعت لهما بثياب و إقطاعات و خيل و غير ذلك، و قالت لهما: أريد منكما أن تصعدا غدا إلى الجبل، فإنّها نوبة الحاكم فى الركوب، و هو ينفرد و لا يبقى معه غير القرافىّ الرّكابىّ، و ربّما ردّه، و يدخل الشّعب و ينفرد بنفسه؛ فاخرجا عليه فاقتلاه و اقتلا القرافىّ و الصبىّ إن كانا معه؛ و أعطتهما سكّينين من عمل المغاربة تسمى [الواحدة منهما ":]يافورت "و لهما رأس كرأس المبضع الذى يفصد به الحجّام، و رجعت إلى القصر و قد أحكمت الأمر و أتقنته. و كان الحاكم [ينظر فى النجوم فنظر مولده و كان] قد حكم عليه بالقطع فى هذا الوقت، فإن تجاوزه عاش نيّفا و ثمانين سنة. و كان الحاكم لا يترك الركوب بالليل و طوف القاهرة. فلما كان تلك الليلة قال لوالدته: علىّ فى هذه الليلة و فى غد قطع عظيم، و الدليل عليه علامة تظهر فى السماء طلوع نجم سمّاه، و كأنى بك و قد انتهكت و هلكت مع أختى، فإنّى ما أخاف عليك أضرّ منها. فتسلّمى هذا المفتاح فهو لهذه الخزانة، و فيها صناديق تشتمل على ثلثمائة ألف دينار، خذيها و حوّليها إلى قصرك تكون ذخيرة لك. فقبّلت الأرض و قالت: إذا كنت تتصور هذا فارحمنى و اقض حقّى ودع ركوبك الليلة، و كان يحبّها، فقال: أفعل، و لم يزل يتشاغل حتّى مضى صدر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۸۸

من الليل، و كان له قوم ينتظرونه كلّ ليلة على باب القصر، فإذا ركب ركبوا معه و يتبعه أبو عروس صاحب العسس. و من رسمه أن يطوف كلّ ليلة حول القصر فى ألف رجل بالطبول الخفاف و البوقات البحرية. فإذا خرج الحاكم من باب القاهرة قال له: ارجع و أغلق الأبواب؛ فلا يفتحها حتّى يعود. و ضجر الحاكم من تأخّره عن الركوب فى تلك الليلة، و نازعته نفسه إليه؛ فسألته أمّه و قالت: نم ساعة، فنام ثمّ انتبه و قد بقى من الليل ثلثه، و هو ينفخ و يقول:

إن لم أركب الليلة و أتفرّج و إلّا خرجت روحى. ثمّ قام فركب حماره، و أخته تراعى ما يكون من أمره، و كان قصرها مقابل قصره، فإذا ركب علمت. و لمّا ركب سار فى درب يقال له درب السباع، و ردّ صاحب العسس و نسيما الخادم صاحب السّتر و السيف، و خرج إلى القرافة و معه القرافىّ الرّكابىّ و الصبىّ. فحكى أبو عروس صاحب العسس أنه لما صعد الجبل وقف على تلّ كبير و نظر إلى النجوم و قال: إنّا للّه و إنّا إليه راجعون! و ضرب بيد على يد، و قال: ظهرت يا مشئوم! ثمّ سار فى الجبل، فعارضه عشرة فوارس من بنى قرّة، و قالوا: قد طال مقامنا على الباب، و بنا من الفاقة و الحاجة ما نسأل معه حسن النظر و الإحسان؛ فأمر الحاكم القرافىّ أن يحملهم إلى صاحب بيت المال و يأمره أن يعطيهم عشرة آلاف درهم؛ فقالوا له: لعلّ مولانا ينكر تعرّضنا له فى هذا المكان فيأمر بنا بمكروه، و نحن نريد الأمان قبل الإحسان، فما وقفنا إلّا من الحاجة؛ فأعطاهم الأمان و ردّ القرافىّ معهم؛ و بقى هو و الصبىّ، فسار إلى الشّعب الذى جرت عادته بدخوله،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۸۹

و قد كمن العبدان الأسودان له، و قد قرب الصّباح، فوثبا عليه و طرحاه إلى الأرض، فصاح: ويلكما! ما تريدان؟ فقطعا يديه من رأس كتفيه، و شقّا جوفه و أخرجا ما فيه، ولفاه فى كساء، و قتلا الصبىّ، و حملا الحاكم إلى ابن دوّاس بعد أن عرقبا الحمار؛ فحمله ابن دوّاس مع العبدين إلى أخته ستّ الملك، فدفنته فى مجلسها و كتمت أمره، و أطلقت لابن دوّاس و العبدين مالا كثيرا و ثيابا. و أحضرت خطير الملك الوزير و عرّفته الحال، و استكتمته و استحلفته على الطاعة و الوفاء، و رسمت له بمكاتبة ولىّ العهد، و كان مقيما بدمشق نيابة عن الحاكم، بأن يحضر إلى الباب، فكتب إليه بذلك. و أنفذت علىّ بن داود أحد القوّاد إلى الفرما (و هى مدينة على ساحل البحر) فقالت له: إذا دخل ولىّ العهد فاقبض عليه، و احمله إلى تنيس، و قيل غير ذلك، كما سيأتى ذكره. ثمّ كتبت إلى عامل تنّيس عن الحاكم بإنفاذ ما عنده من المال، فأنفذه و هو ألف ألف دينار و ألف ألف درهم، خراج ثلاث سنين.

و جاء ولىّ العهد إلى الفرما، فقبض عليه و حمل إلى تنّيس. و فقد الناس الحاكم فى اليوم الثانى، و منع أبو عروس من فتح أبواب

القاهرة انتظارا للحاكم، على حسب ما أمره به. ثمّ خرج الناس فى اليوم الثالث إلى الصحراء و قصدوا الجبل فلم يقفوا له على أثر. و أرسل القوّاد إلى أخته و سألوها عنه؛ فقالت: ذكر لى أنّه يغيب سبعة أيام، و ما هنا إلّا الخير، فأنصرفوا على سكون و طمانينة. و لم تزل أخته فى هذه الأيّام ترتّب الأمور و تفرّق الأموال و تستحلف الجند؛ ثمّ بعثت إلى ابن دوّاس المذكور و أمرته أن يستحلف الناس لابن الحاكم كتامة و غيرها، ففعل ذلك. فلمّا كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۹۰

فى اليوم السابع ألبست أبا الحسن علىّ بن الحاكم أفخر الملابس و استدعت ابن دوّاس و قالت له: المعوّل فى قيام هذه الدولة عليك، و تدبيرها موكل إليك، و هذا الصبىّ ولدك، فابذل فى خدمته وسعك؛ فقبّل الأرض و وعدها بالطاعة. و وضعت التاج على رأس الصبىّ، و هو تاج عظيم فيه من الجواهر مالا يوجد فى خزانة خليفة، و هو تاج المعزّ جدّ أبيه، و أركبته مركبا من مراكب الخليفة، و خرج بين يديه الوزير و أرباب الدولة. فلمّا صار إلى باب القصر صاح خطير الملك الوزير: يا عبيد الدولة، مولاتنا السيدة تقول لكم هذا مولاكم فسلّموا عليه؛ فقبّلوا الأرض بأجمعهم، و ارتفعت الأصوات بالتكبير و التهليل، و لقّبوه الظاهر لإعزاز دين اللّه، و أقبل الناس أفواجا فبايعوه، و أطلق المال و فرح الناس و أقيم العزاء على الحاكم ثلاثة أيّام.

و قال القضاعىّ فى قتله و جها آخر، قال: «خرج الحاكم إلى الجبل المعروف بالمقطم ليلة الاثنين السابع و العشرين من شوّال هذه السنة (يعنى سنة إحدى عشرة و أربعمائة) فطاف ليلته كلّها، و أصبح عند قبر الفقّاعىّ، ثمّ توجه شرقىّ حلوان: موضع بالمقطم، و معه ركابيّان؛ فردّ أحدهما مع تسعة نفر من العرب، كانت لهم رسوم، و يقال لهم السّويديّون، إلى بيت المال و أمر لهم بجائزة، ثمّ عاد الرّكابىّ الآخر؛ و ذكر أنّه فارقه عند قبر الفقّاعىّ و القصبة، و أصبح الناس على و سمهم؛ فخرجوا و معهم الموكب و القضاة و الأشراف و القوّاد فأقاموا عند الجبل إلى آخر النهار، ثمّ رجعوا إلى القاهرة ثمّ عادوا؛ ففعلوا ذلك ثلاثة أيام. فلمّا كان يوم الخميس سلخ شوّال خرج مظفّر صاحب المظلّة و نسيم صاحب السّتر و [ابن]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۹۱

مسكين صاحب الرّمح و جماعة من الأولياء الكتاميّين و الأتراك و القضاة و العدول و أرباب الدولة، فبلغوا دير القصير (المكان المعروف بحلوان)، و أمعنوا فى الجبل؛ فبينما هم كذلك بصروا بالحمار الذى كان راكبه على قرن الجبل قد ضربت يداه بسيف فقطعتا، و عليه سرجه و لجامه، فتتّبعوا الأثر فإذا أثر راجل خلف أثر الحمار، و أثر راجل قدّامه فقصّوا [الأثر] حتّى أتوا إلى البركة التى شرقىّ حلوان؛ فنزلها بعض الرجالة فوجد فيها ثيابه، و هى سبع جباب مزرّرة لم تحلّ أزرارها، و فيها أثر السكاكين فتيقّنوا قتله. و كان عمره ستا و ثلاثين سنة و سبعة أشهر، و ولايته على مصر خمسا و عشرين سنة و شهرا واحدا.

قال ابن خلكان بعد ما ذكر قتلته بنحو ما ذكرناه هنا: «مع أنّ جماعة من الغالين فى حبّهم السّخيفى العقول يظنّون حياته، و أنه لا بدّ أن يظهر، و يحلفون بغيبة الحاكم، و تلك خيالات هذيانية». انتهى.

قال القضاعىّ بعد ما ساق سبب قتله بنحو ما ذكرناه إلى أن قال: «ثمّ أمرت ستّ الملك بخلع عظيمة و مال كثير و مراكب ذهب و فضة للأعيان، و أمرت ابن دوّاس أن يشاهدها فى الخزانة، و قالت له: غدا نخلع عليك، فقبّل ابن دوّاس الأرض و فرح و أصبح من الغد، فجلس عند الستر ينتظر الإذن حتّى يأمر و ينهى؛ و كان للحاكم مائة عبد يختصّون بركابه، و يحملون السيوف بين يديه، و يقتلون من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۹۲

يأمرهم بقتله، فبعثت بهم ستّ الملك إلى ابن دوّاس ليكونوا فى خدمته، فجاءوا فى هذا اليوم و وقفوا بين يديه، فقالت ستّ الملك لنسيم صاحب السّتر: اخرج قف بين يدى ابن دوّاس، و قل للعبيد: يا عبيد، مولاتنا تقول لكم هذا قاتل مولانا الحاكم فاقتلوه، فخرج نسيم فقال لهم ذلك فمالوا على ابن دوّاس بالسيوف فقطّعوه، و قتلوا العبدين اللذين قتلا الحاكم؛ و كلّ من اطلع على سرّها قتلته،

فقامت لها الهيبة فى قلوب الناس». انتهى كلام القضاعى.

و قال ابن الصابئ: لما قتلت ستّ الملك ابن دوّاس قتلت الوزير الخطير و من كانت تخاف منه ممّن عرف بأمرها.

و أمّا ما خلّفه الحاكم من المال فشىء كثير. قيل: إنّه ورد عليه أيّام خلافته رسول ملك الرّوم، فأمر الحاكم بزينة القصر. قالت السّيدة رشيدة عمّة الحاكم:

فأخرج أعدالا مكتوبا على بعضها: الحادى و الثلاثون و الثلاثمائة، و كان فى الأعدال الديباج المغرّز بالذهب، فأخرج ذلك و فرش الإيوان و علّق فى حيطانه حتّى صار الإيوان يتلألأ بالذّهب، و علّق فى صدره العسجدة، و هى درقة من ذهب مكلّلة بفاخر الجوهر يضىء لها ما حولها، إذا وقعت عليها الشمس لا تطبق العيون النظر إليها. و أيضا ممّا يدلّ على كثرة ماله ما خلّفته ابنته ستّ مصر بعد موتها، فخلّفت شيئا كثيرا يطول الشرح فى ذكره، من ذلك ثمانية آلاف جارية- قاله المقريزى و غيره- و نيّف و ثمانون زيرا صينيّا مملوءة جميعا مسكا؛ و وجد لها جوهر نفيس، من جملته قطعة ياقوت زنتها عشرة مثاقيل. و كان إقطاعها فى السنة خمسين ألف دينار، و كانت مع ذلك كريمة سمحة، و الشىء بالشىء يذكر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۹۳

و ماتت فى أيّام الحاكم عمّته السيدة رشيدة بنت المعزّ؛ فخلّفت ما قيمته ألف ألف و سبعمائة ألف دينار؛ و من جملة ما وجد لها فى خزائن كسوتها ثلاثون ألف ثوب خزّ، و اثنا عشر ألفا من للثياب المصمتة ألوانا، و مائة قطرميز مملوءة كافورا، و كانت مع ذلك دينة تأكل من غزلها لا من مال السلطان. و ماتت أختها عبدة بنت المعزّ بعدها بثلاثة أيّام، و كانتا قد ولدتا برقّادة من عمل القيروان.

و تركت أيضا عبدة المذكورة مالا يحصى، من ذلك: أنّه ختم على موجودها بأربعين رطل شمع مصريّة؛ و من جملة ما وجد لها ألف و ثلثمائة [قطعة] مينا فضة، زنة كلّ مينا عشرة آلاف درهم، و أربعمائة سيف محلّى بذهب، و ثلاثون ألف شقّة صقليّة، و من الجوهر اردبّ زمرّد؛ و كانت لا تأكل عمرها إلّا الثريد. و قد خرجنا عن المقصود و نعود إلى ما يتعلق بالحاكم و أسبابه.

و أمّا وليّ العهد الذى كان بدمشق و كتبت بحضوره فاسمه الياس، و قيل:

عبد الرّحيم، و قيل: عبد الرّحمن بن أحمد؛ و كنيته أبو القاسم و يلقّب بالمهدىّ، ولّاه الحاكم العهد سنة أربع و أربعمائة. و قد قدّمنا من ذكره أنه كان وصل إلى تنّيس، و قبض عليه صاحب تنّيس، و بعث به إلى ستّ الملك، فحبسته فى دار و أقامت له الإقامات، و وكلت بخدمته خواصّ خدمها، و واصلته بالملاطفات و الافتقادات فلمّا مرضت و يئست من نفسها أحضرت الظاهر لإعزاز دين اللّه (أعنى ابن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۹۴

أخيها الحاكم) و قالت له: قد علمت ما عاملتك به، و أقلّه حراسة نفسك من أبيك، فإنّه لو تمكّن منك لقتلك، و ما تركت لك أحدا تخافه إلّا وليّ العهد؛ فبكى بين يديها هو و والدته؛ و سلّمت إليهما مفاتيح الخزائن، و أوصتهما بما أرادت.

و قالت لمعضاد الخادم: امض إلى وليّ العهد و تفقّد خدمته، فإذا دخلت عليه فانكبّ كأنّك تسائله بعد أن توافق الخدم على ضربه بالسكاكين؛ فمضى إليه معضاد فقتله و دفنه و عاد فأخبرها، فأقامت بعد ذلك ثلاثة أيام و ماتت. و تولّى أمر الدولة معضاد الخادم المذكور و رجل آخر علوىّ من أهل قزوين و آخرون.

و ذكر القضاعىّ فى قصّة وليّ العهد شيئا غير ذلك، قال: إن ستّ الملك لمّا كتبت إلى دمشق بحمل وليّ العهد إلى مصر لم يلتفت إلى ذلك؛ و استولى على دمشق، و رخّص للناس ما كان الحاكم حظره عليهم من شرب الخمر، و سماع الملاهى، فأحبّه أهل دمشق. و كان بخيلا ظالما، فشرع فى جمع المال و مصادرة الناس، فأبغضه الجند و أهل البلد. فكتبت أخت الحاكم إلى الجند فتتبّعوه حتّى مسكوه و بعثوا به مقيّدا إلى مصر، فحبس فى القصر مكرما، فأقام مدّة. و حمل إليه يوما بطّيخ و معه سكّين فأدخلها فى سرّته حتى غابت. و بلغ ابن عمّه الظاهر بن الحاكم فبعث إليه القضاة و الشهود؛ فلمّا دخلوا عليه اعترف أنّه الذى فعل ذلك بنفسه. و حضر

الطبيب فوجد طرف السكين ظاهرا، فقال لهم: لم تصادف مقتلا. فلمّا سمع وليّ العهد ذلك وضع يده عليها، فغيّبها فى جوفه فمات.

و قال ابن الصابئ: «و كان على حلب عند هلاك الحاكم عزيز الدولة فاتك الوحيدىّ، و قد استفحل أمره و عظم شأنه و حدّث نفسه بالعصيان؛ فلاطفته

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۹۵

ستّ الملك و راسلته و آنسته، و بعثت إليه بالخلع و الخيل بمراكب الذهب و غيرها، و لم تزل تعمل عليه [الحيل] حتّى أفسدت غلاما له يقال له بدر، و كان مالك أمره، و غلمانه تحت يده، و بذلت له العطاء الجزيل، [على الفتك به، و وعدته أن تولّيه مكانه]. و كان لفاتك غلام هندىّ يهواه، فاستغواه بدر المذكور و قال:

قد عرفت من مولاك ملالك، و تغيّر نيّته فيك، و عزم على قتلك، و دافعته عنك دفعات، و أنا أخاف عليك. ثم تركه بدر أياما، و وهب له دنانير و ثيابا؛ ثم أظهر له المحبّة و قال: إن علم بنا الأمير قتلنا؛ فقال الهندىّ: فما أفعل؟ فاستحلفه بدر و استوثق منه، و قال: إن قبلت ما أقول أعطيتك مالا- و أغنيتك و عشنا جميعا فى أطيب عيش. قال: فما تريد؟ قال: تقتله و نستريح منه؛ فأجابه و قال: الليلة يشرب و أنا أسقيه و أميل عليه، فإذا سكر فأقتله. و جلس فاتك المذكور على الشّرب، فلمّا قام إلى مرقده حمل الهندىّ سيفه، و كان ماضيا، ثمّ دخل فى اللّحاف و بدر على باب المجلس واقف. فلمّا ثقل فاتك فى نومه غمز بدر الهندىّ فضربه بالسيف فقطع رأسه؛ فصاح بدر و استدعى الغلمان و أمرهم بقتل الهندىّ فقتلوه. و استولى بدر على القلعة و ما فيها؛ و كتب إلى أخت الحاكم بما جرى؛ فأظهرت الوجد على فاتك فى الظاهر، و شكرت بدرا فى الباطن على ما كان منه من حفظ الخزائن، و بعثت إليه بالخلع، و وهبت له جميع ما خلّفه مولاه، و قلّدته موضعه. و نظرت ستّ الملك فى أمور الدولة بعد قتل الحاكم أربع سنين، أعادت الملك فيها الى غضارته، و عمّرت الخزائن بالأموال، و اصطنعت الرجال. ثم اعتلّت علّة لحقها فيها ذرب فماتت منه.

و كانت عارفة مدبّرة غزيرة العقل». و قد خرجنا عن المقصود على سبيل الاستطراد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۹۶

و كانت وفاة الحاكم ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من شوّال سنة إحدى عشرة و أربعمائة، و كان فيه كسوف الشمس. و كانت مدّة عمره ستا و ثلاثين سنة و سبعة أشهر، و قيل: سبعا و ثلاثين سنة. و كانت ولايته على مصر خمسا و عشرين سنة و شهرا واحدا، قاله القضاعىّ. و تولّى الملك من بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين اللّه علىّ بن الحاكم، و قام بتدبير مملكته عمته ستّ الملك المقدّم ذكرها إلى أن ماتت، حسب ما ذكرناه.

انتهت ترجمة الحاكم. و نذكر أيضا من أحواله نبذة كبيرة فى الحوادث المتعلّقة بأيّامه مرتبة على السنين، فيها عجائب و غرائب. و أمّا ما ينسب إليه من الشعر- و قيل: هو للآمر العبيدىّ الآتى ذكره- فهو قوله:

دع اللّوم عنّى لست منّى بموثق فلا بدّ لى من صدمة المتحنّق

و أسقى جيادى من فرات و دجلة و أجمع شمل الدّين بعد التفرّق

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۸۷]

السنة الأولى من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة سبع و ثمانين و ثلثمائة.

فيها استولى الحاكم صاحب الترجمة خليفة مصر على السواحل و الشامات.

و فيها حجّ بالناس أبو عبد اللّه العلوىّ.

و فيها توفّى الحسن بن عبد اللّه بن سعيد أبو أحمد العسكرىّ العلّامة الرّاوية، صاحب التصانيف الحسان فى اللغة و الأدب و الأمثال.

و فيها توفّى الحسن بن مروان أبو علىّ الكردىّ الأمير صاحب ميّافارقين.

قد ذكرنا مبدأ أمره و كيف تغلّب على ديار بكر و ملك حصونها. مات قتيلا على باب آمد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۹۷

و فيها توفّى صندل الخادم مولى بهاء الدولة و صاحب خيله (أعنى أمير اخوره) و قام الأمير أبو المسك عنبر مقامه.

و فيها توفّى السلطان فخر الدولة أبو الحسن علىّ ابن السلطان ركن الدولة الحسن ابن بويه بن فنّاخسرو الديلمىّ، مات بالرىّ، و كان ابن أخيه بهاء الدولة بواسط، فجلس للعزاء و جلس ابنه أبو منصور ببغداد. و قيل: إنّ فخر الدولة سمّ و سمّ ولداه من بعده فمات الكلّ فى هذه السنة؛ فملك أبو الحسن قابوس بن وشمكير من بعده طبرستان و جرجان؛ فإنّهما كانا فى مملكته، و أخذهما منه مؤيّد الدولة أخو فخر الدولة هذا المقدّم ذكره. و كان فخر الدولة شجاعا، لقّبه الخليفة الطائع ب "ملك الأمّة "أو ب "فلك الأمّة. "و كانت وفاته فى عاشر شعبان، و له ستّ و أربعون سنة و خمسة أيّام. و كانت مدّة ملكه ثلاث عشرة سنة و عشرة أشهر و سبعة و عشرين يوما.

و خلّف مالا كثيرا.

قال ابن الصابئ بعد ما عدّد ما خلّفه من المتاع و غيره، قال: «و خلّف ألفى ألف و ثمانمائة ألف و خمسة و سبعين ألفا و مائتين و أربعة و ثمانين دينارا، و من الورق و النّقرة و الفضّة مائة ألف ألف و ثمانمائة ألف و ستين ألفا و سبعمائة و تسعين درهما، و من الجواهر و اليواقيت الحمر و الصّفر و الحلىّ و اللؤلؤ و البلخش و الماس و غيره أربعة عشر ألفا و خمسمائة و عشرين قطعة، قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار، و من أوانى الذهب ما وزنه ثلاثة آلاف ألف دينار، و من البلّور و الصينى و نحوه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۹۸

ثلاثة آلاف، و من السلاح و الثّياب و الفرش ثلاثة آلاف حمل». و قيل: إنّه خلّف من الخيل و البغال و الجمال ثلاثين ألف رأس، و من الغلمان و المماليك خمسة آلاف، و من السّرارى خمسمائة؛ و من الخيام عشرة آلاف خيمة. و كان شحيحا.

كانت مفاتيح خزائنه فى الكيس الحديد مسمّرا بالمسامير لا يفارقه. و ملك بعده آبنه أبو طالب رستم و عمره أربع سنين.

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس أبو الحسين البغدادىّ الواعظ، و يعرف بابن سمعون، و كان يسمّى الناطق بالحكمة. قال أبو عبد الرّحمن السّلمىّ: هو من مشايخ بغداد، له لسان عال فى العلوم، لا ينتمى إلى أستاذ، و هو لسان الوقت المرجوع إليه فى آداب المعاملات.

و فيها توفّى نوح بن منصور بن نوح أبو القاسم السّامانىّ. كان هو و آباؤه من ملوك ما وراء النهر و سمرقند. و ولى نوح هذا و له ثلاث عشرة سنة، و تعصّب له عضد الدولة بن بويه، و أخذ له من الخليفة الطائع العهد على خراسان و الخلع؛ فأقام على خراسان إحدى و عشرين سنة، و مات فى شهر رجب.

و فيها توفّى صمصام الدولة المرزبان، و كنيته أبو كاليجار بن عضد الدولة بن بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمىّ. ولى المملكة بعد موت أبيه عضد الدولة، فلم ينجح أمره، و غلب عليه أخوه شرف الدولة و قهره و حبسه و أخذ بغداد منه و أكحله. فدام فى الحبس إلى أن مات أخوه شرف الدولة، و نزل من الحبس و هو أعمى. و انضمّ إليه الناس، و سار إلى فارس و ملك شيراز. و وقع له

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۱۹۹

أمور مع أولاد أخيه و حروب. و أقام بشيراز إلى أن قتل بها فى هذه السنة؛ و قيل:

فى السنة الآتية، و هو الأصحّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و إصبع واحدة.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و سبع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۸۸]

السنة الثانية من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة ثمان و ثمانين و ثلثمائة.

فيها توفّى محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفرج المقرئ الشّنبوذىّ، مولده فى سنة ثلثمائة. كان يقول: أحفظ خمسين ألف بيت من الشعر من شواهد القرآن.

و مات ببغداد، و بها كان مولده.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خطّاب الإمام أبو سليمان الخطّابىّ البستىّ، الفقيه الأديب، مصنّف كتاب "معالم السنن "و كتاب "غريب الحديث "و كتاب "شرح أسماء اللّه الحسنى "و كتاب "الغنية "عن الكلام و أهله "و كتاب "العزلة "و غير ذلك.

و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه بن محمد بن زكريّاء الحافظ أبو بكر الشّيبانىّ الجوزقى المعدّل، شيخ نيسابور و محدّثها و ابن أخت محدّثها أبى إسحاق إبراهيم بن محمد- و جوزق: من قرى نيسابور- كان حافظا إماما، صنّف "المسند الصحيح "على كتاب مسلم. و مات فى شوّال عن اثنتين و ثمانين سنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۰۰

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و سبع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۸۹]

السنة الثالثة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة تسع و ثمانين و ثلثمائة.

فيها حجّ بالناس محمد بن محمد بن عمر من العراق و كان فى الحجّ الشريفان: الرضىّ و المرتضى؛ فاعترض ركب الحاجّ أبو الجرّاح الطائىّ، فأعطياه تسعة آلاف دينار من أموالهما حتى أطلق الحاجّ.

و فيها استولى الأمير أبو القاسم محمود بن سبكتكين على أعمال خراسان بعد أن هزم الأمير عبد الملك بن نوح السّامانىّ، و أزال السامانيّة منها؛ و أقام الدعوة للخليفة القادر بعد أن كانت للطائع الذى خلع.

و فيها توفّى زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى أبو علىّ السّرخسىّ الفقيه الشافعىّ المقرئ المحدّث. سمع الكثير و روى عنه غير واحد. و مات فى شهر ربيع الآخر و له ستّ و تسعون سنة.

و فيها توفّى عبد اللّه بن أبى زيد عبد الرّحمن الفقيه أبو محمد القيروانىّ شيخ المالكيّة بالمغرب. جمع مذهب الإمام مالك رضى اللّه عنه و شرح أقواله. و كان واسع العلم كثير الحفظ ذا صلاح و عفّة و ورع. قال القاضى عياض بن موسى بن عياض: حاز رياسة الدّين و الدنيا، و رحل إليه من الأمصار.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۰۱

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۹۰]

السنة الرابعة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة تسعين و ثلثمائة.

فيها ظهر بسجستان معدن الذهب، فكانوا يصفّون من التراب الذهب الأحمر.

و فيها ولّى الحاكم صاحب مصر على نيابة الشام فحل بن تميم، فمرض و مات بعد أشهر؛ فولّى الحاكم عوضه على دمشق علىّ بن جعفر بن فلاح.

و فيها حجّ بالناس من العراق أبو الحارث العلوىّ.

و فيها توفّى الحسين بن محمد بن خلف أبو عبد اللّه الفرّاء والد القاضى أبى يعلى.

كان إماما فقيها على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة، و سمع الحديث و تفقّه و برع. و مات فى شعبان ببغداد.

و فيها توفّى المعافى بن زكريّاء بن يحيى بن حميد بن حمّاد بن داود أبو الفرج النّهروانىّ، و يعرف بابن طرارى. ولد سنة ثلاث و ثلثمائة، و قيل: سنة خمس و ثلثمائة. و كان إماما فى النحو و اللغة و أصناف الآداب، و كان يتفقّه على مذهب محمد بن جرير الطبرىّ. و صنّف كتاب "الجليس و الأنيس. "قال المعافى المذكور:

حججت فكنت بمنّى فسمعت مناديا ينادى: يا أبا الفرج؛ فقلت: لعلّه غيرى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۰۲

ثم نادى يا أبا الفرج المعافى؛ فهممت أن أجيبه. ثم إنه رجع فنادى: يا أبا الفرج المعافى بن زكريّاء النّهروانىّ؛ فقلت عند ذلك: هأنا: فما تريد؟ قال: لعلك من نهروان الشرق؟ قلت نعم؛ قال: نحن نريد نهروان الغرب. قال: فعجبت من هذا الاتفاق. قلت: و هذا من الغرائب كونه طابق اسمه و اسم أبيه و الكنية و الشهرة و يكون هذا من نهروان الشرق، و ذاك من نهروان الغرب. و كانت وفاته فى ذى الحجّة و له خمس و ثمانون سنة.

و فيها توفّى ناجية بن محمد بن سليمان أبو الحسن الكاتب البغدادىّ، نادم الخلفاء و الأكابر، و كان شجاعا شاعرا فصيحا. و من شعره قوله:

[الطويل]

و لمّا رأيت الصبح قد سلّ سيفه و ولّى انهزاما ليله و كواكبه

و لاح احمرار قلت قد ذبح الدجى و هذا دم قد ضمّخ الافق ساكبه

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و إصبعان.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۹۱]

السنة الخامسة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة إحدى و تسعين و ثلثمائة.

فيها جلس الخليفة القادر بأبّهة الخلافة، و دخل عليه الحجّاج بعد عودهم من الحج و القضاة و الأشراف؛ فأعلمهم أنه قد جعل الأمر فى ولده أبى الفضل، و لقّبه الغالب بأمر اللّه، و عمره ثمانى سنين و أربعة أشهر و أيام.

و فيها حجّ من العراق بالناس أبو الحارس محمد بن محمد بن عمر العلوىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۰۳

و فيها توفّى جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات، الوزير المحدّث أبو الفضل المعروف بابن حنزابة. كان أبوه قد وزر للمقتدر سنة خلع. و سافر هو إلى مصر، و تقلّد الوزارة لكافور الإخشيذىّ، و سمع الحديث بمصر و رواه، و مات بمصر.

و فيها توفّى المقلّد بن المسيّب بن رافع حسام الدولة أبو حسّان العقيلىّ صاحب الموصل. كان أخوه أبو الذّوّاد أوّل من تغلّب على الموصل و ملكها فى سنة ثمانين و ثلثمائة؛ و ملك حسام الدولة هذا الموصل بعده؛ و كان حسن التدبير، و اتسعت مملكته. و أرسل إليه الخليفة القادر اللّواء و الخلع. و كان له شعر، و فيه رفض فاحش.

قتله غلام له تركىّ فى صفر. قلت: لا شلّت يداه!. يقال: إنّه قتله لأنّه سمعه يوصى رجلا من الحاجّ أن يسلّم على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و يقول له:

لو لا صاحباك لزرتك. و ذكر الذهبىّ هذه الحكاية بإسناد إلى جماعة إلى أن قال عن الرجل الذى قال له المقلّد هذا بالسلام إنّه قال: فأتيت المدينة و لم أقل ذلك إجلالا؛ فنمت فرأيت النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم فى منامى، فقال: يا فلان لم لم تؤد الرسالة؟ فقلت: يا رسول اللّه أجللتك؛ فرفع رأسه إلى رجل قائم فقال له:

خذ هذا الموسى و اذبحه به (يعنى المقلّد). ثم رجعنا فوافينا العراق، فسمعت أنّ الأمير المقلّد ذبح على فراشه و وجد الموسى عند رأسه؛ فذكرت للناس الرؤيا فشاعت؛ فأحضرنى ابنه (يعنى ابن المقلد) الذى ولى بعده، و اسمه قرواش، فحدّثته؛ فقال:

أتعرف الموسى؟ فقلت نعم؛ فأحضر طبقا مملوءا مواسى فأخرجته منها؛ فقال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۰۴

صدقت، هذا وجدته عند رأسه و هو مذبوح. قلت: هذا ما جوزى به فى الدنيا، و أمّا فى الأخرى فجهنّم و بئس المصير، هو و كلّ من يعتقد معتقده إن شاء اللّه تعالى.

و فيها توفّى جيش بن محمد بن صمصامة أبو الفتوح القائد المغربىّ ابن أخت أبى محمود الكتامى أمير أمراء جيوش المغرب و مصر و الشام، و تولّى نيابة دمشق غير مرّة، و كان ظالما سفّاكا للدماء؛ ظلم الناس فاجتمع الصلحاء و الزّهاد و دعوا عليه، فسلّط اللّه عليه الجذام حتّى رأى فى نفسه العبر، و لم ينته حتّى أخذه اللّه.

و فيها توفّى الحسين بن أحمد بن الحجّاج أبو عبد اللّه الشاعر، كان من أولاد العمّال و الكتّاب ببغداد، و تولّى حسبة بغداد لعز الدولة بختيار بن بويه، فتشاغل بالشعر و السّخف و الخلاعة عمّا هو بصدده. قلت: و ابن الحجّاج هذا يضرب به المثل فى السخف و المداعبة و الأهاجى. و غالب شعره فى الفحش و الأهاجى و الهزل؛ من ذلك قوله:

[المجتث]

المستعان بربّى من كسّ ستّى و زبّى

قد كلّفانى نيكا قد كاد يقصف صلبى

و قال ابن خلكان: الشاعر المشهور ذو المجون و الخلاعة فى شعره. كان فرد زمانه فى فنّه، فإنه لم يسبق إلى تلك الطريقة مع عذوبة ألفاظه و سلامة شعره من التكلف؛ و مدح الملوك و الأمراء و الوزراء. و ديوانه كبير أكثر ما يوجد فى عشرة مجلدات. و الغالب عليه الهزل، و له فى الجدّ أيضا. و يقال: إنّه فى الشعر [فى] درجة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۰۵

امرئ القيس و إنه لم يكن بينهما مثلهما، لأنّ كلّ واحد منهما مخترع طريقة. و لمّا مات رثاه الشريف الرضى. انتهى كلام ابن خلّكان باختصار.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و إصبعان. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۹۲]

السنة السادسة من ولایة الحاکم منصور علی مصر و هی سنة اثنتین و تسعین و ثلثمائة.

فیها فی المحرّم غزا السلطان محمود بن سبکتکین الهند؛ فالتقاه صاحبها الملک جیپال و معه ثلثمائة فیل؛ فنصر اللّه ابن سبکتکین و قتل من الکفّار خمسة آلاف و من الفیلة خمسة عشر فیلا.

و فیها ولّی الحاکم علی دمشق أبا منصور ختکین القائد، فظلم و أساء السّیرة.

و فیها توفّی عثمان بن جنّی العلّامة أبو الفتح النحویّ اللغویّ الموصلیّ صاحب المصنّفات، منها "اللمع "و ["الکافی فی] شرح القوافی "و "المذکر و المؤنث "و "سرّ الصناعة "و "الخصائص "و "شرح المتنبّی "و غیر ذلک. و کان أبوه جنّی مملوکا رومیّا لسلیمان بن فهد بن أحمد الأزدیّ الموصلیّ. و سکن ابن جنّی المذکور بغداد و درّس بها و أقرأ حتّی مات فی صفر.

و فیها توفّی علیّ بن عبد العزیز أبو الحسن الجرجانی قاضی الرّی. سمع الحدیث الکثیر و ترقّی فی العلوم حتّی برع فی الفقه و الشعر و النحو و غیر ذلک من العلوم.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة؛ ج۴؛ ص۲۰۵

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۰۶

و فیها توفّی محمد بن محمد بن جعفر أبو بکر القاضی الشافعیّ، و یعرف بابن الدّقّاق، صاحب الأصول، کان معدودا من الفضلاء، مات ببغداد.

و فیها توفّی الولید بن بکر بن مخلد بن أبی زیاد أبو العباس الأندلسیّ، رحل فی طلب العلم إلی مصر و الشام و العراق و الحجاز و خراسان و ما وراء النهر، و سمع الکثیر. و کان إماما عالما بالفقه و النحو و الحدیث و الأدب و الشعر. و من شعره قوله:

[المتقارب]

لأیّ بلائک لا تدّکر و ما ذا یضرّک لو تعتبر

فبان الشّباب و حلّ المشیب و حان الرحیل فما تنتظر

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ست أذرع و سبع أصابع. مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۹۳]

السنة السابعة من ولایة الحاکم منصور علی مصر و هی سنة ثلاث و تسعین و ثلثمائة.

فیها منع عمید الجیوش یوم عاشوراء من النّوح و تعلیق المسوح ببغداد و غیرها، ثم منع أهل السنة ممّا کانوا ابتدعوه أیضا فی مقابلة الرافضة من التوجّه إلی قبر مصعب بن الزّبیر و غیره، و سکنت الفتنة لذلک.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۰۷

و فی [شهر] ربیع الآخر منها أمر نائب دمشق من قبل الحاکم صاحب مصر تمصولت الأسود الحاکمیّ [بمغربی] فضرب و طیف به علی حمار، و نودی علیه:

هذا جزاء من یحبّ أبا بکر و عمر؛ ثم أمر به فضربت عنقه. رحمه اللّه تعالی.

و فیها نازل السلطان محمود بن سبکتکین سجستان و أخذها من صاحبها خلف ابن أحمد بالأمان.

و فیها لم یحجّ أحد من العراق خوفا من الأصیفر الأعرابیّ.

و فيها زلزل الشام و العواصم و الثغور، فمات تحت الهدم خلائق كثيرة.

و فيها توفّى إسماعيل بن حمّاد أبو نصر الجوهرىّ، مصنّف كتاب "الصّحاح "فى اللغة. كان أصله من فاراب أحد بلاد التركّ، و كان يضرب المثل به فى حفظ اللغة و حسن الكتابة؛ و خطّه يذكر مع خط ابن مقلة و مهلهل و اليزيدىّ. و كان يؤثر الغربة على الوطن، دخل بلاد ربيعة و مضر فى طلب العلم و اللغة. و فى كتابه الصحاح يقول إسماعيل بن محمد النيسابورىّ:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۰۸

[المنسرح]

هذا كتاب الصّحاح سيّد ما صنّف قبل الصحاح فى الأدب

يشمل أنواعه و يجمع ما فرّق فى غيره من الكتب

مات الجوهرىّ متردّيا من سطح داره بنيسابور.

و فيها توفّى أمير المؤمنين الطائع للّه أبو بكر عبد الكريم ابن الخليفة المطيع للّه الفضل ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد الهاشمىّ العباسى البغدادىّ. و أمّه أمّ ولد. ولى الخلافة بعد أن خلع والده المطيع نفسه لمرض تمادى به فى ذى القعدة سنة ثلاث و ستين و ثلثمائة؛ فدام فى الخلافة إلى أن خلع بعد القبض عليه فى شعبان سنة إحدى و ثمانين و ثلثمائة، و بويع القادر بالله بالخلافة.

و استمرّ الطائع محبوسا فى دار عند القادر مكرّما إلى أن مات فى هذه السنة فى ليلة عيد الفطر؛ و صلّى عليه القادر و كبّر عليه خمسا. و مات الطائع و له ثلاث و سبعون سنة.

و فيها توفّى محمد بن عبد الرّحمن بن العباس بن عبد الرّحمن بن زكرياء الحافظ أبو طاهر البغدادىّ الذهبىّ المخلّص محدّث العراق. قال الخطيب أبو بكر: كان ثقة. مولده فى شوّال سنة خمس و ثلثمائة، و سمع الكثير و روى عنه غير واحد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۰۹

و فيها توفّى إبراهيم بن أحمد [بن محمد أبو إسحاق] الطبرىّ المقرئ شيخ الشهود و مقدّمهم ببغداد و البصرة و الكوفة و مكة و المدينة. قرأ القرآن و سمع الكثير، و كان مالكىّ المذهب، و حجّ فأمّ بالناس بالمسجد الحرام أيّام الموسم؛ و ما تقدّم فيه إمام ليس بقرشىّ سواه. و قرأ عليه الرضىّ الموسوىّ القرآن. و سكن بغداد و حدّث بها إلى أن توفّى بها رحمه اللّه.

و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه [بن محمد بن محمد] بن حليس السّلامىّ الشاعر المشهور، كان فصيحا بليغا. و من شعره و هو فى المكتب و هو أوّل قوله:

[المنسرح]

بدائع الحسن فيه مفترقه و أعين الناس فيه متّفقه

سهام ألحاظه مفوّقة فكلّ من رام وصله رشقه

قال الثعالبىّ فى حقّه: هو من أشعر أهل العراق قولا بالإطلاق، و شهادة بالاستحقاق. ثم قال بعد ما أثنى عليه: و قال الشعر و هو ابن عشر سنين.

و فيها توفّيت ميمونة بنت ساقولة الواعظة البغدادية، كان لها لسان حلو فى الوعظ.

قالت: هذا قميصى له اليوم سبع و أربعون سنة ألبسه و ما تخرّق، غزلته لى أمّى؛ الثوب إذا لم يعص اللّه فيه لا يتخرّق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۱۰

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و خمس عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۹۴]

السنة الثامنة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة أربع و تسعين و ثلثمائة.

فيها قلّد بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوىّ قضاء القضاة و الحجّ و المظالم و نقابة الطالبيين، و لقّبه [الطاهر] الأوحد ذا المناقب؛ فلم ينظر فى القضاء لامتناع الخليفة القادر بالله من الإذن له فى ذلك.

و فيها حجّ بالناس من العراق أبو الحارث محمد العلوىّ؛ فاعترض الركب الأصيفر الشّيعىّ الأعرابىّ، و عوّل على نهبهم؛ فقالوا: من يكلّمه و يقرّر له ما يأخذه من الحاجّ؟ فقدّموا أبا الحسين بن الرّفّاء و أبا عبد اللّه بن الدّجاجىّ، و كانا من أحسن الناس قراءة؛ فدخلا عليه و قرأ بين يديه؛ فقال لهما: كيف عيشكما ببغداد؟

قالا: نعم العيش، تصلنا الخلّع و الصّلات. فقال: هل وهبوا لكما ألف ألف دينار فى مرّة واحدة؟ قالا: لا، و لا ألف دينار؛ فقال: قد وهبت لكما الحاجّ و أموالهم؛ فدعوا له و انصرفوا و فرح الناس. و لمّا قرأ بعرفات قال أهل مصر و الشام: ما سمعنا عنكم تبذيرا مثل هذا، يكون عندكم شخصان مثل هذين فتصحبوهما معكم معا، فإن هلكا فبأىّ شىء تتجمّلون بعد ذلك!. و من حسن قراءتهما و طيب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۱۱

صوتهما اخذهما أبو الحسن بن بويه مع أبى عبد اللّه بن البهلول، فكانوا يصلّون به بالنوبة التراويح، و هم أحداث السنّ.

و فيها توفّى الحسن بن محمد بن إسماعيل أبو علىّ الإسكافىّ الملقّب بالموفّق.

كان بهاء الدولة قد فوّض إليه أموره و قام بتدبير ملكه. و كان شجاعا مقداما، لا يتوجّه فى أمر إلّا و ينصر. و ارتفع أمره حتّى قال رجل أ بهاء الدولة: يا مولانا، زيّنك اللّه فى عين الموفّق. و لا زال الناس به حتّى قبض عليه بهاء الدولة و خنقه.

و فيها توفّى خلف بن القاسم بن سهل الحافظ أبو القاسم الأندلسىّ، كان يعرف بابن الدبّاغ، مولده سنة خمس و عشرين و ثلثمائة، كان حافظا مكثرا جمع مسند الإمام مالك بن أنس رضى اللّه عنه، و حديث شعبة بن الحجّاج، و أسامى المعروفين بالكنى من الصحابة و التابعين و سائر المحدّثين، و كان أعلم الناس برجال الحديث و التواريخ و التفسير.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و خمس عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۹۵]

السنة التاسعة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة خمس و تسعين و ثلثمائة.

فيها حجّ بالعراقيّين أبو جعفر [بن] شعيب، و لحقهم عطش كبير فى طريقهم فهلك خلق كثير.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۱۲

و فيها قتل الحاكم صاحب مصر جماعة بمصر من أعيانها صبرا.

و فيها كانت وقعة بين بهاء الدولة بن بويه و بين عميد الجيوش، انكسر فيها عميد الجيوش و انهزم أقبح هزيمة.

و فيها خرج أبو ركوة على الحاكم، و تعاظم أمره حتّى عزم الحاكم على الخروج إلى الشام، و برز إلى بلبيس بالعساكر و الأموال، فأشير عليه بالعود إلى مصر فعاد و جهّز إليه جيشا فواقعوه غير مرّة حتّى هزموه، حسب ما ذكرناه فى أصل ترجمة الحاكم من هذا المحلّ، و نذكره أيضا فى السنة الآتية.

و فيها توفّى أحمد بن محمد البشرىّ الصوفىّ المحدّث، رحل فى طلب الحديث و جاور بمكة مدّة و صار شيخ الحرم، ثمّ عاد إلى مصر فتوفّى بالطريق بين مصر و مكّة، و كان صالحا ثقة.

و فيها توفّى أحمد بن فارس بن زكريّاء بن محمد بن حبيب أبو الحسين الرازىّ، و قيل: القزوينى المعروف بالرازىّ المالكىّ اللغوىّ نزيل همذان، و صاحب "المجمل "فى اللغة. سمع الحديث و روى عنه جماعة، و ولد بقزوين و نشأ بهمذان، و كان أكثر مقامه بالرّىّ، و كان كاملا فى الأدب فقيها مالكيا مناظرا فى الكلام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۱۳

و ينصر أهل السّنة، و طريقته فى النحو طريقة الكوفيين. و له مصنّفات بديعة.

و من شعره قوله:

[السريع]

مرّت بنا هيفاء مجدولة تركيّة تنمى لتركىّ

ترنو بطرف فاتن فاتر أضعف من حجّة نحوىّ

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر الزاهد أبو الحسين بن أبى نصر النّيسابورىّ الخفّاف. قال الحاكم: كان مجاب الدعوة، و سماعاته صحيحة بخطّ أبيه من أبى العباس السرّاج و أقرانه، و بقى واحد عصره فى علوّ الإسناد؛ و مات فى شهر ربيع الأوّل. قال الحاكم: و صلّيت عليه و له ثلاث و تسعون سنة.

و فيها توفّى محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده- و اسم منده إبراهيم بن الوليد ابن سيدة- الحافظ الكبير أبو عبد اللّه العبدىّ الأصبهانىّ المعروف بابن منده؛ رحل و طوّف الدنيا، و جمع و صنّف و كتب ما لا ينحصر. و حدّث عن أبيه و عمّ أبيه عبد الرّحمن بن يحيى و خلق كثير، و روى عنه جماعة. قال أبو نعيم - و هو معاصره-:

ابن مندة حافظ من أولاد المحدّثين، توفّى فى سلخ ذى القعدة، و اختلط فى آخر عمره.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۱۴

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۹۶]

السنة العاشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة ستّ و تسعين و ثلثمائة.

فيها حجّ بالناس من العراق محمد بن محمد بن عمر العلوىّ، و خطب بالحرمين للحاكم صاحب مصر على العادة، و أمر الناس بالحرمين بالقيام عند ذكر الحاكم، و فعل مثل ذلك بمصر و غيرها؛ فكان إذا ذكر قاموا و سجدوا فى السوق و فى مواضع الاجتماع.

و فيها جلس الخليفة القادر باللّه العباسىّ لأبى المنيع قرواش بن أبى حسّان و لقّبه بمعتمد الدولة؛ و تفرّد قرواش المذكور بالإمارة وحده.

و فيها توفّى إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو سعد الجرجانىّ، كان عالما بفنون العلم و الحديث و الفقه و العربية، و دخل بغداد و عقد مجلس المناظرة، و حضره أبو الطيّب الطّبرىّ و أبو حامد الإسفراينى.

و فيها توفّى عبد الوهاب بن الحسن بن الوليد بن موسى الكلابىّ المحدّث أبو الحسين الدمشقىّ، يعرف بأخى تنوك، سمع الكثير و روى عنه الناس.

قال عبد العزيز الكتّانى: كان ثقة نبيلا مأمونا. و كانت وفاته فى شهر ربيع الأوّل، و مات و هو مسند وقته.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الحافظ أبو عمر أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن على بن الباجىّ فى المحرّم. و أبو الحسن أحمد بن محمد بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۱۵

عمران بن الجندىّ، و هو ضعيف. و أبو سعد إسماعيل بن أبى بكر الإسماعيلىّ شيخ الشافعية. و أبو الحسين عبد الوهاب بن الحسن الكلابىّ فى [شهر] ربيع الأول، و له تسعون سنة. و القاضى أبو الحسن على بن محمد بن إسحاق الحلبىّ بمصر. و أبو بكر محمد ابن [الحسن بن] الفضل بن المأمون. و أبو بكر محمد بن على بن النضر الدّيباجىّ.

و أبو بكر محمد بن عمر بن زنبور الورّاق.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و ست عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۹۷]

السنة الحادية عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة سبع و تسعين و ثلثمائة.

فيها دخل بهاء الدولة البصرة و ملكها و استولى على ذخائر ابن واصل.

و فيها استفحل أمر أبى ركوة الذى خرج على الحاكم، و ذكرنا أمره فى الماضية، و دعا لعمّه هشام الأموىّ. و أبو ركوة المذكور اسمه الوليد، و هو من ذريّة هشام ابن عبد الملك بن مروان؛ و عظم أمره و انضم عليه الخلائق و استولى على برقة و غيرها، و كسر عسكر الحاكم، و ضرب السّكّة، و صعد المنبر و خطب خطبة بليغة، و لعن الحاكم و آباءه، و صلّى بالناس و عاد إلى دار الإمارة، و قد استولى على جميع ما كان فيها.

و عرف الحاكم بما جرى فانزعج و كفّ عن القتل و انقطع عن الركوب الذى كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۱۶

يواصله؛ ثم جهّز الحاكم إلى حرب أبى ركوة قائدا من الأتراك يقال له ينّال الطويل، و أرسل معه خمسة آلاف فارس- و كان معظم جيش ينّال [من] كتامه، و كانت مستوحشة من ينال فإنه قتل كبار كتامة بأمر الحاكم- فتوجّه ينّال و واقع أبا ركوة فهزمه أبو ركوة و أخذه أسيرا، و قال له: العن الحاكم، فبصق فى وجه أبى ركوة؛ فأمر أبو ركوة به فقطّع إربا إربا. و أخذ أبو ركوة مائة ألف دينار كانت مع ينال و جميع ما كان معه، فقوى أمره أكثر ما كان. و اشتدّ الأمر على الحاكم أكثر و أكثر بكسر ينال؛ و بعث إلى الشام و استدعى الغلمان الحمدانيّة و القبائل و أنفق عليهم الأموال و جهّزهم، و جعل عليهم الفضل بن عبد اللّه؛ فطرقهم أبو ركوة و كسرهم و ساق خلفهم حتّى نزل عند الهرمين بالجيزة؛ و غلّق الحاكم أبواب القاهرة؛ ثمّ عاد أبو ركوة إلى عسكره. فندب الحاكم العساكر ثانيا، فسار بهم الفضل فى جيوش كثيرة، و التقى مع أبى ركوة فهزمه و قتل من عسكره نحو ثلاثين ألفا. ثم ظفر الفضل بأبى ركوة و سار به مكرما إلى الحاكم. و سبب إكرامه له خوفه عليه من أن يقتل نفسه، و قصد الفضل أن يأتى به الحاكم حيّا. فأمر الحاكم أن يشهّر أبو ركوة على جمل و يطاف به. و كانت القاهرة قد زيّنت أحسن زينة، و كان بها شيخ يقال له الأبزارىّ، إذا خرج خارجىّ صنع له طرطورا و عمل فيه ألوان الخرق المصبوغة و أخذ قردا و يجعل فى يده درّة و يعلّمه [أن] يضرب بها الخارجىّ من ورائه، و يعطى مائة دينار و عشر قطع قماش. فلمّا قطع أبو ركوة الجيزة أمر به الحاكم، فأركب جملا بسنامين و ألبس الطّرطور و أركب الأبزارىّ خلفه و القرد بيده الدّرّة و هو يضربه و العساكر حوله، و بين يديه خمسة عشر فيلا مزيّنة؛ و دخل القاهرة على هذا الوصف و رءوس أصحابه بين يديه على الخشب و القصب؛ و جلس الحاكم فى منظرة على باب الذهب، و الترك و الديلم عليهم السلاح و بأيديهم اللّتوت و

تحتهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۱۷

الخيول بالتّجافيف حول أبى ركوة؛ و كان يوما عظيما، و أمر به الحاكم أن يخرج إلى ظاهر القاهرة و يضرب عنقه على تلّ بإزاء مسجد ريدان خارج القاهرة. فلمّا حمل إلى هناك أنزل فإذا به ميّت فقطع رأسه و حمل به إلى الحاكم؛ فأمر بصلب جسده. و ارتفعت منزلة الفضل عند الحاكم بحيث إنّه مرض فعاده مرّتين أو ثلاثا، و أقطعه إقطاعات كثيرة ثم عوفى من مرضه، و بعد أيام قبض عليه الحاكم و قتله شرّ قتلة.

و فيها كسا الحاكم الكعبة القباطىّ البيض، و بعث مالا لأهل الحرمين.

و فيها توفّى عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق أبو القاسم الدّينورىّ الواعظ الزاهد، كان فقيها زاهدا عابدا محدّثا منقطعا عن الناس، و هو من كبار الشيوخ رحمه اللّه.

و فيها توفّى الشيخ الإمام العالم الحافظ أبو الحسن على بن عمر القصّار المالكىّ ببغداد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و أربع أصابع. مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعا و ستّ عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۱۸

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۹۸]

السنة الثانية عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة ثمان و تسعين و ثلثمائة.

فيها فى يوم عاشوراء عمل أهل الكرخ [ما جرت به] العادة من النّوح و غيره.

و اتفق يوم عاشوراء يوم المهرجان؛ فأخّره عميد الجيوش إلى اليوم الثانى مراعاة لأجل الرافضة، هذا ما كان ببغداد. فأمّا مصر فإنه كان يفعل بها فى يوم عاشوراء من النوح و البكاء و الصّياح و تعليق المسوح أضعاف ذلك لا سيّما أيّام خلفاء مصر بنى عبيد، فإنّهم كانوا أعلنوا الرّفض و سبّ الصحابة من غير تستّر و لا خيفة.

و فيها كانت فتنة عظيمة بين أهل السّنة و الرافضة ببغداد.

و فيها زلزلت الدّينور فهدمت المنازل و أهلكت ستة عشر ألف إنسان، و خرج من سلم إلى الصحراء و بنوا لهم أكواخا من القصب، و ذهب من الأموال ما لا يعدّ و لا يحصى.

و فيها هدم الحاكم بيعة قمامة التى ببيت المقدس و غيرها من الكنائس بمصر و الشام، و ألزم أهل الذمّة بما ذكرناه فى ترجمة الحاكم.

و فيها توفّى أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد أبو الفضل الهمذانىّ الملقّب ببديع الزمان، صاحب الرسائل الرائقة، و صاحب المقامات [الفائقة]؛ التى على منوالها نسج الحريرىّ مقاماته، و اعترف له بالفضل عليه. و كان إمام وقته فى المنثور

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۱۹

و المنظوم. و من كلامه النثر: الماء إذا طال مكثه، ظهر خبثه؛ و إذا سكن متنه، تحرّك نتنه. و [له من تعزية]: الموت خطب قد عظم حتّى هان، و مسّ [قد] خشن حتّى لان؛ و الدنيا [قد] تنكّرت حتّى صار الموت أخفّ خطوبها، و جنّت حتّى صار أصغر ذنوبها. و له من هذا أشياء كثيرة. و أمّا شعره فجيّد إلى الغاية.

من ذلك قوله من جملة قصيدة: [البسيط]

و كاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيّا يمطر الذّهبا

و الدهر لو لم يخن و الشمس لو نطقت و الليث لو لم يصد و البحر لو عذبا

و كانت وفاته فى هذه السنة بمدينة هراة.

و فيها توفّى عبد الواحد بن نصر بن محمد أبو الفرج المخزومىّ النّصيبىّ الشاعر المشهور المعروف بالبّبغاء و البّبغاء هو الطير المعروف بالدّرّة، و قيل غيرها. خدم البيغاء المذكور سيف الدولة بن حمدان و مدحه؛ و كان شاعرا مجيدا و كاتبا مترسّلا، جيّد المعانى حسن القول فى المدائح. و من شعره: [الكامل]

و كأنّما نقشت حوافر خبله للناظرين أهلّة فى الجلمد

و كأنّ طرف الشمس مطروف و قد جعل الغبار له مكان الإثمد

و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد أبو محمد البخارىّ الخوارزمىّ الفقيه الشافعى، كان فقيها فصيحا أديبا يرتجل الخطب الطّوال و يقول الشعر على البديهة. و من شعره:

[الخفيف]

كم حضرنا و ليس يقضى التلاقى نسأل اللّه غير هذا الفراق

إن أغب لم تغب و إن لم تغب غبت كأنّ افتراقنا باتفاق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۲۰

و فيها توفّى أبو منصور بن بهاء الدولة، و قيل: إنّ اسمه بويه. كان أبوه بهاء الدولة يخافه، و منع الخدم من الكلام معه و ضيّق عليه. و لمّا مات وجد عليه وجدا عظيما، و ليس السواد، و واصل البكاء و الحزن إلى أن اجتمع إليه وجوه الديلم و سألوه أن يرجع إلى عادته.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعا و تسع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۳۹۹]

السنة الثالثة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة تسع و تسعين و ثلثمائة.

فيها لحق الحاجّ عند عودهم من مكة الأصيفر الأعرابىّ، و قرّر عليهم أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوىّ أمير الحاجّ مالا فأوردوه، و دخلوا الكوفة بعد أن لاقوا مشقّة شديدة، و أقاموا بها حتّى أرسل إليهم أبو الحسن على بن مزيد أخاه حمّادا فحملهم إلى المدائن، ثمّ دخلوا بغداد.

و فيها صرف أبو عمر عبد الواحد عن قضاء البصرة، و وليها أبو الحسن بن أبى الشّوارب. فقال العصفرىّ الشاعر فى هذه المعنى:

[المجتث]

عندى حديث ظريف بمثله يتغنّى

من قاضيين يعزّى هذا و هذا يهنّى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۲۱

فذا يقول اكرهونا و ذا يقول استرحنا

و يكذبان جميعا و من يصدّق منّا

و فيها ولّى الحاكم القائد أبا الجيش حامد بن ملهم أميرا على دمشق بعد علىّ بن جعفر بن فلاح، فوليها سنة و أربعة أشهر، ثم عزل بمحمد بن بزال.

و فيها لم يحجّ أحد من العراق خوفا من العطش و العرب، و خرجوا ثمّ عادوا.

و فيها توفّيت يمنى أمّ القادر. كانت مولاة عبد الواحد بن الخليفة المقتدر، و كانت من أهل الدين و الصلاح. و صلّى عليها القادر فى داره و كبّر أربعا، و حملت إلى الرّصافة فى طيّار فدفنت بها.

و فيها توفّى الأمير لؤلؤ غلام سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب و الذى كان واقع العزيز نزارا والد الحاكم؛ و قد تقدّم ذكر ذلك فى ترجمة العزيز مفصّلا. كان لؤلؤ شجاعا مقداما. و لما مات لؤلؤ تولّى الملك بعده ابنه مرتضى الدولة، و هرب بعد ذلك إلى الروم.

و فيها توفّى هشام بن الحكم بن عبد الرّحمن الأموىّ صاحب الأندلس، و لقبه المؤيّد، و هو من ذرّية مروان بن الحكم الأموىّ و هو عمّ أبى ركوة الذى كان خرج على الحاكم المقدّم ذكره، و باسمه كان يخطب أبو ركوة المذكور. ولى هشام هذا الملك و له تسع سنين، و أقام واليا على الأندلس تسعا و ثلاثين سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و ستّ عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۲۲

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۰۰]

السنة الرابعة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة أربعمائة.

فيها أرجف بموت الخليفة القادر، فجلس للناس بعد صلاة الجمعة و دخل عليه القضاة و الأشراف، و عليه أبّهة الخلافة، و قبّل أبو حامد الإسفرايني يده.

و فيها أرسل الحاكم إلى المدينة إلى دار جعفر الصادق من فتحها و أخذ منها ما كان فيها، و كان فيها مصحف و سرير و آلات، و كان الذى فتحها ختكين العضدىّ الداعى، و حمل معه رسوم الأشراف، و عاد إلى مصر بما وجد فى الدار؛ و خرج معه من شيوخ العلويّين جماعة؛ فلمّا وصلوا إلى الحاكم أطلق لهم نفقات قليلة [و ردّ عليهم السرير] و أخذ الباقى، و قال: أنا أحقّ به؛ فانصرفوا داعين عليه.

و شاع فعله فى الأمور التى خرق العادات فيها، و دعى عليه فى أعقاب الصلوات و ظوهر بذلك، فأشفق فخاف؛ و أمر بعمارة دار العلم و فرشها، و نقل إليها الكتب العظيمة و أسكنها من شيوخ السنّة شيخين، يعرف أحدهما بأبى بكر الأنطاكىّ، و خلع عليهما و قرّبهما و رسم لهما بحضور مجلسه و ملازمته، و جمع الفقهاء و المحدّثين إليها، و أمر أن يقرأ بها فضائل الصحابة، [و رفع عنهم الاعتراض فى ذلك] و أطلق صلاة التراويح و الضحى، و غيّر الأذان و جعل مكان "حىّ على خير العمل ""الصلاة خير من النوم؛ "و ركب بنفسه الى جامع عمرو بن العاص و صلّى فيه الضحى، و أظهر الميل الى مذهب الإمام مالك و القول به، و وضع للجامع تنّورا من فضة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۲۳

يوقد فيه ألف و مائتا فتيلة، و اثنين آخرين من دونه. و زفّهم بالدبادب و البوقات و التهليل و التكبير، و نصبهم ليلة النصف من شعبان؛ و حضر أوّل يوم من رمضان الى الجامع الذى بالقاهرة، و حمل إليه الفرش الكثيرة و قناديل الذهب و الفضة، فكثر الدعاء له؛ و لبس الصوف فى هذه السنة يوم الجمعة عاشر شهر رمضان، و ركب الحمار و أظهر النسك و ملأ كمّه دفاتر، و خطب بالناس يوم الجمعة و صلّى بهم؛ و منع من أن يخاطب يا مولانا و من تقبيل الأرض بين يديه؛ و أقام الرواتب لمن يأوى المساجد من الفقراء و القرّاء و الغرباء و أبناء السبيل، و أجرى لهم الأرزاق؛ و صاغ محرابا عظيما من فضة و عشرة قناديل؛ و رصّع المحراب بالجوهر و نصبه بالمسجد الجامع. و أقام على ذلك ثلاث سنين يحمل الطّيب و البخور و الشموع إلى الجوامع، و فعل ما لم يفعله أحد. ثم بدا له بعد ذلك فقتل الفقيه أبا بكر الأنطاكى و الشيخ الآخر و خلقا كثيرا أخر من أهل السنّة لا لأمر يقتضى ذلك؛ و فعل ذلك كلّه فى يوم واحد. و أغلق دار العلم، و منع من جميع ما كان فعله؛ و عاد إلى ما كان عليه أوّلا من قتل العلماء و الفقهاء و أزيد؛ و دام على ذلك حتّى مات قتيلا

حسب ما ذكرناه.

و فيها توفّى الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق الشريف أبو أحمد الموسوى، والد الشريف الرضى و المرتضى. مولده فى سنة أربع و ثلثمائة. و كان سيّدا عظيما مطاعا، كانت هيبته أشدّ من هيبة الخلفاء؛ خاف منه عضد الدولة فاستصفى أمواله. و كانت منزلته عند بهاء الدولة أرفع المنازل، و لقّبه بالطاهر و الأوحد و ذى المناقب، و كان فيه كلّ الخصال الحسنة إلا أنّه كان رافضيّا هو و أولاده على مذهب القوم. و مات ببغداد عن سبع و تسعين سنة، و صلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۲۴

عليه ابنه المرتضى، و دفن فى داره ثم نقل إلى مشهد الحسين، و رثاه ولده المرتضى.

و فيها توفّى أبو الحسين بن الرفّاء القارئ المجيد الطيّب الصوت الذى ذكرنا قصته مع الأصيفر الأعرابىّ عند ما اعترض الحاجّ فى سنة أربع و تسعين؛ و كانت وفاته ببغداد.

و فيها توفّى أبو عبد اللّه القمّى التاجر المصرىّ، كان بزّاز خزانة الحاكم؛ مات فى ذى القعدة بين مصر و مكة، و حمل إلى البقيع و دفن به، و كان ذا مال عظيم؛ خرج فى هذه السنة مع حجّاج مصر بعد أن اشتملت وصيّته على ألف ألف دينار غير المتاع و القماش و الجوهر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۰۱]

السنة الخامسة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة إحدى و أربعمائة.

فيها خطب أبو المنيع قرواش بن المقلّد الملقّب بمعتمد الدولة للحاكم صاحب مصر بالموصل. و كان الحاكم قد استماله؛ فجمع معتمد الدولة أهل الموصل و أظهر طاعة الحاكم، فأجابوه و فى القلوب ما فيها؛ فأحضر الخطيب يوم الجمعة رابع المحرّم و [خلع] عليه قباء دبيقيّا و عمامة صفراء و سراويل ديباج أحمر و خفّين أحمرين، و قلّده سيفا، و أعطاه نسخة ما يخطب به و أوّلها:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۲۵

«اللّه أكبر اللّه أكبر لا- إله إلا- اللّه، و اللّه أكبر و للّه الحمد. الحمد للّه الذى انجلت بنوره غمرات الغضب، و انهدّت بقدرته أركان النصب، و أطلع بقدره شمس الحقّ من الغرب؛ الذى محا بعدله جور الظّلمة، و قصم بقوّته ظهر الغشمة؛ فعاد الأمر إلى نصابه، و الحقّ إلى أربابه؛ البائن بذاته، المنفرد بصفاته، الظاهر بآياته، المتوحّد بدلالاته؛ لم تفنه الأوقات فتسبقه الأزمنة، و لم يشبه الصور فتحويه الأمكنة، و لم تره العيون فتصفه الألسنة؛ سبق كلّ موجود وجوده، وفات كلّ جود جوده؛ و استقرّ فى كلّ عقل توحيده، و قام فى كلّ مرأى شهيده.

أحمده كما يجب على أوليائه الشاكرين تحميده، و أستعينه على القيام بما يشاء و يريده، و أشهد له بما شهد أصفياؤه و شهوده. و أشهد أن لا- إله إلا- اللّه وحده لا- شريك له شهادة لا- يشوبها دنس الشرك، و لا يعتريها و هم الشكّ؛ خالصة من الإدهان، قائمة بالطاعة و الإذعان.

و أشهد أن محمدا عبده و رسوله صلى اللّه عليه و سلم، اصطفاه و اختاره لهداية الخلق، و إقامة الحق؛ فبلّغ الرسالة و أدّى الأمانه، و هدى من الضلاله؛ و الناس حينئذ عن الهدى غافلون، و عن سبيل الحقّ ضالّون؛ فأنقذهم من عبادة الأوثان، و أمرهم بطاعة الرّحمن؛ حتى قامت حجج اللّه و آياته، و تمّت بالتبليغ كلماته؛ صلى اللّه عليه و على أوّل مستجيب إليه علىّ أمير المؤمنين، و سيّد الوصيّين؛ أساس الفضل و الرحمة، و عماد العلم و الحكمة؛ و أصل الشجرة الكرام البررة، النابتة [فى] الأرومة المقدّسة المطهّرة؛ و على خلفائه

الأغصان البواسق [من تلك الشجرة]، و على ما خلص منها و زكا من الثمرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۲۶

أيّها الناس، اتقوا اللّه حقّ تقاته، و ارغبوا فى ثوابه و احذروا من عقابه، فقد تسمعون ما يتلى عليكم من كتابه؛ قال اللّه عزّ و جلّ: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ). فالحذر ثمّ الحذر، فكأنّى و قد أفضت بكم الدنيا إلى الآخرة، و قد بان أشراطها، و لاح سراطها؛ و مناقشة حسابها، و العرض على كتابها؛ (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ). اركبوا سفينة نجاتكم قبل أن تغرقوا، (وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا)؛ و أنيبوا إليه خير الإنابة، و أجيبوا داعى اللّه على باب الإجابة؛ قبل (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ - ... إلى قوله: - فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ). تيقّظوا من الغفلة و الفترة، قبل الندامة و الحسره؛ و تمنّى الكرّ و التماس الخلاص، ولات حين مناص؛ و أطيعوا إمامكم ترشدوا، و تمسّكوا بولاة العهود تهتدوا؛ فقد نصب اللّه لكم علما لتهتدوا به، و سبيلا لتقتدوا به؛ جعلنا اللّه و إياكم ممن تبع مراده، و جعل الإيمان زاده، و الهمّة تقواه و رشاده؛ أستغفر اللّه العظيم لى و لكم و لجميع المؤمنين». ثم جلس و قام و قال:

«الحمد للّه ذى الجلال و الإكرام، و خالق الأنام و مقدّر الأقسام، المنفرد بحقيقة البقاء و الدوام؛ فالق الإصباح، و خالق الأشباح، و فاطر الأرواح؛ أحمده أوّلا و آخرا، و أشكره باطنا و ظاهرا، و أستعين به إلها قادرا، و [أستنصره] وليّا ناصرا.

و أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، شهادة من أقرّ بوحدانيته إيمانا، و اعترف بربوبيته إيقانا؛ و علم برهان ما يدعو إليه، و عرف حقيقة الدلالة عليه. اللهمّ و صلّ على وليّك الأزهر، و صديقك الأكبر؛ علىّ بن أبى طالب أبى الخلفاء الراشدين المهديّين. اللهمّ و صلّ على السّبطين الطاهرين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۲۷

الحسن و الحسين؛ و على الأئمة الأبرار، و الصفوة الأخيار؛ من أقام منهم و ظهر، و من خاف فاستتر. اللهمّ و صلّ على الإمام المهدىّ بك، و الذى بلّغ بأمرك، و أظهر حجّتك؛ و نهض بالعدل فى بلادك، هاديا لعبادك. اللهمّ و صلّ على القائم بأمرك، و المنصور بنصرك، اللذين بذلا نفوسهما فى رضائك، و جاهدا أعداءك. اللهمّ و صلّ على المعزّ لدينك، المجاهد فى سبيلك؛ المظهر للآيات الخفيّه، و الحجج الجليّة. اللهمّ و صلّ على العزيز بك الذى مهّدت به البلاد، و هديت به العباد. اللهمّ و اجعل نوامى صلواتك، و زواكى بركاتك؛ على سيّدنا و مولانا إمام الزمان، و حصن الإيمان؛ و صاحب الدعوة العلويّه، [و] الملّة النبويه؛ عبدك و وليّك المنصور أبى علىّ الحاكم بأمر اللّه أمير المؤمنين؛ كما صلّيت على آبائه الراشدين، و أكرمت أجداده المهديّين.

اللهمّ وفّقنا لطاعته، و اجمعنا على كلمته و دعوته؛ و احشرنا فى حزبه و زمرته. اللهمّ و أعنه على ما ولّيته، و احفظه فيما استرعيته، و بارك له فيما آتيته؛ و انصر جيوشه و [أعل] أعلامه فى مشارق الأرض و مغاربها؛ إنك على كل شىء قدير».

فلما سمع الخليفة القادر ذلك أزعجه و أرسل عميد الجيوش فى تجهيز العساكر.

فلما بلغ قرواشا ذلك أرسل يعتذر للخليفة، و أبطل دعوة الحاكم من بلاده و أعادها للقادر على العادة.

و فيها لم يحجّ أحد من العراق خوفا من الأعراب، و حجّ الناس من مصر و غيرها.

و فيها ولّى الحاكم لؤلؤ بن عبد اللّه الشيرازىّ دمشق، و لقّبه بمنتخب الدولة؛ فقدم إليها فى جمادى الآخرة من الرقّة، ثم عزله عنها فى يوم عيد الأضحى، و ولّى عوضه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۲۸

أبا المطاع ذا القرنين بن حمدان، و كان يوم الجمعة فصلّى لؤلؤ بالناس العيد و أبو المطاع الجمعة. و حمل لؤلؤ الى بعلبك، فقتل بها بأمر الحاكم.

و فيها توفّى أبو على الأمير عميد الجيوش و اسمه الحسين بن [أبى] جعفر. كان أبوه من حجّاب عضد الدولة بن بويه؛ و جعل ابنه هذا

برسم صمصام الدولة، فخدم المذكور صمصام الدولة و بهاء الدولة؛ فولّاه بهاء الدولة العراق، فقدمها و الفتن قائمة، فقتل و صلب و غرّق حتى بلغ من هيبته أنه أعطى غلاما له صينيّة فضّة فيها دنانير، فقال: خذها على رأسك و سر من النجمى الى الماصر الأعلى، فإن اعترضك معترض فأعطه إياها و اعرف المكان؛ فجاء الغلام و قد انتصف الليل، و قال مشيت الحدّ جميعه فلم يلقنى أحد.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن عبد الرّحمن أبو عبيد الهروىّ اللغوىّ المؤدّب، مصنّف الغريبين فى اللغة، لغة القرآن و لغة الحديث، و مات فى شهر رجب.

و فيها توفّى علىّ بن محمد أبو الفتح البستى الكاتب الشاعر. قال الحاكم: «هو واحد عصره، و حدّثنى أنه سمع الكثير من أبى حاتم بن حبّان». انتهى. قلت:

و هو صاحب النظم الرائق، و النثر الفائق. و من كلامه النثر: من أصلح فاسده، أرغم حاسده. عادات السادات، سادات العادات. و من شعره رحمه اللّه تعالى:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۲۹

[الوافر]

أعلّل بالمنى روحى لعلّى أروّح بالأمانى الهمّ عنى

و أعلم أنّ وصلك لا يرجّى و لكن لا أقلّ من التمنّى

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ثمانى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۰۲]

السنة السادسة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة اثنتين و أربعمائة.

فيها فى شهر ربيع الآخر كتب الخليفة القادر العباسىّ محضرا فى معنى الخلفاء المصريّين و القدح فى أنسابهم و عقائدهم، و قرئت النسخ ببغداد، و أخذت فيها خطوط القضاة و الأئمة و الأشراف بما عندهم من العلم بمعرفة نسب الديصانيّة؛ قالوا ": و هم منسوبون الى ديصان بن سعيد الخرّمى إخوان الكافرين، و نطف الشياطين؛ شهادة يتقرّبون بها الى اللّه، و معتقدين ما أوجب اللّه على العلماء أن ينشروه للناس؛ فشهدوا جميعا أن الناجم بمصر و هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم- حكم اللّه عليه بالبوار و الخزى و النكال- ابن معدّ بن إسماعيل بن عبد الرّحمن بن سعيد- لا أسعده اللّه- فإنه لمّا صار الى المغرب تسمّى بعبيد اللّه و تلقّب بالمهدىّ، هو و من تقدّمه من سلفه الأرجاس الأنجاس- عليه و عليهم اللعنة- أدعياء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۳۰

خوارج لا نسب لهم فى ولد علىّ بن أبى طالب، و أن ذلك باطل و زور، و أنهم لا يعلمون أن أحدا من الطالبيّين توقّف عن إطلاق القول فى هؤلاء الخوارج إنهم أدعياء. و قد كان هذا الإنكار شائعا بالحرمين فى أوّل أمرهم بالمغرب، منتشرا انتشارا يمنع من أن يدلّس على أحد كذبهم، أو يذهب وهم الى تصديقهم؛ و أن هذا الناجم بمصر هو و سلفه كفّار و فسّاق فجّار زنادقة، و لمذهب الثنويّة و المجوسيّة معتقدون؛ قد عطّلوا الحدود، و أباحوا الفروج، و سفكوا الدماء، و سبّوا الأنبياء، و لعنوا السلف، و ادّعوا الربوبيّة. و كتب فى [شهر] ربيع الآخر سنة اثنتين و أربعمائة». و كتب خلق كثير فى المحضر المذكور منهم الشريف الرضى و المرتضى أخوه، و ابن الأزرق الموسوىّ، و محمد بن محمد بن عمر بن أبى يعلى العلويّون، و القاضى أبو محمد عبد اللّه بن الأكفانىّ، و القاضى أبو القاسم الجزرىّ، و الإمام أبو حامد الإسفراينى، و الفقيه أبو محمد الكشفلى، و الفقيه أبو الحسين القدورىّ الحنفىّ، و الفقيه أبو على

بن حمكان و أبو القاسم التنوخىّ، و القاضى أبو عبد اللّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۳۱

الصّيمرىّ. انتهى أمر المحضر باختصار. فلما بلغ الحاكم قامت قيامته و هان فى أعين الناس لكتابة هؤلاء العلماء الأعلام فى المحضر.

و فيها حجّ بالناس من العراق أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوىّ، و هبّت عليهم ريح سوداء و فقدوا الماء و لقوا شدائد.

و فيها توفّى أحمد بن مروان أبو نصر، و قيل: أبو منصور، ممهّد الدولة الكردىّ صاحب ميّافارقين. و قد ذكرنا مقتل الحسن بن مروان على باب آمد، و أنهم من غير بيت فى الرياسة، و أنهم و ثبوا على ديار بكر و ملكوها. و وقع لأحمد هذا أمور و وقائع و حروب.

و فيها توفّى عبد الرّحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس بن أصبغ بن فطيس أبو المطرّف الإمام قاضى الجماعة بقرطبة، سمع الحديث و روى عنه جماعة، و كان من الحفّاظ و كبار العلماء، عارفا بعلل الحديث و الرجال، و له مشاركة فى سائر العلوم.

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرّحمن بن يحيى بن جميع أبو الحسين الصّيداوىّ الغسّانىّ. رحل [إلى] البلاد و سمع الكثير، و روى عنه غير واحد. ولد سنة خمس و ثلثمائة، و كان ثقة محدّثا كبير الشأن، و وفاته فى شهر رجب.

و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه بن الحسن أبو الحسين بن اللبّان البصرىّ العلامة صاحب الفرائض، سمع الحديث و برع فى الفرائض حتى إنه كان يقول:

ليس فى الدنيا فرضىّ إلّا من أصحابى و أصحاب أصحابى أو لا يحسن شيئا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۳۲

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و ثمانى أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و عشر أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۰۳]

السنة السابعة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة ثلاث و أربعمائة.

فيها فى يوم الجمعة سادس عشر المحرّم قلّد الشريف الرضى نقابة الطالبيّين بسائر الممالك.

و فيها أرسل الحاكم صاحب الترجمة كتابا إلى السلطان محمود بن سبكتكين صاحب غزنة يدعوه الى طاعته، فبعث محمود بالكتاب إلى القادر بعد أن خرقه و بصق فى وسطه.

و فيها لم يحجّ أحد من العراق.

و فيها توفّى الحسن بن حامد بن على بن مروان أبو عبد اللّه الفقيه الحنبلىّ الورّاق، كان مدرّس الحنابلة و فقيههم، و له مصنّفات، منها كتاب "الجامع "أربعمائة جزء.

و هو شيخ القاضى أبى يعلى الفرّاء، و كان معظّما فى النفوس مقدّما عند السلطان، و كان زاهدا ورعا، ينسخ بالأجرة و يتقوّت منه.

و فيها توفّى السلطان فيروز أبو نصر بهاء الدولة بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة حسن بن بويه [بن] فنّاخسرو الديلمىّ، و قيل: اسمه خاشاد. و بهاء الدولة هذا هو الذى قبض على الخليفة الطائع و خلعه من الخلافة، و ولّى القادر الخلافة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۳۳

عوضه، و قد ذكرنا ذلك فى وقته. و كان بهاء الدولة ظالما غشوما سفّاكا للدماء، حتى إنه كان خواصّه يهربون من قربه. و جمع من المال ما لم يجمعه أحد من بنى بويه إلا- إن كان عمه فخر الدولة المقدّم ذكره. و لم يكن فى ملوك بنى بويه أظلم منه و لا- أقبح سيرة. و كان به مرض الصرع يصرع فى دست الملك؛ ورث ذلك عن أبيه، و مات به فى أرّجان فى يوم الاثنين خامس جمادى الاخرة. و كانت مدّة سلطنته أربعا و عشرين سنة و تسعة أشهر و أياما، و مات و له اثنتان و أربعون سنة و تسعة أشهر، و حمل من

أرّجان إلى الكوفة. و تولّى الملك من بعده ولده أبو شجاع بعهد منه.

و فيها توفّى قابوس بن و شمكير أمير الجبال بنيسابور و غيرها. كان أيضا سيّئ السيرة، قتل جماعة من خواصّه و حجّابه ففسدت القلوب عليه، و دبّروا فى قتله و قصدوا ابنه منوجهر، و لا زالوا به حتى قبض على أبيه قابوس هذا و قتله بالبرد، ثم قتل منوجهر جماعة ممن أشار عليه بقتل أبيه، و ندم حين لا ينفع الندم.

و فيها توفّى الشريف محمد بن محمد بن عمر العلوىّ أبو الحارث نقيب الطالبيّين بالكوفة. كان شجاعا جوادا ديّنا رئيسا، كانت إليه النقابة مع تسييرا لحاجّ، حجّ بالناس عشر سنوات، و كان ينفق عليهم [من ماله] و يحمل المنقطعين رحمه اللّه. و مات بالكوفة فى جمادى الآخرة.

و فيها توفّى علىّ بن محمد بن خلف الإمام أبو الحسن المعافرىّ القروىّ القابسىّ الفقيه المالكىّ. كان عالم أهل إفريقيّة حجّ و سمع جماعة، و أخذ بإفريقيّة عن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۳۴

ابن مسرور الدبّاغ و غيره، و كان حافظا للحديث و علله، فقيها أصوليّا متكلّما مصنّفا صالحا، و كان أعمى لا يرى شيئا، و هو مع ذلك من أصحّ الناس كتبا و أجودهم تقييدا، يضبط كتبه ثقات أصحابه؛ و الذى ضبط له صحيح البخارىّ بمكة رفيقه أبو محمد الأصيلىّ.

و فيها توفّى محمد بن الطيّب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضى أبو بكر الباقلانى البصرىّ صاحب التصانيف فى علم الكلام، سكن بغداد و كان فى وقته أوحد زمانه، صنّف فى الردّ على الرافضة و المعتزلة و الخوارج و الجهميّة. و ذكره القاضى عياض فى طبقات الفقهاء المالكية فقال: «هو الملقّب بسيف السنّة، و لسان الأمّة، المتكلّم على لسان أهل الحديث، و طريق أبى الحسن الأشعرىّ، و إليه انتهت رياسة المالكية».

و فيها توفّى محمد بن موسى أبو بكر الخوارزمىّ الحنفىّ شيخ الحنفيّة و عالمهم و مفتيهم، انتهت إليه رياسة الحنفية فى زمانه، و كان تفقّه على أبى بكر أحمد بن علىّ الرازىّ، و سمع الحديث من أبى بكر الشافعىّ، و روى عنه أبو بكر البرقانىّ. قال القاضى أبو عبد اللّه الصّيمرىّ بعد ما أثنى عليه: «و ما شاهد الناس مثله فى حسن الفتوى [و الإصابة فيها] و حسن التدريس. و قد دعى إلى ولاية الحكم مرارا فامتنع تورّعا». و مات فى جمادى الأولى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۳۵

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و ثلاث و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۰۴]

السنة الثامنة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة أربع و أربعمائة.

فيها قلّد فخر الملك الأمر، و لقّبه الخليفة القادر سلطان الدولة و عقد لواءه بيده، و قرئ تقليده، و كتب القادر خطّه عليه.

و فيها أبطل الحاكم المنجّمين من بلاده، و أعتق أكثر مماليكه، و جعل ولىّ عهده ابن عمه عبد الرّحيم بن إلياس و خطب له بذلك؛ و أمر بحبس النساء فى البيوت، و صلحت سيرته.

و فيها حجّ بالناس من العراق أبو الحسن محمد بن الحسن، و كذلك فى سنة خمس.

و فيها كانت الملحمة الهائلة بين ملك الترك طغان و بين ملك الصين، فقتل فيها من الكفّار نحو من مائة ألف، و دامت الحرب بينهم أياما، ثم انتصر المسلمون (أعنى الترك) و للّه الحمد.

و فيها استولى الحاكم على حلب و زال ملك بنى حمدان منها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۳۶

و فيها توفّى إبراهيم بن عبد اللّه بن حصن أبو إسحاق الغافقىّ محتسب دمشق من قبل الحاكم، و كان شهما فى الحسبة؛ أدّب رجلا، فلما ضربه درّة، قال المضروب:

هذه فى قفا أبى بكر؛ فلمّا ضربه أخرى قال: هذه فى قفا عمر؛ فضربه أخرى فقال: هذه فى قفا عثمان؛ ثم ضربه أخرى فسكت. فقال له الغافقىّ: أنت ما تعرف ترتيب الصحابة، أنا أعرّفك، و أفضلهم أهل بدر، لأصفعنّك على عددهم فصفعه ثلثمائة و ستّ عشرة درّة؛ فحمل من بين يديه فمات بعد أيام. قلت: الى سقر. و بلغ الحاكم ذلك، فأرسل يشكره و يقول: هذا جزاء من ينتقص السلف الصالح. قلت: لعلّ هذه الواقعة كانت صادفت من الحاكم أيام صلاحه و إظهاره الزهد و التفقّه.

و فيها توفّى الحسين بن أحمد بن جعفر أبو عبد اللّه، كان زاهدا عابدا لا ينام إلا عن غلبة، و كان لا يدخل الحمّام، و يأكل خبز الشعير؛ و مات فى شعبان.

و فيها توفّى على بن سعيد الإصطخرىّ أحد شيوخ المعتزلة، صنّف للقادر "الردّ على الباطنية "و أجرى عليه القادر جراية سنيّة و حبسها من بعده على بنيه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۰۵]

السنة التاسعة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة خمس و أربعمائة.

فيها منع الحاكم النساء من الخروج من بيوتهنّ، و قتل بسبب ذلك عدّة نسوة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۳۷

و فيها جلس الخليفة القادر ببغداد و أحضر العلويّين و العباسيّين و القضاة، و أحضر الخلع السلطانية ما عدا التاج و لواء واحدا، و قرئ عهد أبى طاهر ركن الدين بن بهاء الدولة، و لقّبه بجلال الدولة و جمال الملّة ركن الدين. قلت: و هذا أوّل لقب سمعناه فى الإسلام (أعنى ركن الدين). و لا أدرى متى لقّب به ابن بهاء الدولة المذكور، غير أننى سمعت من بعض علماء العجم أنّ ابن بهاء الدولة المذكور مشى بين يدى الخليفة القادر، فقال له الخليفة: اركب ركن الدين؛ فسمّى بذلك.

و اللّه أعلم.

و فيها حجّ بالناس من العراق أبو الحسن محمد بن الحسن العلوىّ الأقساسىّ.

و فيها توفّى بدر بن حسنويه بن الحسين أبو النجم الكردىّ، كان من أهل الجبال، و ولّاه عضد الدولة الجبال و همذان و دينور و نهاوند و سابور و تلك النواحى بعد وفاة أبيه حسنويه. و كان شجاعا عادلا كثير الصدقات. و الخليفة القادر كناه أبا النجم، و لقّبه ناصر الدولة، و عقد له لواء بيده.

و فيها توفّى بكر بن شاذان بن بكر أبو القاسم المقرئ الواعظ البغدادىّ، قرأ القرآن، و سمع الحديث، و كان عابدا زاهدا، و كانت وفاته فى شوّال.

و فيها توفّى عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه أبو محمد بن الأكفانىّ الحنفىّ القاضى الأسدىّ، كان عالما ديّنا، ولد سنة ستّ عشرة و ثلثمائة. قال أبو إسحاق الطبرىّ:

من قال: إن أحدا أنفق على العلم مائة ألف دينار غير أبى محمد [بن] الأكفانىّ فقد كذب. قلت: هذا هو العلم الخالص لوجه اللّه

تعالى.

و فيها توفّى عبد الرّحمن بن محمد بن عبد اللّه بن إدريس الحافظ أبو سعيد، كان أبوه من أستراباد و سكن سمرقند و صنّف "تاريخ سمرقند "و عرضه على الدارقطنىّ فاستحسنه، و كان ثقة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۳۸

و فيها توفّى عبد السلام بن الحسين بن محمد أبو أحمد البصرىّ اللغوىّ، كان رجلا فاضلا عارفا بالقرآن سمحا جوادا.

و فيها توفّى عبد العزيز بن عمرو بن محمد بن يحيى بن حميد بن نباتة (و نباتة بضم النون) أبو نصر البغدادىّ، كان من الشعراء المجيدين، مات ببغداد فى شوال. و من شعره: [الكامل]

و إذا عجزت من العدوّ فداره و امزج له إنّ المزاج وفاق

فالنار بالماء الذى هو ضدّها تعطى النّضاج و طبعها الإحراق

و فيها توفّى عبد الغفار بن عبد الرّحمن أبو بكر الدينورىّ؛ لم يكن ببغداد مفت على مذهب سفيان الثورىّ غيره، و هو آخر من أفتى بجامع المنصور على مذهب الثورىّ.

قلت: لعلّ ذلك كان بالشرق، و أمّا بالغرب فدام مذهب الثورىّ بعد هذا التاريخ عدّة سنين. كان عبد العفار عالما فاضلا مناظرا، و مات فى شوال.

و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه بن محمد بن حمدويه بن نعيم الحافظ أبو عبد اللّه الحاكم النيسابورىّ، و يعرف بابن البيّع، الضّبىّ، ولد سنة إحدى و عشرين و ثلثمائة، كان أحد أركان الاسلام، و سيّد المحدّثين و إمامهم فى وقته و المرجوع إليه فى هذا الشأن؛ رحل [إلى] البلاد، و صنّف الكتب، و سمع الكثير، و روى عنه الجمّ الغفير، و مات فى صفر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۳۹

و فيها توفّى هبة اللّه بن عيسى، كاتب مهذّب الدولة البطائحىّ و وزيره، كان فاضلا راوية للأخبار و شاعرا فصيحا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و إصبعان.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۰۶]

السنة العشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة ستّ و أربعمائة.

فيها منع فخر الملك يوم عاشوراء من النوح مخافة الفتنة؛ و كان الشريف الرضى قد توفّى فى خامس المحرّم فاشتغلوا به؛ و كان قد وقع بالعراق و باء عظيم خصوصا بالبصرة. و فى صفر قلّد الشريف المرتضى نقابة الطالبيّين و الحجّ و المظالم بعد موت أخيه الشريف الرضى بإشارة سلطان الدولة فخر الملك.

و فيها ولّى الحاكم ساتكين سهم الدولة دمشق، و عزله سنة ثمان.

و فيها لم يحجّ أحد من العراق، و حجّ الناس من مصر و غيرها.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الإسفراينى الفقيه الشافعىّ، كان إماما فقيها عالما، انتهت إليه رياسة مذهب الشافعىّ فى زمانه. كان يقال: لو رآه الشافعىّ لفرح به. و كان يتوسّط بين الخليفة القادر و بين السلطان محمود بن سبكتكين. و مات ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوّال.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۴۰

و فيها توفى محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن علىّ

بن أبى طالب، رضى اللّه عنه، الشريف أبو الحسن الرضى الموسوىّ؛ ولد سنة تسع و خمسين و ثلثمائة. كان عارفا باللغة و الفرائض و الفقه و النحو، و كان شاعرا فصيحا، عالى الهمّة متديّنا، إلّا أنه كان على مذهب القوم إماما للشّيعة هو و أبوه و أخوه. و من شعره من جملة أبيات:

[البسيط]

يا صاحبىّ قفالى و اقضيا وطرا و حدّثانى عن نجد بأخبار

هل روّضت قاعة الوعساء أو مطرت خميلة الطّلح ذات البان و الغار

تضوع أرواح نجد من ثيابهم عند القدوم لقرب العهد بالدار

و فيها توفّى محمد بن الحسن بن فورك أبو بكر الأصبهانىّ الفقيه المتكلّم، كان إماما عالما، استدعى الى نيسابور و تخرّج به جماعة فى الأصول و الكلام، و له فيهما تصانيف. و كان رجلا صالحا، سمع الحديث، و روى عنه أبو بكر البيهقىّ و أبو القاسم القشيرىّ و غيرهما. قتله محمود بن سبكتكين بالسمّ لكونه قال: كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم رسولا فى حياته فقط، و إنّ روحه قد بطل و تلاشى، و ليس هو فى الجنة عند اللّه تعالى (يعنى روحه) صلى اللّه عليه و سلم.

و فيها كان الطاعون العظيم بالبصرة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراع و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و إصبعان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۴۱

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۰۷]

السنة الحادية و العشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة سبع و أربعمائة.

فيها وقعت القبّة الكبيرة التى على الصخرة ببيت المقدس.

و فيها كانت الفتنة بين الرافضة و أهل السنّة بواسط، و نهبت دور الشّيعة و العلويّين، و قصدوا علىّ بن مزيد و استنصروا به.

و فيها احترق مشهد الحسين بن علىّ بكر بلاء من شمعتين غفلوا عنهما.

و فيها فى أوّلها تشعّب الركن اليمانىّ من البيت الحرام.

و فيها كانت الوقعة بين سلطان الدولة و بين أخيه أبى الفوارس، و انهزم أبو الفوارس.

و فيها ملك السلطان محمود بن سبكتكين خوارزم.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن دوست أبو عبد اللّه، كان حافظا متقنا، مات فى شهر رمضان.

و فيها توفّى سليمان بن الحكم الأموىّ المغربىّ صاحب الأندلس. وثب عليه رجلان ادّعيا أنهما من الأشراف و تغلّبا على الأندلس. و كانت مدّة ولاية سليمان هذا على الأندلس ثلاث سنين و ثلاثة أشهر و ثلاثة أيام. و انقطعت بموته ولاية بنى أميّة على الأندلس سبع سنين و ثمانية أشهر و أيّاما، ثم عادت سنة أربع عشرة و أربعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۴۲

و فيها توفّى محمد بن علىّ بن خلف أبو غالب الوزير فخر الملك. أصله من واسط، و كان أبوه صيرفيّا؛ فتنقّلت به الأيام الى أن استوزره بهاء الدولة، و بعثه نائبا عنه إلى بغداد. و كان جوادا ممدّحا، أثّر ببغداد الآثار الجميلة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۰۸]

السنة الثانية و العشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة ثمان و أربعمائة.

فيها عزل الحاكم ساتكين من إمرة دمشق، و كان ظالما غشوما، و هو الذى بنى جسر الحديد تحت قلعة دمشق، و اتفق أنّ يوم فراغ الجسر [قال]:

لا يعبر غدا أحد عليه. فلما أصبح جلس على الباب ينظر إليه و قد عزم على أن يكون أوّل من يركب و يعبر عليه، و اذا بفارس قد أقبل فعبر عليه؛ فأنكره و قال:

من أين؟ قال: من مصر؛ و ناوله كتابا من الحاكم بعزله، فقال بعض أهل دمشق:

[الرمل]

عقد الجسر و قد حل عراه بيديه ما درى أنّ عليه يعبر العزل إليه

و لم يحجّ أحد فى هذه السنين الى سنة اثنتى عشرة و أربعمائة؛ أعنى من العراق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۴۳

و فيها توفّى شباشى المشطّب، و لقبه السعيد و كنيته أبو طاهر، مولى شرف الدولة بن عضد الدولة بن بويه. و لقّبه بهاء الدولة بالسعيد و ذى الفضيلتين، ثم لقّب بهاء الدولة أبا الهيجاء بختكين بالمناصح، و أشرك بينهما فى أمور الأتراك ببغداد.

و كان السعيد هذا كثير الصدقات فائض المعروف و الإحسان لأهل بغداد، كان يكسو الأيتام و الضعفاء و ينظر فى حال الفقراء، و كان من محاسن الدنيا، و عاش بعد المناصح رفيقه ستّة أشهر و مات. و كان رفيقه المناصح أيضا من رجال الدهر و عقلائهم و من أعلاهم همّة، و لم يخلف بعده مثله.

و فيها توفّى محمد بن إبراهيم بن محمد أبو الفتح الطرسوسى المجاهد فى سبيل اللّه، استوطن بيت المقدس بنية الرّباط، و توفّى به.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ستّ عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۰۹]

السنة الثالثة و العشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة تسع و أربعمائة.

فيها توفّى عبد اللّه بن أبى علّان أبو محمد قاضى الأهواز و أحد شيوخ المعتزلة، كان فاضلا، صنّف الكتب الكثيرة فى علم الكلام و غيره. و من جملة تصانيفه:

كتاب جمع فيه فضائل النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، ذكر له فيه ألف معجزة؛ و كان له مال عظيم و ضياع كثيرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۴۴

و فيها توفّى عبد الغنى بن سعيد بن على بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز ابن مروان الحافظ أبو محمد المصرىّ المحدّث المشهور، مولده فى ثانى ذى القعدة سنة اثنتين و ثلاثين و ثلثمائة، و سمع الكثير، و برع فى علم الحديث، و صنّف الكتب:

منها كتاب «المؤتلف و المختلف»، و كان عالما بأسامى الرجال و علل الحديث.

و كان الدار قطنىّ يعظّمه و يقول: ما رأيت فى طريقى مثله، ما اجتمعت به و انفصلت منه إلا بفائدة. و مات بمصر فى شوّال.

و فيها توفّى على بن نصر أبو الحسن مهذّب الدولة صاحب البطيحة، كان جوادا ممدّحا صاحب ذمّة و وفاء؛ و هو الذى استجار به

القادر بالله قبل أن يتخلّف، فأجاره و منع الطائع منه، و قام فى خدمته أحسن قيام.

و فيها توفّى محمد بن الحسين أبو عبد اللّه العلوىّ؛ ولّاه الحاكم القضاء و النقابة و الخطابة بدمشق، و كان فى القضاء قبل ذلك نائبا عن مالك بن سعيد ابن أخت الفارقىّ قاضى قضاة الحاكم، و كانت وفاته بدمشق فى شهر رمضان.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ثمانى أصابع.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۱۰]

السنة الرابعة و العشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى سنة عشر و أربعمائة.

فيها جلس الخليفة القادر بالله ببغداد، و حضر القضاة و الشهود و كتب عهد أبى الفوارس بن بهاء الدولة على كرمان و أعمالها، و بعث إليه بالخلع السلطانية على العادة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۴۵

و فيها ورد كتاب السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين على الخليفة القادر بما فتحه من بلاد الهند و ما وصل إليه من غنائمهم.

و فيها توفّى إبراهيم بن مخلد بن جعفر بن إسحاق أبو إسحاق الباقرحىّ، كان محدّثا صدوقا جيّد النقل حسن الضبط، من أهل الديانة و العلم و الأدب، و كان يتفقّه على مذهب محمد بن جرير الطبرىّ.

و فيها توفى محمد بن المظفّر بن عبد اللّه أبو الحسن المعدّل، كان فاضلا شاعرا؛ مات ببغداد فى جمادى الأولى.

و فيها توفّى هبة اللّه بن سلامة أبو القاسم الضرير البغدادىّ، كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن، و سمع الحديث و رواه، و كان ثقة صالحا.

و فيها توفّى أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ أبو بكر الأصبهانىّ فى شهر رمضان؛ قاله الذهبىّ. و كان إماما حافظا ثقة سمع الكثير، و روى عنه جماعة.

و فيها توفّى عبد الواحد بن محمد بن [عبد اللّه بن محمد بن] مهدىّ الحافظ أبو عمر الفارسىّ البزاز فى شهر رجب عن إحدى و تسعين سنة و أشهر، و كان إماما فقيها محدّثا ثقة من كبار المشايخ.

و فيها توفّى عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك أبو القاسم الشاعر المشهور أحد الشعراء المجيدين المكثرين، و ديوانه فى ثلاثة مجلدات. و من شعره بيت من جملة قصيدة فى غاية الرقة:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۴۶

[الوافر]

و مرّ بى النسيم فرقّ حتّى كأنّى قد شكوت إليه مابى

و مات ببغداد. و بابك بفتح الباءين الموحدتين و بينهما ألف و فى الآخر كاف.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعا و ثمانى أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۱۱]

اشارة

السنة الخامسة و العشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر و هى التى مات فيها الحاكم حسب ما ذكرناه فى ترجمته. و السنة المذكورة سنة إحدى عشرة و أربعمائة.

فيها توفّى محمد بن عبد اللّه بن أحمد أبو الفرج الدمشقىّ و يعرف بابن المعلّم، و هو الذى بنى الكهف بقاسيون، و يقال له كهف جبريل، و فيه المغارة التى يقال:

إنّ الملائكة عزّت آدم عليه السلام فيها لمّا قتل قابيل هابيل. و كان محمد هذا شيخا صالحا زاهدا عابدا، مات فى شهر رجب، و دفن بمقبرة الكهف.

و فيها توفّى الحسن بن الحسن بن علىّ بن المنذر أبو القاسم، كان إماما فاضلا محدّثا؛ و مات ببغداد فى هذه السنة.

و ممن ذكر الذهبىّ وفاتهم، قال: و توفّى أبو نصر أحمد بن محمد بن أحمد بن حسنون النّرسىّ. و الحاكم منصور بن العزيز العبيدىّ صاحب مصر (يعنى صاحب

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۴۷

الترجمة). و أبو القاسم الحسن بن الحسن بن علىّ بن المنذر ببغداد. و أبو القاسم علىّ بن أحمد الخزاعىّ ببلخ. انتهى.

- أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانى أذرع و خمس أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

ذكر ولاية الظاهر على مصر

هو الظاهر لإعزاز دين اللّه أبو هاشم، و قيل: أبو الحسن، علىّ بن الحاكم بأمر اللّه أبى علىّ منصور بن العزيز بالله نزار بن المعزّ لدين اللّه معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهدىّ عبيد اللّه العبيدىّ الفاطمىّ المغربىّ الأصل، المصرىّ المولد و المنشأ و الوفاة، الرابع من خلفاء مصر من بنى عبيد و السابع من المهدىّ. مولده بالقاهرة فى ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان سنة خمس و تسعين و ثلثمائة؛ و ولى الخلافة بعد قتل أبيه الحاكم فى شوّال من سنة إحدى عشرة و أربعمائة؛ حسب ما ذكرناه مفصّلا فى أواخر ترجمة أبيه الحاكم، و قيام عمّته ستّ الملك فى أمره.

و قال صاحب مرآة الزمان: «و ولى الخلافة فى يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة و أربعمائة، و له ستّ عشرة سنة و ثمانية أشهر و خمسة أيّام و تمّ أمره».

و وافقه على ذلك القاضى شمس الدين بن خلكان، لكنّه قال: «و كانت ولايته بعد أبيه بمدّة، لأنّ أباه فقد فى السابع و العشرين من شوّال سنة إحدى عشرة و أربعمائة، و كان الناس يرجون ظهوره، و يتّبعون آثاره إلى أن تحقّقوا [عدمه]، فأقاموا ولده المذكور فى يوم النحر». انتهى كلام ابن خلكان.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۴۸

و قال أبو المظفر فى المرآة: و ملك الظاهر لإعزاز دين اللّه سائر ممالك والده، مثل الشام و الثغور و إفريقية، و قامت عمّته ستّ الملك بتدبير مملكته أحسن قيام، و بذلت العطاء فى الجند و ساست الناس أحسن سياسة. و كان الظاهر لإعزاز دين اللّه عاقلا سمحا جوادا يميل إلى دين و عفّة و حلم مع تواضع. أزال الرسوم التى جدّدها أبوه الحاكم الى خير، و عدل فى الرعيّة و أحسن السيرة، و أعطى الجند و القوّاد الأموال، و استقام له الأمر مدّة؛ و ولّى نوّابه بالبلاد الشامية، إلى أن خرج عليه صالح بن مرداس الكلابىّ و قصد حلب و بها مرتضى الدولة أبو [نصر بن] لؤلؤ الحمدانىّ نيابة عن الظاهر هذا؛ فحاصرها صالح المذكور إلى أن أخذها. ثم تغلّب حسّان

بن المفرّج البدوىّ صاحب الرملة على أكثر الشأم؛ و تضعضعت دولة الظاهر، و استوزر الوزير نجيب الدولة علىّ بن أحمد الجرجرائىّ. و كان الوزير هذا من بيت حشمة و رياسة، و كان أقطع اليدين من المرفقين، قطعهما الحاكم بأمر اللّه فى سنة أربع و أربعمائة؛ و كان يكتب عنه العلامة القاضى أبو عبد اللّه القضاعىّ، و كانت العلامة «الحمد للّه شكرا لنعمته». و لم يظهر أمر هذا الوزير إلا بعد موت عمّة الظاهر ستّ الملك بعد سنة خمس عشرة و أربعمائة. و كان الظاهر لإعزاز دين اللّه كثير الصدقات منصفا من نفسه، لا يدّعى دعاوى والده و جدّه فى معرفة النجوم و غيرها من الأشياء المنكرة، لا سيما لمّا وقع من بعض حجّاج المصريّين كسر الحجر الأسود بالبيت الحرام فى سنة ثلاث عشرة و أربعمائة. و كان أمر الحجر أنّه لمّا وصل الحاجّ المصرىّ الى مكة المشرّفة، وثب شخص من الحاجّ الى الحجر الأسود و هو مكانه من البيت الحرام، و ضربه بدبّوس كان فى يده حتى شعثه و كسر قطعا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۴۹

منه، و عاجله الناس فقتلوه؛ و ثار المكيّون بالمصريّين فقتلوا منهم جماعة و نهبوهم، حتّى ركب أبو الفتوح الحسن بن جعفر فأطفأ الفتنة و دفع عن المصريّين. و قيل:

إنّ الرجل الذى فعل ذلك كان من الجهّال الذين استغواهم الحاكم و أفسد عقائدهم.

فلمّا بلغ الظاهر ذلك شقّ عليه و كتب كتابا فى هذا المعنى.

قال هلال بن الصابئ ": وجدت كتابا كتب من مصر فى سنة أربع عشرة و أربعمائة على لسان المصريّين، و هو كتاب طويل، فمنه ": و ذهبت طائفة من النّصيريّة الى الغلوّ فى أبينا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب، رضوان اللّه عليه، غلت و ادّعت فيه ما ادّعت النصارى فى المسيح. و نجمت من هؤلاء الكفرة فرقة سخيفة العقول ضالّة بجهلها عن سواء السبيل؛ فغلوا فينا غلوّا كبيرا، و قالوا فى آبائنا و أجدادنا منكرا من القول و زورا؛ و نسبونا بغلوّهم الأشنع، و جهلهم المستفظع، إلى ما لا يليق بنا ذكره. و إنا لنبرأ الى اللّه تعالى من هؤلاء الجهلة الكفرة الضّلّال. و نسأل اللّه أن يحسن معونتنا على إعزاز دينه و توطيد قواعده و تمكينه، و العمل بما أمرنا به جدّنا المصطفى، و أبونا علىّ المرتضى، و أسلافنا البررة أعلام الهدى. و قد علمتم يا معشر أوليائنا و دعاتنا ما حكمنا به من قطع دابر هؤلاء الكفرة الفسّاق، و الفجرة المرّاق؛ و تفريقنا لهم فى البلاد كل مفرّق؛ فظعنوا فى الآفاق هاربين، و شردوا مطرودين خائفين. و كان من جملة من دعاه الخوف منهم الى الانتزاح رجل من أهل البصرة أهوج أثول، ضالّ مضلّ، سار مع الحجيج الى مكّة- حرسها اللّه- فرقا من وقع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۵۰

الحسام، و تستّرا بالحجّ الى بيت اللّه الحرام. فلمّا حصل فى البيت المفضّل المعظّم، و المحل المقدّس المكرّم؛ أعلن بالكفر و ما كان يخفيه من المكر، و حمله [لمم فى عقله] على قصد الحجر الأسود حتّى قصده و ضربه بدبّوس ضربات متواليات، أطارت منه شظايا وصلت بعد ذلك. ثم إنّ هذا الكافر عوجل بالقتل على أسوء حاله و أضلّ أعماله، و ألحق بأمثاله من الكفرة الواردين موارد ضلاله؛ ذلك لهم خزى فى الدنيا و لهم فى الآخرة عذاب عظيم. و لعمرى إنّ هذه لمصيبة فى الإسلام قادحة، و نكاية فادحة؛ فإنّا للّه و إنّا إليه راجعون. لقد ارتقى هذا الملعون مرتقى عظيما و مقاما جسيما، أذكر به ما كان أقدم عليه غلام ثقيف المعروف بالحجّاج- لعنه اللّه- من إحراق البيت و هدمه، و إزالة بنيانه وردمه "ثم ذكر كلاما طويلا فى هذا المعنى يطول الشرح فى ذكره». انتهى كلام ابن الصابئ.

و روى ابن ناصر بإسناد إلى أبى عبد اللّه محمد بن علىّ العلوىّ، قال:

"و فى سنة ثلاث عشرة و أربعمائة كسر الحجر الأسود لمّا صلّيت الجمعة يوم النّفر الأوّل بمنى، و لم يكن رجع الناس بعد من منى، قام رجل ممن ورد من ناحية مصر بيده سيف مسلول و بالأخرى دبّوس بعد ما قضى الإمام الصلاة، فقصد الحجر الأسود ليستلمه على الرسم، فضرب وجه الحجر ثلاث ضربات متواليات بالدبّوس، و قال: إلى متى يعبد الحجر! و لا محمد و لا علىّ يقدران على منعى عما أفعله؛ إنى أريد أن أهدم هذا البيت و أرفعه. فاتّقاه الحاضرون و تراجعوا عنه، و كاد يفلت. و كان رجلا تامّ القامة أحمر اللون أشقر

الشعر سمينا، و كان على باب المسجد عشرة فرسان على أن ينصروه؛ فاحتسب رجل من أهل اليمن أو من أهل مكّة أو غيرها نفسه،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۵۱

فوجأه بخنجر و احتوشه الناس فقتلوه، و قطّعوه و أحرقوه بالنار، و ثارت الفتنة؛ فكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين غير ما أخفى منهم. و تقشّر بعض وجه الحجر فى وسطه من تلك الضربات و تخشّن. و زعم بعض الحجّاج أنه سقط منه ثلاث قطع، و كأنه نقب ثلاثة نقوب، و تساقطت منه شظايا مثل الأظفار؛ و موضع الكسر أسمر يضرب إلى صفرة، محبّب مثل الخشخاش. فجمع بنو شيبة ما تفرّق منه و عجنوه بالمسك، و حشوا تلك المواضع و طلوها بطلاء من اللّك فهو بيّن لمن تأمّله، و هو على حاله الى اليوم». انتهى.

ثم بعد هذه الواقعة بلغ الظاهر هذا أنّ السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين عظم أمره، فأحبّ أن يكتب إليه كتابا يدعوه إلى طاعته؛ فكتب إليه و ارسل إليه بالخلع، و أن يخطب باسمه بتلك البلاد. و كان أبوه الحاكم بأمر اللّه أرسل إليه قبل ذلك، فخرق محمود بن سبكتكين كتاب الحاكم و بصق فيه؛ و مات الحاكم و فى قلبه من ذلك أمور، و قد ذكرنا ذلك فى ترجمته. فلما علم الظاهر هذا بما كان والده الحاكم عزم عليه من أمر محمود المذكور أخذ هو أيضا فى ذلك، و كاتب السلطان محمودا؛ فلم يلتفت محمود لكتابه، و بعث به و بالخلع الى الخليفة القادر العباسىّ، و تبرأ من الظاهر هذا. فجمع القادر القضاة و الأشراف و الجند و غيرهم ببغداد، و أخرج الخلع الى باب النوبىّ، و كانت سبع جبب و فرجيّة و مركب ذهب، و أضرمت النار و ألقيت الثياب فيها، و سبك المركب الذهب، فظهر منه أربعون ألف دينار و خمسائة، و قيل: أخرج منه دراهم هذا العدد؛ فتصدّق بها الخليفة القادر على ضعفاء بنى هاشم.

و بلغ الظاهر فقامت قيامته، و انكف عن مكاتبة محمود بعدها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۵۲

و كان الظاهر ينظر فى مصالح الرعيّة بنفسه و فى إصلاح البلاد. فلمّا وقع الفناء فى ذوات الأربع فى سنة سبع عشرة و أربعمائة، منع الظاهر من ذبح البقر السليمة من العيوب التى تصلح للحرث و غيره، و كتب على لسانه كتاب قرئ على الناس، فمنه:

«إن اللّه تعالى بتتابع نعمته و بالغ حكمته، خلق ضروب الأنعام، و عمل فيها منافع الأنام؛ فوجب أن تحمى البقر المخصوصة بعمارة الأرض، المذلّلة لمصالح الخلق؛ فإنّ فى ذبحها غاية الفساد، و إضرارا للعباد و البلاد». و أباح ذبح مالا يصلح للعمل و لا يحصل به النفع. فمنع الناس ذبح البقر، و حصل بذلك النفع التام.

و مات فى أيّام الظاهر المذكور مبارك الأنماطىّ البغدادىّ التاجر، و كان له مال عظيم، و كان قد خرج من بغداد الى مصر فتوفّى بها فى سنة سبع عشرة و أربعمائة، و كان معه ثلثمائة ألف دينار. فقال الظاهر: هل له وارث؟ فقيل: ماله سوى بنت ببغداد؛ فترك الظاهر المال كلّه للبنت و لم يأخذ منه شيئا.

و فى سنة عشرين و أربعمائة خرج على الظاهر بالبلاد الشاميّة صالح بن مرداس أسد الدولة و حسّان بن المفرّج بن الجرّاح، و جمعا الجموع و استوليا على الأعمال، و انتهيا الى غزّة. فجهز الظاهر لحربهما جيشا عليه القائد أنوشتكين منتخب الدولة التركىّ أمير الجيوش المعروف بالدّز برىّ، فالتقى معهما؛ فانهزم حسّان بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۵۳

المفرّج، و قتل صالح و ابنه الأصغر. و بعث الدّزبرىّ برأس صالح الى الظاهر بمصر، و أفلت نصر بن صالح الأكبر الى حلب. و استولى اللدزبرىّ على الشام و نزل على دمشق، و كتب الى الظاهر كتابا مضمونه النصر، و يعرّفه فيه بما جرى؛ و كان بينه و بينهما ملحمة هائلة. و لما فرغ الدزبرىّ من القتال مدحه مظفر الدولة بن حيّوس بأبيات بسبب هذه الواقعة، أوّلها: [الكامل]

هل للخليط المستقلّ إياب أم هل لأيّام مضت أعقاب

يامىّ هل لدنوّ دارك رجعة أم للعتاب لديكم إعتاب

لا أرتجى يوما سلوّا عنكم هيهات سدّت دونه الأبواب

أوصاب جسمى من جنايۀ بعدكم و الصبر صبر بعدكم أو صاب

و لمصطفى الملك اعتزام المصطفى لمّا أحاط بيثرب الأحزاب

يومان للإسلام عزّ لديهما دين الإله و ذلّت الأعراب

طلبوا العقاب ليسلموا بنفوسهم فابتزهم دون العقاب عقاب

و استشعروا نصرا فكان عليهم و تقطّعت دون المراد رقاب

كانوا حديدا فى الوغى لكنّهم لما اصطلوا نار المظفّر ذابوا

و القصيدۀ أطول من هذا، و كلّها على هذا النّموذج. و لمّا انهزم شبل الدولۀ نصر بن صالح المذكور الى حلب و ملكها، طمع صاحب أنطاكيۀ الرومىّ فى حلب،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۵۴

و جمع الروم و سار اليها و أحاط بها و قاتل أهلها؛ فكبسه شبل الدولۀ نصر المذكور من داخلها و معه أهل البلد فقتلوا معظم أصحابه؛ و انهزم ملكهم صاحب أنطاكيۀ اليها فى نفر يسير من أصحابه، و غنم نصر أموالهم و عساكرهم. و قيل: كبسه نصر المذكور على إعزاز فغنم منه أموالا عظيمۀ. و سرّ الظاهر هذا بنصرۀ نصر لكون الإسلام يجمع بينهما. و كان المتغلّبون على البلاد فى أيّام الظاهر كثيرين جدا، و ذلك لصغر سنّه و ضعف بدنه. و وقع له فى أيّامه خطوب قاساها إلى أن توفّى بالقاهرۀ فى يوم الأحد النصف من شعبان سنۀ سبع و عشرين و أربعمائۀ، و عمره إحدى و ثلاثون سنۀ. و كانت ولايته على مصر ستّ عشرۀ سنۀ و تسعۀ أشهر.

و تولّى الملك بعده ابنه أبو تميم معدّ، و لقب بالمستنصر و سنه ثمانى سنين؛ و قام علىّ بن أحمد الجرجرائىّ الوزير بالأمر، و أخذ له البيعۀ، و قرّر للجند أرزاقهم، و استقامت الأحوال. و كانت وفاۀ الظاهر بعلّۀ الاستسقاء، طالت به نيّفا و عشرين سنۀ من عمره.

قلت: و لهذا أشرنا أنه كان كثرۀ من تغلب عليه لضعف بدنه و صغر سنه.

و كان الظاهر جوادا ممدّحا سمحا حليما محببا للرعيّۀ، و لا بأس به بالنسبۀ لآبائه و أجداده. و هو الذى بنى قصر اللؤلؤۀ عند باب القنطرۀ، و هو من القصور المعدودۀ بالقاهرۀ، و صار يتنزّه به هو و من جاء بعده من خلفاء مصر من ذرّيته و أقاربه، و كان التوصل الى القصر من باب مراد، و صار الخلفاء يقيمون به فى أيّام النيل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۵۵

و دام أمر هذا القصر مستقيما إلى أن وقع الغلاء بالدّيار المصريّۀ فى زمن المستنصر، و ذهب من محاسن القاهرۀ شىء كثير من عظم الغلاء و الوباء؛ كما سيأتى ذكره إن شاء اللّه فى محلّه.

***

[ما وقع من الحوادث سنۀ ۴۱۲]

السنۀ الأولى من ولايۀ الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنۀ اثنتى عشرۀ و أربعمائۀ.

فيها وقّع بين سلطان الدولۀ و بين مشرّف الدولۀ بن بويه، و استفحل فى الآخر أمر مشرّف الدولۀ، و خطب له ببغداد فى المحرّم، و خوطب بشاهنشاه مولى أمير المؤمنين، و قطعت الخطبۀ لسلطان الدولۀ من بغداد.

و فيها لم يحجّ أحد من العراقيّين و لا فى الماضيۀ. فقصد الناس يمين الدولۀ محمود بن سبكتكين و قالوا له: أنت سلطان الإسلام و أعظم ملوك الأرض، و فى كلّ سنۀ تفتح من بلاد الكفر ما تحبّه، و الثواب فى فتح طريق الحجّ أعظم، و قد كان الأمير بدر بن حسنويه، و ما فى أمرائك إلّا من هو أكبر منه [شأنا]، يسيّر الحاجّ بماله و تدبيره عشرين سنۀ. فتقدّم ابن سبكتكين إلى قاضيه أبى

محمد الناصحىّ بالتأهب للحجّ و نادى فى أعمال خراسان بالحجّ، و أطلق للعرب ثلاثين ألف دينار سلّمها الى الناصحىّ المذكور غير ما للصدقات؛ فحجّ بالناس أبو الحسن الأقساسىّ. فلمّا بلغوا فيد حاصرتهم العرب؛ فبذل لهم القاضى الناصحىّ خمسة آلاف دينار؛ فلم يقنعوا و صمّموا على أخذ الحاجّ؛ فركب رأسهم جماز بن عدى و قد انضم عليه ألفا رجل من بنى نبهان،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۵۶

و أخذ بيده رمحا و جال حول الحاجّ، و كان فى السّمرقنديّين غلام يعرف بابن عفّان، فرماه بسهم فسقط منه ميتا و هرب جمعه، و عاد الحاجّ فى سلامة.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن أحمد أبو سعيد المالينىّ الصوفىّ الحافظ، سافر إلى الأقطار، و سمع خلقا كثيرا، و صنّف و صحب المشايخ، و كان يقال له طاوس الفقهاء.

و فيها توفّى الحسن بن علىّ أبو علىّ الدقّاق النيسابورىّ أحد المشايخ، كان صاحب حال و مقال. قال القشيرىّ: سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقّاق يقول فى قول النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم ": من تواضع لغنىّ لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه "قال:

لأنّ المرء بأصغريه قلبه و لسانه، فإذا خدمه بأركانه و تواضع له بلسانه ذهب ثلثا دينه، فإن خدمه بقلبه ذهب الكلّ.

و فيها توفّى محمد بن أحمد بن محمد أبو الحسن بن رزقويه البغدادىّ البزّاز، ولد سنة خمس و عشرين و ثلثمائة، و درس الفقه، و سمع الحديث فأكثر؛ و كان ثقة صدوقا كثير السماع حسن الاعتقاد جميل المذهب.

و فيها توفّى محمد بن الحسين بن محمد بن موسى أبو عبد الرّحمن السّلمىّ النيسابورىّ الحافظ الكبير شيخ شيوخ الدنيا فى زمانه، طاف الدنيا شرقا و غربا، و لقى الشيوخ الأبدال، و إليه المرجع فى علوم الحقائق و السير و غيرها، و له المصنفات الحسان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۴؛ ص۲۵۶

فيها توفّى محمد بن عمر أبو بكر العنبرىّ الشاعر، مات يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى ببغداد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۵۷

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ستّ عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۱۳]

السنة الثانية من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة ثلاث عشرة و أربعمائة.

فيها وقع الصلح بين سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن بويه و بين أخيه مشرّف الدولة على يد الأوحد أبى محمد وزير سلطان الدولة، و خطب لسلطان الدولة ببغداد كما كان أوّلا قبل الخلاف.

و فيها توفّى علىّ بن عيسى بن سليمان أبو الحسن القاضى المعروف بالسكرىّ الفارسىّ، مولده فى صفر ببغداد سنة سبع و ثلثمائة، كان فاضلا عالما مات فى شعبان رحمه اللّه.

و فيها توفّى علىّ بن هلال الإمام الأستاذ أبو الحسن صاحب الخطّ المنسوب الفائق المعروف بابن البوّاب. كان أبوه بوّابا لبنى بويه، و قرأ هو القرآن و تفقّه وفاق أهل عصره فى الخطّ المنسوب، حتى شاع ذكره شرقا و غربا. و من شعر أبى العلاء المعرّى من قصيدة: [الطويل]

و لاح هلال مثل نون أجادها بماء النّضار الكاتب ابن هلال

يعنى بابن هلال ابن البوّاب هذا. و قال هلال ابن الصابئ: دخل أبو الحسن البتّىّ دار فخر الملك، فوجد ابن البوّاب هذا جالسا على

عتبة الباب ينتظر خروج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۵۸

فخر الملك، فقال له: جلوس الأستاذ فى العتب، رعاية للنسب. فغضب ابن البواب و قال: لو كان لى الأمر ما مكنت مثلك من الدخول؛ فقال البتّىّ: حتى لا يترك الشيخ صنعته. انتهى. و قد قال فيه بعضهم: [البسيط]

هذا و أنت ابن بوّاب و ذو عدم فكيف لو كنت ربّ الدار و المال

و فيها توفّى محمد بن [محمد بن] النعمان أبو عبد اللّه فقيه الشيعة و شيخ الرافضة و عالمها و مصنّف الكتب فى مذهبها. قرأ عليه الرضى و المرتضى و غيرهما من الرافضة، و كان له منزلة عند بنى بويه و عند ملوك الأطراف الرافضة. قلت: كان ضالّا مضلّا هو و من قرأ عليه و من رفع منزلته؛ فإن الجميع كانوا يقعون فى حقّ الصحابة رضوان اللّه عليهم أجمعين؛ عليهم من اللّه ما يستحقّونه. و رثاه الشريف المرتضى؛ و لو عاش أخوه لكان أمعن فى ذلك، فإنّهما كانا أيضا من كبار الرافضة. و قد تكلّم أيضا فى بنى بويه أنّهم كانوا يميلون إلى هذا المذهب الخبيث؛ و لهذا نفرت القلوب منهم، و زال ملكهم بعد تشييده.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۱۴]

السنة الثالثة من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة أربع عشرة و أربعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۵۹

فيها دخل مشرّف الدولة بن بهاء الدولة إلى بغداد، و تلقّاه الخليفة فى زبزب بأبّهة الخلافة؛ و لم يكن القادر لقى أحدا من الملوك قبله.

و فيها ورد كتاب السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين على الخليفة القادر أنه أوغل فى بلاد الهند. و عنوان الكتاب ": عبد مولانا أمير المؤمنين و صنيعته محمود بن سبكتكين."

و فيها عادت دولة بنى أميّة إلى الأندلس بعد أن انقطعت سبع سنين.

و فيها توفّى الحسن بن الفضل بن سهلان أبو محمد وزير سلطان الدولة، و هو الذى بنى [سور] الحائر بمشهد الحسين بكربلاء، و كان من كبار الشيعة، كان رافضيّا خبيثا، قبض عليه و صودر و سمل و حبس حتى مات.

و فيها توفّى محمد بن أحمد أبو جعفر النسفىّ الفقيه الحنفىّ العلّامة، صاحب التصانيف و مصنّف كتاب التعليقة المشهورة و غيره. كان عالما فاضلا و ورعا و زاهدا مفتّنا فى علوم، و كانت وفاته فى شعبان.

و فيها توفّى محمد بن الخضر بن عمر أبو الحسين الحمصىّ القاضى الفرضىّ، ولى القضاء بدمشق نيابة عن أبى عبد اللّه محمد بن الحسين النّصيبىّ، و كان نزها عفيفا.

مات بدمشق فى جمادى الأولى.

و فيها توفّى تمّام بن محمد بن عبد اللّه بن جعفر بن عبد اللّه بن الجنيد الحافظ أبو القاسم ابن الحافظ أبى الحسين الرازىّ ثم الدمشقىّ المحدّث. ولد بدمشق سنة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۶۰

ثلاثين و ثلثمائة، و سمع الكثير و حدّث. قال أبو بكر الحدّاد: «ما لقينا مثل تمام فى الحفظ و الخير». مات فى المحرّم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و ثمانى أصابع.

مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا:

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۱۵]

السنة الرابعة من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة خمس عشرة و أربعمائة.

فيها حجّ من العراقيّين أبو الحسن الأقساسىّ و معه حسنك صاحب محمود بن سبكتكين؛ فأرسل إليه الظاهر صاحب مصر خلعا و صلة، فقبلها حسنك ثم خاف من القادر فلم يدخل بغداد؛ و كاتب القادر ابن سبكتكين فيما فعل حسنك؛ فأرسل إليه حسنك بالخلع المصريّة، فأحرقها القادر. و كان حسنك أمير خراسان من قبل ابن سبكتكين.

و فيها ولى وزارة مصر للظاهر صاحب الترجمة نجيب الدولة علىّ بن أحمد الجرجرائىّ بعد موت ستّ الملك عمّة الظاهر.

و فيها منع الرافضة من النوح فى يوم عاشوراء؛ و وقع بسبب ذلك فتنة بين الشيعة و أهل السنّة قتل فيها خلق كثير؛ و منع الرافضة من النوح و عيد الغدير، و أيّد اللّه أهل السنة، و للّه الحمد.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن أبو الفرج العدل البغدادىّ الفقيه الحنفىّ، و يعرف بابن المسلمة؛ مولده سنة سبع و ثلاثين و ثلثمائة، و سمع الحديث، و كان إماما عالما فاضلا صدوقا ثقة كثير المعروف، و داره مأوى لأهل العلم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۶۱

و فيها توفّى سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه ابن ركن الدولة الحسن بن بويه بن فنّاخسرو الديلمىّ بشيراز. و كان مدّة ملكه اثنتى عشرة سنة و أشهرا، و تولّى الملك صبيّا؛ و مات و له ثلاث و عشرون سنة.

و قال صاحب مرآة الزمان: مات عن اثنتين و ثلاثين سنة. انتهى. قلت:

و كان فى مدّة ملكه وقع له حروب كثيرة مع أخيه مشرّف الدولة و خطب له ببغداد ثم اصطلحا، حسب ما ذكرناه؛ و خطب لمشرّف الدولة على عادته الى أن توفّى سلطان الدولة هذا.

و فيها توفّى عبد اللّه بن عبد اللّه بن الحسين أبو القاسم الخفّاف، كان يعرف بابن النقيب البغدادىّ، رأى الشّبلىّ و غيره، و سمع الكثير و كان سماعه صحيحا، و كان شديدا فى السنة؛ و لما مات ابن المعلم فقيه الشيعة جلس رضى اللّه عنه للتهنئة؛ و قال: ما أبالى أىّ وقت متّ بعد أن شاهدت موته. و أقام عدّة سنين يصلّى الفجر بوضوء العشاء الآخرة. قلت: و مما يدلّ على دينه و حسن اعتقاده بغضه للشيعة عليهم الخزىّ. و لو لم يكن من حسناته إلّا ذلك لكفاة عند اللّه.

و فيها توفّى محمد بن الحسن الشريف أبو الحسن الأقساسىّ العلوىّ. هو من ولد زيد بن علىّ بن الحسين رضى اللّه عنه. حجّ بالناس من العراق سنين كثيرة نيابة عن المرتضى، و كان فاضلا شاعرا فصيحا، و هو أيضا من كبار الشيعة.

و فيها توفّى الأمير أبو طاهر بن دمنة صاحب آمد من ديار بكر. كان قتل ابن مروان صاحب ميّا فارقين و قتل عبد البر شيخ آمد و استولى عليهما من سنة سبع و ثمانين و ثلثمائة الى هذه السنة. و كان يصانع ممهد الدولة بن مروان، و أيضا يصانع شروة. فلمّا قتل شروة ممهد الدولة و ولى أخوه أبو منصور، طمع هذا فى البلاد و استفحل أمره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۶۲

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل الضبىّ [أبو الحسن] المحاملىّ الفقيه الشافعىّ، كان تفقّه بأبى حامد الإسفراينى و غيره، و كان إماما فقيها مصنّفا، مات فى شهر ربيع الأول.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و خمس أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۱۶]

السنة الخامسة من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة ستّ عشرة و أربعمائة.

فيها توفى فى شهر ربيع الآخر السلطان مشرّف الدولة أبو على الحسن ابن السلطان أبى نصر فيروز بهاء الدولة ابن السلطان عضد الدولة بويه ابن السلطان ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمىّ. و استقر الأمر بعد موته على تولية جلال الدولة أبى طاهر، فخطب له على منابر بغداد و هو بالبصرة، و خلع على شرف الملك أبى سعيد بن ماكولا وزيره، و لقّبه علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك.

قلت: و هذا ثانى لقب سمعناه من اسم مضاف إلى الدين. و أوّل ما سمعنا من هذه الألقاب لقب بهاء الدولة بن بويه "ركن الدين."

قلنا: لعل ذلك كان تعظيما فى حقّه لكونه سلطانا، فيكون هذا على هذا الحكم هو أوّل لقب لقّب به فى الإسلام؛ و اللّه أعلم. و من يومئذ ظهرت الألقاب و تغالت فيها الأعاجم، حتّى إنّهم لم يدعوا شيئا إلا و أضافوا الدين له، حتى اشتهر ذلك و شاع و سمّى به كلّ أحد حتى الأسالمة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۶۳

فمنهم من يسمى جلال الدين، و سعد الدين، و جمال الدين، فلا قوة إلا بالله. و حقّ المغاربة فى حنقهم ممن يلقّب بهذه الألقاب. و أنا باللّه أحلف لو ملكت أمرى ما لقّبت بجمال الدين و لا غيره، و أكره من يسمينى بذلك و لا أقدر على تغيير الاصطلاح. و هذا لا يكون إلّا من ولىّ أمر أو حاكم بلدة. و قد خرجنا عن المقصود فنعود إلى ذكر مشرّف الدولة.

و مات مشرّف الدولة و له ثلاث و عشرون سنة و ثلاثة أشهر و أربعة عشر يوما.

و كانت مدّة ملكه خمس سنين و شهرا و خمسة و عشرين يوما. و كان شجاعا مقداما جوادا، إلا أنّه كان يميل إلى الشيعة على عادة آبائه و أجداده ميلا ليس بذاك، و ينصر أهل السنة فى بعض الأحيان. و كل ملوك بنى بويه كانوا على ذلك، غير أنهم كانوا يميلون فى الباطن للشيعة. و اللّه أعلم بحالهم.

و فيها توفّى عبد الرّحمن بن عمر بن محمد بن سعيد أبو محمد التّجيبىّ المصرىّ البزّار، المعروف بابن النحاس، مسند ديار مصر فى وقته. مولده ليلة النحر سنة ثلاث و عشرين و ثلثمائة، و مات فى عاشر صفر.

و فيها توفّى علىّ بن محمد أبو الحسن التّهامىّ الشاعر المشهور، كان من الشعراء المجيدين، و شعره فى غاية الحسن. قدم القاهرة مستخفيا و معه كتب كثيرة من حسّان بن المفرّج البدوىّ و هو متوجّه إلى بنى قرّة، فظفروا به فاعتقل بخزانة البنود فى سادس عشرين شهر ربيع الآخر، ثم قتل سرّا فى سجنه فى تاسع جمادى الأولى. و التهامىّ بكسر التاء المثناة من فوقها و فتح الهاء و بعد الألف ميم، هذه النسبة الى تهامة، و هى تطلق على مكّة حرسها اللّه. و من شعر التهامىّ من جملة قصيدة: [السريع]

قلت لخلّى و ثغور الرّبا مبتسمات و ثغور الملاح

أيّهما أحلى ترى منظرا فقال لا أعلم كلّ أقاح

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۶۴

و له بيت بديع من جملة قصيدة: [الكامل]

و إذا جفاك الدهر و هو أبو الورى طرّا فلا تعتب على أولاده

و فيها توفّى محمد بن يحيى بن أحمد بن الحذّاء أبو عبد اللّه القرطبىّ الحافظ المحدّث العلامة، سمع الكثير و روى الحديث، و كتب و صنّف، و مات فى شهر رمضان.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۱۷]

السنة السادسة من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة سبع عشرة و أربعمائة.

فيها عاد جلال الدولة إلى البصرة، و قبض على وزيره أبى سعيد عبد الواحد بن أحمد بن جعفر بن ماكولا و على أبى علىّ ابن عمه.

ثمّ جرت أسباب استوجبت إطلاق ابن عمه؛ و استوزه جلال الدولة و لقّبه يمين الدولة وزير الوزراء، و خلع عليه.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب أبو الحسن القرشىّ الأمويّ قاضى القضاة، كان عفيفا جليلا. قال القاضى أبو العلاء: ما رأينا مثله جلالة و صيانة و شرفا.

و فيها توفّى محسّن بن عبد اللّه بن محمد أبو القاسم التنوخىّ اللغوىّ القاضى الحنفىّ، ولد يوم الأحد الثامن و العشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسع و أربعين و ثلثمائة، و قدم دمشق مجتازا إلى الحجّ، فأدركه أجله فى الطريق فى ذى القعدة، فحمل إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۶۵

مدينة النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم و دفن بالبقيع. و كان من أوعية العلم، و له مصنّفات كثيرة و شعر جيّد؛ من ذلك: [الطويل]

و كلّ أداريه على حسب حاله سوى حاسدى فهى التى لا أنالها

و كيف يدارى المرء حاسد نعمة إذا كان لا يرضيه إلا زوالها

و فيها توفّى عبد اللّه بن أحمد الإمام أبو بكر المروزىّ القفّال شيخ الشافعيّة بخراسان، كان يعمل الأقفال و حذق فى عملها حتّى صنع قفلا بآلته و مفتاحه وزن أربع حبّات. فلما صار ابن ثلاثين سنة اشتغل بالعلم و تفقّه حتّى برع فيه وفاق أقرانه. و مات فى جمادى الآخرة و له تسعون سنة.

و فيها توفّى علىّ بن أحمد بن عمر بن حفص أبو الحسن بن الحمّامىّ، كان إماما محدّثا كبير الشأن، سمع و حدّث، و مات فى شعبان عن تسع و ثمانين سنة.

و فيها توفّى، فى قول الذهبىّ، عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه أبو حازم الهذلىّ العبدوىّ الحافظ الكبير الرحّال، سمع الحديث و حدّث، و روى عنه غير واحد، و مات بنيسابور.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و سبع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۱۸]

السنة السابعة من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة ثمانى عشرة و أربعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۶۶

فيها خطب لجلال الدولة على المنابر ببغداد بعد أن منع الأتراك من ذلك و خطبوا لأبى كاليجار.

و فيها ورد كتاب للسلطان محمود بن سبكتكين على الخليفة القادر يخبر بما فتح من البلاد من أرض الهند، و كسره الصنم المعروف بسومنات.

و فيها توفّى الحسين بن علىّ بن الحسين أبو القاسم الوزير المغربىّ، ولد بمصر فى ذى الحجّة سنة سبعين و ثلثمائة، و هرب منها لمّا قتل الحاكم أباه عليّا و عمّه محمدا.

و قيل: إن أباه وزر للعزيز بمصر ثم للحاكم ابنه. و هرب الحسين هذا للعراق، و خدم بنى بويه، و وقع له بالشرق أمور، و وزر لغير واحد من ملوك الشرق.

و كان فاضلا عاقلا- شاعرا شهما شجاعا كافيا فى فنّه، حتى قيل: إنّه لم يل الوزارة لخليفة و لا ملك أكفى منه. و من شعره قوله: [المجتث]

الدهر سهل و صعب و العيش مرّ و عذب

فاكسب بمالك حمدا فليس للحمد كسب

و ما يدوم سرور فآختم وطينك رطب

و فيها توفّى عبد الرّحمن بن هشام القرشىّ الأمويّ صاحب الأندلس، الذى كان لقّب نفسه فى سنة أربع عشرة و أربعمائة بالمستظهر و المستكفى و المعتمد؛ و عاد ملك بنى أميّة إلى الأندلس بسببه؛ فلما كان فى هذه السنة وثب الجند عليه فقتلوه؛ و انقطعت ولاية بنى أمية عن الأندلس إلى سنة ثلاث و أربعين و أربعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۶۷

و كانت ولاة الأندلس من بنى أميّة أربعة عشر على عدد أسلافهم، و مدّة سنينهم مائتان و ثمانون سنة، فأوّلهم عبد الرّحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو المطرّف الملقّب بالداخل، لكونه دخل المغرب؛ بويع سنة تسع و ثلاثين و مائة فى أيّام أبى جعفر المنصور العباسىّ. ثمّ ولى بعده ابنه هشام فى سنة اثنتين و سبعين. ثم ولى بعده ابنه الحكم بن هشام بن عبد الرّحمن فى سنة ثمانين و مائة. ثم ولى بعده ابنه عبد الرّحمن بن الحكم فى سنة ستّ و ثمانين و مائة. ثم ولى بعده ابنه محمد فى سنة ثمان و ثلاثين و مائتين. ثم ولى بعده ابنه المنذر بن محمد سنة ثلاث و سبعين و مائتين و مات سنة خمس و سبعين، و لم يكن له ولد؛ فولى عبد اللّه ابن محمد بن عبد الرّحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرّحمن الداخل. ثم ولى بعده ابنه عبد الرّحمن سنة ثلثمائة. ثم ولى بعده الحكم بن عبد الرّحمن سنة ثمان و خمسين و ثلثمائة. ثم ولى بعده ابنه هشام سنة سبعين و ثلثمائة و مات سنة تسع و تسعين و ثلثمائة بعد أن تغلّب عليه محمد بن هشام بن عبد الجبّار الملقّب بالناصر لدين اللّه؛ ثم غلب عليه سليمان بن الحكم. ثم ولى هشام بن الحكم بن عبد الرّحمن، ثم وقع خباط كبير؛ على ما يأتى ذكره فى محلّه إن شاء اللّه.

و فيها توفّى الشريف أبو الحسن علىّ ابن طباطبا العلوىّ، كان فاضلا شاعرا فصيحا، مات ببغداد فى ذى القعدة، و كان على مذهب القوم.

و فيها توفّى إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الإسفراينىّ الأصولىّ المتكلّم الفقيه الشافعىّ إمام أهل خراسان ركن الدين، و هو أوّل من لقّب من الفقهاء. كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۶۸

إماما مفتنّا له التصانيف المشهورة، و كانت وفاته يوم عاشوراء بنيسابور. و قد تقدّم أن الألقاب ما تداول تسميتها إلّا من الأعاجم لحبّهم للرياسة و التعظيم كما هى عادتهم.

و فيها توفّى معمر بن أحمد بن محمد بن زياد أبو منصور الأصبهانىّ الزاهد، كان من كبار المشايخ، و له قدم هائلة فى الفقه و الصلاح.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۱۹]

السنة الثامنة من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة تسع عشرة و أربعمائة.

فيها ولّى الظاهر أمر دمشق لأمير الجيوش الدزبرىّ، و كان شجاعا شهما و اسمه أبو منصور أنوشتكين التركىّ.

و فيها توفّى محمد بن عمر بن يوسف أبو عبد اللّه بن الفخّار القرطبىّ المالكىّ الحافظ عالم الأندلس فى عصره، سمع الحديث و حدّث و حجّ و جاور بالمدينة و أفتى بها، و كان إماما عالما زاهدا ورعا متقشّفا عارفا بمذاهب الأئمة و أقوال العلماء، يحفظ المدوّنة حفظا جيدا.

و فيها توفّى حمزة بن إبراهيم أبو الخطاب، كان بلغ من بهاء الدولة بن بويه منزلة عظيمة لم يبلغها غيره، كان يعلّمه النجوم. و كان حاكما على الدولة و الوزراء، و القوّاد يخافونه، و ما كان يقنع من الوزراء بالقليل. و لما فتح فخر الملك قلعة سابور حمل إليه مائة ألف دينار فاستقلّها؛ و ما كان بهاء الدولة يخالفه أبدا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۶۹

و فيها توفّى عبد المحسن بن محمد بن أحمد غالب بن غلبون أبو محمد الصورىّ الشاعر المشهور. كان أبو الفتيان بن حيّوس مغرى بشعره، و يفضّله على أبى تمّام و البحترىّ و المتنبى؛ فقال أبو العلاء المعرّى ": الأمراء لا يناظرون ("يعنى أنّه ليس فى هذا المقام). و كان أبو الفتيان يقول: إن أغزل ما قيل قول جرير:

[البسيط]

إنّ العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللّب حتّى لا حراك به و هنّ أضعف خلق اللّه إنسانا

و قال الصورىّ أغزل منهما، و هو قوله: [الرمل]

بالذى ألهمّ تعذى بى ثناياك العذابا

ما الذى قالته عينا ك لقلبى فأجابا

قلت: و قال غير ابن حيّوس: إن أرقّ ما قيل قول القائل:

[الطويل]

عيون عن السحر المبين تبين لها عند تحريك القلوب سكون

إذا أبصرت قلبا خليّا من الهوى تقول له كن مغرما فيكون

و من شعره أيضا: [المتقارب]

صددت فكنت مليح الصدود و أعرضت أفديك من معرض

و من كان فى سخطه محسنا فكيف يكون إذا ما رضى

و له أيضا: [الكامل]

[و] تريك نفسك فى معاندة الورى رشدا و لست إذا فعلت براشد

شغلتك عن أفعالها أفعالهم هلّا اقتصرت على عدوّ واحد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۷۰

و فيها توفّى محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد الفقيه أبو الحسن البغدادىّ الحنفىّ، ولد سنة تسع و عشرين و ثلثمائة، و سمع الكثير و رواه، و كان يتّجر و له مال عظيم، صادره ملوك بنى بويه حتى افتقر، و مات فلم يكفّن حتّى بعث إليه الخليفة كفنا.

و مات و لم يكن فى زمانه أعلى سندا منه. و كان صدوقا صالحا ثقة فقيها فاضلا عالما.

و فيها توفّى أبو الفوارس قوام الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمىّ. كان عزم على نقض الصلح بينه و بين أخيه أبى كاليجار فعاجلته منيّته فمات فى ذى القعدة، و حمل تابوته الى شيراز فدفن فى تربة عماد الدولة بن بويه.

و فيها هلك قسطنطين أخو بسيل ملك الروم، و بعد موته انتقل الملك إلى بنت له و زوجها، و هو ابن خالها، يسمى أرمانوس، و لم يكن من بيت الملك، و جعلت ولاية العهد فى أرمانوس المذكور، و لبس الخفّ الأحمر، و تسمّى قيصرا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۲۰]

السنة التاسعة من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة عشرين و أربعمائة.

فيها وقع بالعراق برد فى الواحدة مائة و خمسون رطلا كانت كالثور النائم، و نزلت فى الأرض مقدار ذراع؛ قاله أبو المظفر فى مرآة الزمان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۷۱

و فيها فسد الأمر بين قرواش صاحب الموصل و بين أبى نصر بن مروان صاحب ميّافارقين. و سببه أن قرواشا كان تزوّج ببنت أبى نصر المذكور فأقامت عنده مدّة، ثمّ هجرها؛ فطلبها أبو نصر فنقلها إليه، و هذا أوّل الشر.

و فيها توفّى على بن عيسى بن الفرج أبو الحسن الرّبعىّ صاحب أبى علىّ الفارسىّ، قرأ الأدب ببغداد على السّيرافىّ، و خرج الى شيراز و درس بها النحو على الفارسىّ عشرين سنة، ثم عاد الى بغداد و أقام بها باقى عمره. خرج يوما يمشى على جانب الشطّ، فرأى الشريف الرضى و المرتضى فى سفينة و معهما عثمان بن جنىّ النحوىّ، فصاح أبو الحسن: من أعجب أحوال الشريفين أن يكون «عثمان» جالسا فى صدر السفينة «و على» يمشى على الحافة؛ فضحكا و قالا: باسم اللّه. قلت:

و هذا مما يدل على أن الرضى و المرتضى كانا يصرّحان بالرفض.

و فيها توفّى الأستاذ الأمير المختار عزّ الملك محمد بن أبى القاسم عبد اللّه بن أحمد ابن إسماعيل بن عبد العزيز المعروف بالمسبّحىّ الكاتب، الحرانىّ الأصل المصرىّ المولد و المنشأ، صاحب التاريخ المشهور و غيره من المصنّفات. قال ابن خلكان:

«كانت فيه فضائل ولديه معارف، و رزق حظوة فى التصانيف، و اتصل بخدمة الحاكم العبيدىّ. قال: و تاريخه ثلاثة عشر ألف ورقة» انتهى. قلت: و له عدّة تصانيف أخر. مات فى شهر ربيع الآخر. و المسبحى: بضم الميم و فتح السين المهملة و كسر الباء الموحدة ثانية الحروف و فى آخرها حاء مهملة. قال السمعانىّ: هذه النسبة إلى الجدّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۷۲

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا سواء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۲۱]

السنة العاشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة إحدى و عشرين و أربعمائة.

فيها عملت الرافضة النّوح فى يوم عاشوراء بالكرخ، و وقع بينهم و بين أهل السنّة وقعة قتل فيها جماعة من الفريقين.

و فيها خطب للأمير أبى سعيد مسعود بن محمود بن سبكتكين بعد موت أبيه بأرمينية و الأطراف.

و فيها عاد جلال الدولة إلى بغداد من واسط. و لم يحجّ أحد من العراقيّين فى هذه السنة، و حجّ الناس من مصر و غيرها.

و فيها توفّى أحمد بن عبد اللّه بن أحمد أبو الحسن و يعرف بابن الدان، أصله من الجزيرة و سكن دمشق، و كان يعظ، و كان صاحب مقالات و كرامات، و هو معدود من المشايخ.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن العاص بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن درّاج أبو عمر القسطلّىّ الشاعر المشهور. قال ابن حزم: كان عالما بنقد الشعر، لو قلت إنه لم يكن بالأندلس أشعر من ابن درّاج لم أبعد. و هو من مدينة قسطلّة درّاج،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۷۳

و قيل هو اسم ناحية. و كان من كتّاب الإنشاء فى أيّام المنصور بن أبى عامر.

و من شعره من جملة قصيدة طويلة: [الطويل]

أضاء لها فجر النّهى فنهاها عن المدنف المضنى بحرّ هواها

و ضلّلها صبح جلا ليله الدجى و قد كان يهديها إلىّ دجاها

و فيها توفى السلطان يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين [ابن] الأمير ناصر الدولة أبى منصور صاحب غزنة و غيرها. كان السلطان محمود هذا يلقّب قبل السلطنة بسيف الدولة، و كان من عظماء ملوك الدنيا، و فتح عدّة بلاد من الهند و غيرها، و اتسعت مملكته [حتّى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية، و امتلأت خزائنه من أصناف الأموال و الجواهر]؛ و كان دينّا خيّرا متعبّدا فقيها على مذهب أبى حنيفة.

و ما حكاه ابن خلكان من قصّة القفّال فى صلاة الحنفيّة بين يدى ابن سبكتكين المذكور ليس لها صحّة؛ يعرف ذلك من له أدنى ذوق من وجوه عديدة؛ فإنّ محمودا المذكور كان قد قرأ فى ابتداء أمره و برع فى الفقه و الخلاف و صار معدودا من العلماء، و صنّف كتابا فى فقه الحنفيّة قبل سلطنته بمدّة سنين، و ذلك قبل أن يشتهر القفّال. فمن يكون بهذه المثابة لا يحتاج الى من يعرّفه الصلاة على المذاهب الأربعة بل و لا غيرها؛ و أصاغر الفقهاء من طلبة العلم يعرفون الخلاف فى مثل هذه المسألة.

و أيضا حاشا القفّال من أن يقع فى مثل هذه القبائح من كشف العورة و الضراط فى الملأ و تحكيم رجل نصرانىّ فى قراءة كتب المذهبيين و الافتراء على مذهب الإمام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۷۴

الأعظم أبى حنيفة؛ و ما ثمّ أمر يحتاج الى ذلك و لا ألجأت الضرورة الى أن يفعل بعض ما قيل عنه. و إنما محمود بن سبكتكين رجل من المسلمين لا يزيد فى الحنفيّة و لا ينقص من الشافعيّة؛ و لعلّ بعض الفقراء يكون أفضل منه عند اللّه تعالى. و هأنا لم أكن مثل القفّال فى كثرة علومه بل و لا أصاغر تلامذته، لو قيل لى: افعل بين يدى السلطان بعض ما قيل عن القفّال لا أرضى بذلك، و لا ألتفت الى السلطان و لا الى غيره، و لا أهزأ بصلاة مسلم كائن من كان. فهذا كله موضوع على القفّال من أهل التحامل و التعصّب. فنعوذ باللّه من الاستخفاف بالعلماء و الوقوع فى حقّهم، و نسأل اللّه السلامة فى الدين. و كانت وفاة السلطان محمود فى جمادى الأولى من هذه السنة، رحمه اللّه تعالى. و تولّى بعده الملك ابنه مسعود بن محمود الآتى ذكره.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ثلاث و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و ستّ أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۲۲]

السنة الحادية عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة اثنتين و عشرين و أربعمائة.

فيها قتل أبو [علىّ] الحسن [بن] علىّ بن ماكولا بالأهواز، قتله غلام له يعرف بعدنان، كان يجتمع مع امرأة فى داره، ففطن بهما، فعلما بذلك فخافا منه، و ساعدهما فرّاش كان فى داره، فغمّوه بشىء و عصروا خصاه حتّى مات، و أظهروا أنه مات فجأة؛ فأخذ الغلام و الفرّاش و ضربا فأقرّا بما وقع من أمره، فصلبا و حبست المرأة فى دار.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۷۵

و فيها أخذ ملك الروم مدينة الرّها.

و فيها ولد بمدينة إسكاف ولد له رأس و بقيّة بدنه كالحيّة، فنطق ساعة مولده و قال: الناس تحت غضب منذ أربع سنين، و الواجب أن يخرجوا فيستسقوا ليكشف عنهم البلاء. فكتب قاضى إسكاف للخليفة بذلك، فاجتمع الناس و استسقوا فلم يسقوا.

و فيها توفّى الخليفة القادر بالله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد ابن الأمير أبى أحمد إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتدر ابن الخليفة المعتضد أحمد ابن الأمير أبى أحمد طلحة الموفق ابن الخليفة جعفر المتوكّل ابن الخليفة محمد المعتصم ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة المهدىّ محمد ابن الخليفة أبى جعفر المنصور عبد اللّه بن محمد بن علىّ بن عبد اللّه بن عبّاس بن عبد المطّلب الهاشمىّ العباسىّ البغدادىّ. بويع بالخلافة بعد القبض على الطائع عبد الكريم فى حادى عشر شهر رمضان سنة إحدى و ثمانين و ثلثمائة، و مولده فى سنة ستّ و ثلاثين و ثلثمائة. و أمّه أمّ ولد تسمى يمنى، ماتت فى خلافته.

و توفّى ليلة الاثنين حادى عشر ذى الحجّة، و دفن ليلة الثلاثاء بين المغرب و العشاء.

و كانت خلافته إحدى و أربعين سنة و ثلاثة أشهر؛ و هو أطول الخلفاء العبّاسيّة مدّة، لا نعلم خليفة أقام فى الخلافة هذه المدّة من بنى العبّاس و لا غيرهم إلا المستنصر معدّا العبيدىّ الآتى ذكره، فإنه أقام فى خلافة مصر ستّين سنة. و تخلّف بعد القادر ابنه أحمد و لقّب بالقائم بأمر اللّه. و كان القادر- رحمه اللّه- أبيض كثّ اللحية يخضب؛ و كان ديّنا خيّرا حسن الاعتقاد أمّارا بالمعروف فاضلا. صنّف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۷۶

كتبا كثيرة فى فنون من العلم، منها كتاب فى أصول الدين، و كتاب فى فضائل الصحابة و عمر بن عبد العزيز، و كتاب كفّر فيه القائلين بخلق القرآن. و كان كثير الصيام و الصدقات، رحمه اللّه تعالى.

و فيها توفّى عبد الوهاب بن علىّ بن نصر بن أحمد القاضى أبو محمد البغدادىّ المالكىّ الفقيه، سمع الحديث و روى عنه غير واحد، و كان شيخ المالكيّة فى عصره و عالمهم؛ و صنّف كتاب «التلقين» و شرح الرسالة و غير ذلك.

و فيها توفّى يحيى بن نجاح أبو الحسين بن القلّاس الأموىّ مولاهم القرطبىّ.

رحل الى البلاد و سمع الكثير و حجّ و استوطن مصر. و كان عالما ورعا ديّنا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ستّ أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۲۳]

السنة الثانية عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة ثلاث و عشرين و أربعمائة.

فيها بعث الظاهر صاحب الترجمة بكسوة الكعبة فكسيت.

و فيها لم يحجّ أحد من العراق و لا من خراسان و حجّ الناس من مصر.

و فيها رأى رجل من أهل أصبهان فى النوم أن شخصا وقف على منارة أصبهان و قال ": سكت نطق، نطق سكت. "فآنتبه و حكى للناس، فما عرف أحد معناه؛ فقال رجل: يأهل أصبهان، احذروا فإن أبا العتاهية الشاعر يقول:

سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۷۷

فما كان بعد ذلك إلا قليل، و دخل عسكر مسعود بن محمود بن سبكتكين و نهب البلد و قتل عالما لا يحصى.

و فيها توفّى علىّ بن أحمد بن الحسن بن محمد بن نعيم أبو الحسن البصرىّ الحافظ الشاعر. قال محمد بن علىّ الصورىّ: لم أر ببغداد أكمل منه. و جمع بين معرفة الحديث و علم الكلام و الأدب و الفقه و الشعر. و من شعره و أجاد: [المتقارب]

إذا عطّشتك أكفّ اللئام كفتك القناعة شبعا وريّا

فكن رجلا رجله فى الثرى و همّة هامته فى الثريّا

و فيها توفّى محمد بن الطيب بن سعيد بن موسى أبو بكر الصبّاغ البغدادىّ، ولد سنة ثمان و ثلاثين و ثلثمائة، و سمع الكثير. قال أبو بكر الخطيب: كتبت عنه، و كان صدوقا ثقة. و قال رئيس الرؤساء أبو القاسم علىّ بن الحسن: تزوّج محمد بن الطيب زيادة على تسعمائة امرأة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أبو القاسم عبد الرّحمن ابن عبد اللّه الحربىّ الحرفىّ فى شوّال و له سبع و ثمانون سنة. و أبو الحسن علىّ بن أحمد النّعيمىّ المحدّث الأديب. و أبو الفضل منصور بن نصر بن عبد الرّحيم ابن بنت السّمرقندىّ الكاغدىّ فى ذى القعدة، و قد قارب المائة. انتهى كلام الذهبى.

و فيها كان الطاعون ببلاد الهند و العجم و عظم الى الغاية، و كان أكثره بغزنة و خراسان و جرجان و الرىّ و أصبهان و نواحى الجبل الى حلوان، و امتدّ الى الموصل و الجزيرة و بغداد، حتى قيل: إنّه خرج من أصبهان وحدها أربعون ألف جنازة، ثم امتدّ الى شيراز.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۷۸

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و أربع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۲۴]

السنة الثالثة عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة أربع و عشرين و أربعمائة.

فيها عملت الرافضة المأتم ببغداد فى يوم عاشورا على العادة، فأقام بذلك العيّارون. أعنى عن الزعران الذين كانوا غلبوا على بغداد، و عجزت الحكّام عنهم.

و فيها توفّى أحمد بن الحسين بن أحمد أبو الحسين المعروف بابن السّماك الواعظ البغدادىّ، مولده سنة ثلاث و ثلاثين و ثلثمائة، و كان يعظ بجامع المنصور و المهدىّ و يتكلم على طريق الصوفية، و كان لكلامه رونق، غير أنهم تكلموا فيه؛ و كانت وفاته ببغداد فى ذى الحجة من السنة.

و فيها فى المحرّم خرجوا ببغداد للاستسقاء بسبب القحط.

و فيها ثار أهل الكرخ بالعيّارين فهربوا، و كبسوا دورهم و نهبوا سلاحهم، و طلبوا من السلطان المعاونة. و سبب ذلك أن العيّارين نهبوا تاجرا فغضب له أهل سوقه، فرد العيّارون بعض ما أخذوا؛ ثم كبسوا دار ابن العلواء الواعظ و أخذوا ماله، ثمّ فعلوا ذلك بجماعة كثيرة، حتّى قام عليهم أهل الكرخ، و وقع بينهم بسبب ذلك قتال و حروب يطول شرحها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۷۹

و فيها توفى أبو بكر بن محمد بن إبراهيم الأردستانىّ، كان إماما زاهدا فاضلا معدودا من كبار المشايخ، و له كرامات و أحوال.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و إصبعان.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۲۵]

السنة الرابعة عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة خمس و عشرين و أربعمائة.

فيها هبّت بنصيبين ريح سوداء قلعت معظم شجرها، و كان بين البساتين قصر عظيم فرمته من أصله.

و فيها زلزلت الرملة زلزلة هدمت ثلث مدينة الرملة، و نزل البحر مقدار ثلاثة فراسخ، فنزل الناس يصيدون السمك، فرجع عليهم فغرق من لم يحسن السباحة.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن عبد الرّحمن أبو العبّاس القاضى الأبيوردىّ، ولد سنة سبع و خمسين و ثلثمائة، و تولّى القضاء بالجانبين ببغداد، و سمع الحديث و رواه؛ و كان عالما ورعا مفتنا، يصوم الدهر و يفطر على الخبز و الملح، و كان فقيرا و يظهر الثروة، و مات فى جمادى الأولى، و دفن بباب حرب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۸۰

و فيها توفّى أحمد بن محمد [بن أحمد] بن غالب الحافظ أبو بكر الخوارزمىّ، ولد سنة ستّ و ثلاثين و ثلثمائة، و رحل [إلى] البلاد و سمع الكثير و حدّث، و كان إماما فى اللغة و الفقه و الحديث، و مات فى يوم الاربعاء غرّة شهر رجب.

و فيها توفّى عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث أبو الفرج التميمىّ الفقيه الحنبلىّ الواعظ، ولد سنة ثلاث و خمسين و ثلثمائة، و سمع الحديث و رواه، و كان فقيها محدّثا واعظا؛ و كانت وفاته فى شهر ربيع الأوّل ببغداد، و دفن عند قبر الإمام أحمد ابن حنبل رضى اللّه عنه.

و فيها توفّى محمد بن عبد اللّه أبو عبد اللّه بن باكويه الشيرازىّ أحد مشايخ الصوفية، كان أوحد زمانه، و له كرامات و إشارات، و لقى خلقا من المشايخ و حكى عنهم، و سمع الحديث الكثير و روى عنه خلق كثير.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى أبو بكر أحمد بن محمد ابن أحمد بن غالب البرقانىّ الحافظ فى رجب و له تسع و ثمانون سنة. و أبو علىّ الحسن بن أبى بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزاز فى آخر يوم من السنة، و ولد فى ربيع الأوّل عام تسعة و ثلاثين و ثلثمائة. و أبو سعيد عبد الرّحمن بن محمد بن عبد اللّه ابن بندار بن شبانة الهمذانىّ. و أبو الحسن عبد الرّحمن بن محمد بن يحيى الجوبرىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۸۱

فى صفر. و أبو نصر عبد الوهّاب بن عبد اللّه بن عمر المرىّ الدمشقىّ. و أبو الفضل عمر بن أبى سعد ابراهيم بن إسماعيل الهروىّ الزاهد. و أبو بكر محمد بن علىّ بن إبراهيم ابن مصعب الأصبهانى التاجر. انتهى كلام الذهبىّ.

و فيها وقع الطاعون بشيراز، فكانت الأبواب تسدّ على الموتى؛ ثم انتقل إلى واسط و بغداد و البصرة و الأهواز و غيرها.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و إحدى و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۲۶]

السنة الخامسة عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة ست و عشرين و أربعمائة.

فيها استولى العيّارون على بغداد و ملكوا الجانبين (أعنى الحراميّة) قال:

و لم يبق للخليفة و لا لجلال الدولة معهم حكم. و كان العيّارون فى دور الأتراك و الحواشى يقيمون نهارا و يخرجون ليلا و الأتراك و الحواشى تقوم معهم فى الباطن، فكانوا يخرجون ليلا و يعملون العملات، و أفسدوا و فعلوا أفعالا قبيحة، و أظهروا الإفطار فى شهر رمضان نهارا، و كان ذلك كلّه بمواطأة الأتراك.

و فيها ورد كتاب مسعود بن محمود بن سبكتكين على الخليفة أنّه افتتح جرجان و طبرستان، و غزا الهند و افتتح بلادا كثيرة.

و فيها توفّى أحمد بن كليب الشاعر المغربىّ. قال أبو عبد اللّه محمد بن أبى نصر الحميدىّ فى تاريخه: «كان أحمد هذا يهوى أسلم بن حمد بن سعيد قاضى قضاة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۸۲

الأندلس؛ و كان أسلم من أحسن أهل زمانه؛ فافتتن به و قال فيه الأشعار الرائقة».

ثم سكت الحميدىّ و لم يذكر ما قاله فى أسلم المذكور من الأشعار.

و فيها توفّى الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان أبو علىّ البزّاز، إمام محدّث مشهور من أهل بغداد، ولد سنة تسع و ثلاثين و ثلثمائة؛ سمع خلقا كثيرا، و كان صالحا ثقة صدوقا.

و فيها توفّى الحسن بن عثمان بن أحمد بن الحسين بن سورة أبو عمر الواعظ البغدادىّ، سمع الحديث و تفقه، و كان شيخا، له لسان حلو فى الوعظ، و كان له شعر على طريق القوم؛ فمنه قوله: [الطويل]

دخلت على السلطان فى دار عزّه بفقر و لم أجلب بخيل و لا رجل

فقلت انظروا ما بين فقرى و ملككم بمقدار ما بين الولاية و العزل

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و خمس عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۴۲۷]

السنة السادسة عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين اللّه على مصر و هى سنة سبع و عشرين و أربعمائة. و فيها كانت وفاته، حسب ما تقدّم فى ترجمته.

فيها (أعنى سنة سبع و عشرين) أرسل الظاهر قبل موته خمسة آلاف دينار، فصلّح بها نهر ينتهى الى الكوفة و يرد إليه ماء الفرات؛ و جاء أهل الكوفة يستأذنون القائم بأمر اللّه فى ذلك، فثقل عليه و سأل الفقهاء؛ فقالوا: هذا مال تغلّب عليه من فىء المسلمين، فصرفه فى هذا الوجه؛ فأذن لهم القائم فى ذلك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۸۳

و فيها لم يحجّ أحد من العراق، و حجّوا من الشام و مصر.

و فيها توفّى أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبىّ صاحب التفسير المشهور.

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزىّ: «ليس فيه ما يعاب به إلا ما ضمّنه من الأحاديث الواهية التى هى فى الضعف متناهية خصوصا فى أوائل السور».

و فيها توفّى الحسن بن وهب أبو علىّ الكاتب المجوّد، كان فاضلا إماما مجوّدا، و خطّه معروف مشهور بالحسن.

و فيها توفّى حمزة بن يوسف بن إبراهيم الجرجانىّ الحافظ، هو من ولد هشام ابن العاص بن وائل السهمىّ، و كان عالما فاضلا، رحل

فى طلب العلم، و سمع الحديث الكثير، و قال أنبأنا الحسين بن عمر الضرّاب، أنشدنا شعبان الصّيرفىّ:

[البسيط]

أشدّ من فاقة الزمان وقوف حرّ على هوان

فاسترزق اللّه و استعنه فإنّه خير مستعان

و إن نأى منزل بحرّ فمن مكان إلى مكان

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و خمس عشرة إصبعا.

انتهى الجزء الرابع من النجوم الزاهرة و يليه الجزء الخامس و أوّله: ذكر ولاية المستنصر بالله على مصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۸۴

تنبيه- أشرنا أثناء تعليقات هذا الجزء إلى أن صاحب العزة العالم المحقق الأستاذ محمد رمزى بك المفتش بوزارة المالية سابقا هو الذى أفادنا بتعليقاته المفيدة القيمة الخاصة بتعيين الأماكن الأثرية و القرى القديمة التى وردت فى هذا الجزء مع تحديد موقعها الآن بغاية الدقة، مما يدلّ على سعة اطلاعه و غزارة علمه و طول باعه فى البحث و التحقيق، فنسدى إليه جزيل الشكر على هذه المعاونة التاريخية لخدمة الجمهور.

و كنا نبهنا القارئ إلى أن تعليقاته الخاصة بتحديد الأماكن الأثرية هى من صفحة ۳۰- ۵۴ من هذا الجزء و لكنه واصل شرحه الى نهاية هذا الجزء، عدا الحاشية رقم ۱ ص ۵۴ الخاصّة بالجوامع الثلاثة المعلقة فمنقولة من كتاب الخطط التوفيقية كما هى؛ فجزاه اللّه خير الجزاء عن خدمته للعلم و أهله.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۴، ص: ۲۸۵

فهرس الولاة الذين تولوا مصر من سنة ۳۵۵ ه- ۴۲۷ ه

(أ) أحمد بن على بن الإخشيذ محمد بن طغج بن جف أبو الفوارس ص ۲۱- ۲۸

(ج) جوهر بن عبد اللّه القائد المعزى أبو الحسن س ۲۸- ۶۹

(ح) الحاكم بأمر اللّه أبو على منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهدى ص ۱۷۶- ۲۴۷

(ظ) الظاهر لإعزاز دين اللّه أبو هاشم على بن الحاكم بأمر اللّه منصور بن العزيز نزار بن المعز معد بن المنصور إسماعيل ابن القائم محمد بن المهدى ص ۲۴۷- ۲۸۳

(ع) العزيز بالله نزار أبو منصور بن المعز لدين اللّه أبى تميم معد بن المنصور بالله أبى طاهر إسماعيل ص ۱۱۲- ۱۷۶

(ك) كافور بن عبد اللّه الإخشيذى الخادم الأسود الخصى أبو المسك ص ۱- ۲۰

(م) المعز أبو تميم معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر اللّه محمد بن المهدى عبيد اللّه العبيدى ص ۶۹- ۱۱۲

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ

الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹